تسـونامي

مـــارد البيئـــة

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقه سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف على هذا كتابة ومقدما.

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٩٧٢٩

يُطلب من المكتبات والمؤلّف

ت : ٠١٠ ٥٨٤٥٠٦٥

٠١٠ ٦٥٧٧٧٥٣

البريد الإلكتروني

s.ashour@gmail.com

تسـونامي

مـارد البيئـة

د. سيد عاشور أحمد

أستاذ بجامعة أسيوط

المدير السابق لمركز الدراسات والبحوث البيئية

بجامعة أسيوط والمحمية الطبيعية بوادي الأسيوطي

جمهورية مصر العربية

إلى الإنسان أينما كان

حفظه الخالق من كل شرٍ وسوء

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا {١} وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا {٢} وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا {٣} يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا {٤} بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا {٥} يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ {٦} فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨}.

صدق الله العظيم

(الزلزلة)

مقدمـــة

في فجر السادس والعشرين من شهر ديسمبر ٢٠٠٤م اهتزت الأرض، واهتزت معها مئات الكيلومترات المكعبة من مياه المحيط، لتندفع بسرعة طائرة عابرة للقارات، كطوفان هائل كاسح، إلى اليابسة، لا تبقي ولا تذر. واهتزت مع الحدث في أنحاء المعمورة نفوس الملايين من البشر، وعم الحزن والألم القلوب والصدور.

وكان هذا التسونامي أو المد الزلزالي الهائل، الذي لم ير التاريخ مثله، بحساب الخسائر في الأرواح والمنشآت والممتلكات. وطفت هذه الظاهرة بعنف إلى السطح فجأة، لتعلن انضمامها إلى زميلاتها من كوارث الطبيعة، في مواجهة ذلك الكائن، الذي كثيرا ما يجد نفسة عاجزا أمام ثورات لا قِبل له بها، الإنسان.

وتابع البشر مجريات الأحداث، مشفقين على بني جنسهم من تلك الخسائر الفادحة. وكتب المعنيون وأهل الاختصاص، وأدلى من استطاع بدلوه ليفسر ويبرهن. وكانت هناك ملاحظة واضحة، هي افتقاد المادة المكتوبة المستعرضة بسخاء لهذه الظاهرة الفريدة.

وفي تفاعل شخصي جامح، تسائل الكاتب في نفسه عن أسبابه: هل لأن الضحايا بشر، هل لأن قطاعا كبيرا منهم من الفقراء، هل لأنه زار بعضا من تلك المناطق المتضررة يوما، هل لأنه عايش الزلازل مرارا خلال إقامته باليابان لعدة سنوات أيام دراسته هناك، هل لأنه من المهتمين بقضايا البيئة، هل لبعض هذه الأسباب معا أو كلها مجتمعة!.

وكان أن وجد الكاتب نفسه في رئاسة عمله بالجامعة، بعد أيام من الكارثة، طارحا فكرة عقد ندوة على مستوى إقليم المحافظة، لتبيان الأبعاد المتعددة لهذه الظاهرة ومخاطرها وجوهر تأثيراتها. وبعد الإعداد، عُقدت الندوة في منتصف شهر فبراير، تحت رعاية من جامعة أسيوط، بمحاضرين من تخصصات شتى وبحضور كثيف من الجامعة والمحافظة.

وانبثقت فكرة هذا الكتاب من خضم الأحداث، للتعريف بالظاهرة في تبسيط: أسبابها وأركانها وعلاقتها بالإنسان والبيئة ومواجهتها. ويقع الكتاب في ستة فصول تتناول: زلازل الأرض وقياسها والتنبؤ بها، ظاهرة تسونامي: أصل تسميتها، ووقوعها عبر التاريخ، ودور الإنسان والبيئة في حدوثها، والتنبؤ بها، ومدى تهديدها للبحر المتوسط والمنطقة العربية، وظاهرة تسونامي الأخيرة وتداعياتها المتنوعة، والتجاوب العالمي معها، وانعكاساتها على الفكر الإنساني، ثم مواجهة الظاهرة عالميا مع التركيز على التجربة اليابانية بهذا الخصوص.

نسأل الله التوفيق، وأن يفي هذا المؤلَّف بالغرض المنشود، وأن يتحقق به النفع للمعنيين بهذه الظاهرة الطبيعية، من معلمين ودارسين وباحثين ومثقفين، تحقيقا لخدمة وطننا العربي الحبيب وخدمة البشرية جمعاء.

وبالله السداد، وبنوره كل الهدى والرشاد ،،،

د. سيد عاشور أحمد

الفصل الأول: الأرض وظاهرة الزلازل

. التركيب الداخلي للأرض

. الأرض والزلازل

. الهزات التحذيرية واللاحقة

. الزلازل البركانية

. خريطة الزلازل

. أقدم وأخطر زلازل التاريخ

. الزلازل في كتب التراث

. زلازل القرن العشرين

. آسيا وكوارث الطبيعة

. إيران والزلازل

. زلزال جنوب آسيا ٢٠٠٤

. زلزال الصين ٢٠٠٤

. قياس الزلازل

. شدة الزلزال

. مقدار الزلزلة ومقياس ريختر

. التنبؤ بالزلازل

الفصل الأول

الأرض وظاهرة الزلازل

الأرض، ذلك الكوكب العامر في المجموعة الشمسية، والذي يمتلئ حياة وحيوية، بما عليه من بلايين البشر، يبدو من خارجه هادئا وديعا، بجمال فائق يخلب الألباب في مناطق لا حصر لها من أرجائه (شكل ١). وتتنوع حرارة ذلك الكوكب فوق سطحه من حرارة عالية في مناطق وسطه إلى ما دون الصفر في قطبيه. ولكن في داخله شيء آخر، طبقات تحت طبقات تتنوع في تركيبها وقوامها وحرارتها التي تصل إلى الآلاف.

ويقع بالأرض من وقت إلى آخر رجات اهتزازية، تعرف بالزلازل، متنوعة في شدتها وخطورتها وأماكن حدوثها. والدراسة المتأنية لتلك الظاهرة، والمشاهدة المتفحصة لها، أثبتت أن هناك ارتباطا بينها وانطلاق الطاقة الناتجة من احتكاك الصخور وتحرك طبقات الأرض حول الصدوع التي تشكل حواف صفائح هائلة. وهذا يستميلنا بالطبع إلى التطرق لتركيب الأرض، إذ أن تفهم الزلازل والأسباب التي تؤدي إليها كأحد الكوارث الطبيعية، عند ارتفاع درجتها، يتطلب أن نتذكر معا التركيب الداخلي للأرض وبما يفي بحاجة العرض.

التركيب الداخلي للأرض

من المعروف أن الكرة الأرضية يبلغ نصف قطرها نحو ٦٣٧٠ كيلومترا، وتتضمن عدة مكونات (شكل ٢)، يمكن إيجازها، من العمق إلى السطح، فيما يلي:

. اللب Core: وتقع بدايته الخارجية على عمق نحو ٢٩٠٠ كيلومتر من سطح الأرض، الجزء الداخلي منه صلب والجزء الخارجي منه منصهر إلى حد السيولة، ويتكون هذان الجزآن من عنصر الحديد وبعض العناصر الأخرى.

. الوشاح Mantle: يحيط باللب ويصل سمكه إلى ٢٨٨٠ كيلومترا، ويتكون من صخور صلبة عالية الكثافة يدخل في تركيبها عنصرا الحديد والماغنيسيوم، داخله صلب وخارجه منصهر، والطبقة العليا للوشاح شبه منصهرة أو سائلة سيولة شديدة

اللزوجة، وليس من المعلوم تحديدا درجة حرارتها التي قد تتجاوز ٢٠٠٠ درجة مئوية وقد تصل إلى ٥ آلاف درجة، وهي عبارة عن صهير شديد الالتهاب نتيجة لوجود مواد مشعة تنتج حراره هائلة.

. القشرة الأرضية Crust: وهي الغطاء الخارجي للوشاح، وتتكون من صخور أقل كثافة، وهي نوعان: القشرة المحيطية (أي الموجودة تحت قاع المحيطات) ويتراوح سمكها من ٣ إلى ٨ كيلومترات، والقشرة القارية (أي التي تشكل القارات) ويتراوح سمكها من ٣٠ إلى ٧٠ كيلومترا بكثافة صخور أقل نسبيا من مثيلتها للقشرة المحيطية.

الأرض والزلازل

الزلازل ظاهرة طبيعية، أو عملية جيولوجية، مرتبطة بطبيعة الأرض وتكوينها الداخلي، ولاحيلة للإنسان فيها. وينتاب الأرض نحو مليون هزة في السنة، أي بمعدل ٢٧٤٠ هزة في اليوم، أو ١١٤ هزة في الساعة أو نحو هزتين كل دقيقة.

ورغم ذلك قد تتسبب الأنشطة البشرية، على المدى الطويل، من تفجيرات نووية، وشفط النفط من الآبار بباطن الأرض، وبناء سدود المياه فوق مناطق زلزالية، في حدوث الزلازل. لكن أقدم تلك الأنشطة البشرية لا تتجاوز بداياتها قرنا من الزمان، أي أن تلك الأنشطة لا تفسر سبب وقوع الزلازل القديمة الموغلة في عمق تاريخ الأرض، ولابد من تفسير آخر لها ينظم أسباب وقوعها ويحدد ماهيتها في آن واحد.

وقد قدم علماء الجيولوجيا هذا التفسير. ففي الفترة بين ١٩١٢ و١٩١٥ كان العالم الألماني فيجنر قد قدم نظرية تحكي تاريخ قارات البسيطة وحركتها، وأطلق عليها اسم الانجراف القاري Continental Drift وأعاد فيها ترتيب القارات ومواقعها منذ ٢٠٠ مليون سنة وحتى عصرنا الحالي. ووفقا لتلك النظرية، كانت القارات الخمس تشكل مجموعة واحدة متكاملة تعرف باسم اليابسة الجامعة أو Pangea (شكل ٣)، وبسبب عدة عوامل بدأت القارات بالانفصال في شكل كتل من القشرة الأرضية. فهل القارات فعلا تنجرف؟

البداية بالقرآن الكريم، يقول الله تعالى في صورة النمل "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون" (آية ٨٨). فهل تشير هذه الآية الكريمة إلى انجراف القارات! بالنظر إلى قارات العالم على الخريطة، نتبين أن هناك تناسقا هندسيا فعليا بين حواف القارات المختلفة، خاصة بين الحافة الغربية لقارة أفريقيا والحافة الشرقية لأمريكا الجنوبية. هذا التناسق الملفت أذهل العالم فرانسيس بيكون في بدايات القرن السابع عشر، لكنه لم يهتد لتفسير ذلك. وفي أواسط القرن التاسع عشر، تصور العالم أنطونيو سندر بلجريني، وَضْع قارات العالم قبل ٣٠٠ مليون سنة، ووضعها على خريطة قام بنشرها، إلا أنه لم يستطع أيضا تقديم الأدلة العلمية التي تؤكد نظريته.

وفي مطلع القرن العشرين، بُعثت فكرة انجراف القارات من جديد بالعالم الأمريكي تيلور، الذي افترض أن القارات تتحرك متباعدة عن أقطاب الأرض، ولم يستطع هذا العالم أيضا بدوره تقديم الأدلة العلمية التي يمكن أن تثبت صحة فرضيته وتقنع المهتمين بعلوم الأرض.

وفي عام ١٩١٢ وضع العالم الألماني ألفريد فاجنر، كما ذُكر، فرضية الانجراف القاري ودلل على صحتها بالبراهين والأدلة العلمية، وكان لكتابه بعد ثلاث سنوات أخرى بعنوان نشأة القارات والمحيطات، وما به من خرائط وصور توضيحية، دورا هاما في قبول المجتمع العلمي آنذاك لتلك النظرية. وقد حفز ذلك الباحثين إلى البحث في العلاقة بين القارت الأرضية ومحاولة تفسير آلية انجرافها عن بعضها. ومن تلك الأدلة التي قدمها بصورة تفسيرية: التناسق الهندسي بين حواف القارات، الدليل الاسترتجرافي أي المتعلق بالتشابه بين نوعية وخصائص الصخور المتكونة قبل حدوث الانجراف خاصة في الأماكن التي يفترض أنها كانت متصلة بعضا مع بعض، الدليل الأحفوري، الدليل البنيوي أو التركيبي، دليل المغناطيسية القديمة، ودليل المناخ القديم (هميمي، ١٩٦٩).

وبحلول عام ١٩٦٨ تبلورت نظرية جامعة لكل التفسيرات العلمية في هذا المجال، والتي امتدت لقرابة نصف قرن، وانتظمت تلك النظرية مع معظم ما سبقها من نظريات، خاصة نظرية الانجراف القاري، بل وأقامت الدليل على صحتها، وقدمت تفسيرا رائعا لكثير من الأنشطة الأرضية ومنها الزلازل، ولاقت شبه قبول بالإجماع من معظم علماء

الجيولوجيا، وأطلق على تلك النظرية الصفائح أو الألواح التكتونية "البنائية" Plate Tectonics. وتتلخص تلك النظرية في أن القشرة الأرضية ليست متصلة، بل مقسمة بشبكة من الصدوع إلى عدد من الألواح أو الصفائح وهي عبارة عن شرائح متاخمة لبعضها البعض (شكل ٤) (الشرقاوي، ١٩٩٢)، مشابهة لتلك التي تغطي كرة القدم مثلا.

وهناك ست صفائح أو الواح عملاقة هي: الأوراسية، الأفريقية، الأمريكية، صفيحة المحيط الهادئ، الاسترالية أو الهندية، وصفيحة القارة القطبية الجنوبية. كما يوجد بالإضافة إلى ذلك عدد كبير من الصفائح الأصغر منها صفائح: نازكا، الجزيرة العربية، الإيرانية، التركية، اليونانية أو الإيجية، الفلبينية، الكاريبية. وتتركز الغالبية العظمى من الزلازل على حواف تلك الألواح، ويقع عدد قليل من الزلازل داخل الألواح وبصفة رئيسية في مناطق قمم جبال وسط قاع المحيط وخنادق المحيط والصدوع الكبيرة وأحزمة الطيّ العملاقة (سليمان، ١٩٩٦).

وفوران الصهير المكون للوشاح، يجعل القشرة الأرضية غير ثابتة وفي حالة حركة دائمة، ويمكن تقسيم تلك الحركة إلى: (أ). حركة تباعدية divergent مثل تباعد قارتي أفريقيا وأمريكا وتشكيل المحيط الأطلسي بينهما، والتباعد بين الصفيحة العربية والصفيحة الأفريقية، مما ولد البحر الأحمر الذي يمكن أن يصبح محيطا بعد ملايين السنين. (ب). حركة تقاربية بين الصفائح في مناطق التصادم convergent وهي مناطق التحام الصفائح بعضها ببعض، فينتج عن ذلك تكوين الجبال الشاهقة مثل جبال الهمالايا، حيث التحم شبه القارة الهندية بقارة آسيا، وكذلك جبال الإنديز في الطرف الغربي من أمريكا الجنوبية. (ج). حركة انزلاقية على حدود الصفائح وتتم من خلال صدوع انزلاقية ناقلة للحركة، ومثال ذلك ما يحدث في فالق سان أندرياس الشهير في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، وفالق البحر الميت الذي يبدأ في البحر الأحمر ويعبر البحر الميت ولبنان وسوريا وصولا إلى تركيا.

أي أن تلك الألواح تتحرك بصورة دائمة، كل صفيحة على حدة كوحدة مستقلة متماسكة تسبح فوق غلالة من الصخور شبه المنصهرة من الوشاح، أو الطبقة الثانية بعد القشرة الأرضية من الطبقات العظمى المكونة لكوكبنا الأرضي. أما حدود تلك

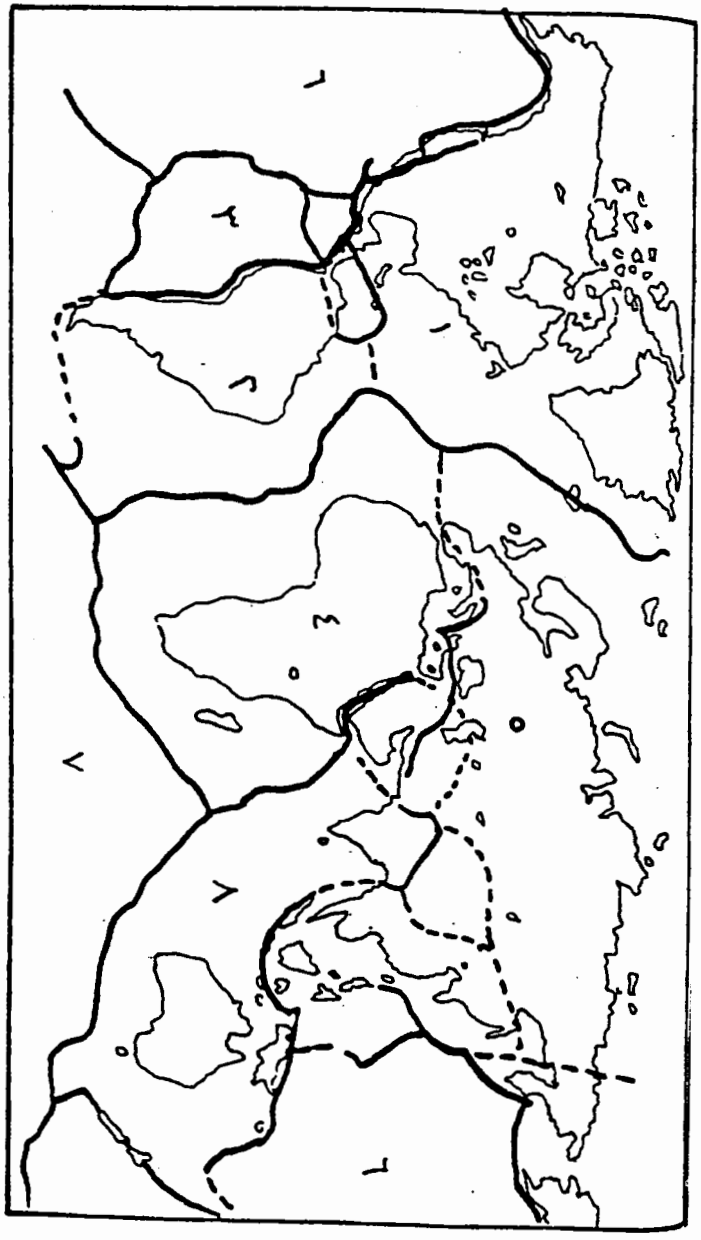

شكل ٤: خريطة تبين تقسيم القشرة الأرضية إلى ألواح أو صفائح بناء على البيانات الزلزالية. الخطوط المتصلة السميكة: الحدود بين الألواح. الخطوط المتقطعة: الحدود المحتملة. ١: أمريكا الشمالية، ٢: أمريكا الجنوبية، ٣: نازكا، ٤: أفريقيا، ٥: أوراسيا، ٦: المحيط الهادي، ٧: القطب الجنوبي، ٨: الهند واستراليا.

الألواح، فهي معرضة دوما للإجهاد والشد، مما ينتج طيات وتصدعات، إذ تنشأ الطيات عادة من الإجهاد المستمر، فيما يحدث التصدع بفعل الإجهاد العنيف المفاجئ. لذا فإنه عند تحرك الصفائح التي تشكل السطح الخارجي للقشرة الأرضية، تتسبب تلك الحركة في إحداث ضغوط هائلة عند نقاط الالتقاء بين القشرات المتجاورة. وتسفر هذه الضغوط عن تصدع للأحجار في تلك المناطق، محدثة هزات أرضية مفاجئة.

ويعود فوران الصهير إلى الإشعاعات المنبعثة من مركز الأرض، حيث تتسبب في ارتفاع حرارة الغلاف المحيط بمركز الأرض إلى ما يصل إلى ٥٠٠٠ درجة مئوية. وتتسبب تلك الحرارة العالية في تسخين السوائل والأحجار داخل الأرض خلال الحمل الحراري. وبفعل هذه العملية ترتفع السوائل الساخنة لأعلى لتزيح السوائل الباردة محدثة تيارا عنيفا. ينتج عن ذلك طفو الصفائح التكتونية على سطح الغلاف شبه المنصهر الذي يحيط بمركز الأرض. وتطفو تلك الصفائح متحركة ببطئ شديد في اتجاهات مختلفة بالنسبة لبعضها البعض، مما يعني إمكانية حدوث تصادم بين لوحين منها، لتنتج عن ذلك زلازل أرضية أو بحرية تختلف في القوة بحسب شدة ونمط التصادم أو الانزلاق الحادث. غير أن الزلازل يمكن أن تحدث أيضا نتيجة حدوث صدع أو شرخ فجائي في مكان ما بقشرة الأرض، الأمر الذي ينتج عنه انزلاق وسقوط كتلة صخرية تحت أخرى محررة بذلك طاقة كامنة تسبب ارتجاجا زلزاليا، عادة ما تتبعها حركات ارتدادية أقل شدة حتى يتم استقرار الكتلتين المنزلقتين. ورغم بطء حركة الألواح فإنها تتسبب في حدوث الزلازل المدمرة. وتوازي قوى الزلازل التي تقع كل عام على كوكب الأرض الطاقة المجتمعة لحوالي مائة ألف قنبلة كتلك التي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية عام ١٩٤٥ (قنبلة هيروشيما تعادل في طاقتها التدميرية نحو ٢٠ ألف طن من مادة TNT).

وهناك عدد من العوامل المؤثرة، منها فروق الكثافات النوعية للصخور المكونة للقشرة الأرضية، واختلاف مجموع أوزان الأعمدة الصخرية للقارات والمحيطات والجبال، فوق الطبقة العليا من الوشاح والتي سبق وصفها بشبه منصهرة أو سائلة سيولة شديدة اللزوجة. وحين يتمدد الوشاح، تلك الطبقة النارية المنصهرة تحت القشرة الأرضية، لا يشعر الإنسان بذلك، لأنه يحدث على بعد مئات الكيلومترات، لكن الأمر

مختلف في قاع المحيطات حيث سمك القشرة الأرضية ضئيل، وعندما يخترقه الصهير يتحول قاع المحيط إلى نهر ملتهب، حيث يلتقي الصهير شديد الحرارة بمياه قاع المحيط شديدة البرودة، أي أنه حين تحدث حركة في منطقة الصهير يحدث ضغطا شديدا في باطن القشرة الأرضية ويخترق المناطق الضعيفة منها، ونتيجة هذه الحركة الهائلة تحدث زلازل، فتتحول مياه المحيطات شديدة البرودة إلى مياه ساخنة، وهنا تحدث الأمواج العاتية أو تسونامي، الذي سيعرض تفصيلا في الفصل التالي، نظرا لاختلاف درجات الحرارة بين الصهير ومياه المحيط، كما أن الصهير يوسع لنفسه طريقا للخروج فتنزلق القشرة الأرضية عليه ويحدث الزلزال.

والواقع أن عنف الحركة المسببة للاهتزازات يحدد قوة الموجات الزلزالية بين الضعيفة التي لا تكاد تحس، والقوية المؤدية إلى الكوارث. وتنشأ الزلازل في نقطة ما داخل الأرض تدعى البؤرة **focus** وهي النقطة التي تقع فيها الهزة الأرضية وتسمى بمركز الزلزال حيث يبلغ أقوى مدى له، والتي تتحرك منها الموجات الزلزالية إلى الخارج. كما تعرف النقطة التي تقابلها على سطح الأرض بالمركز السطحي **epicenter**. ولا يتوقف مدى الزلزال عند مركزه، بل تسافر الموجات الزلزالية خارج نطاق المركز، محدثة في طريقها دمارا تتفاوت درجته حسب قوة الزلزال. ويكن أن تقع المراكز السطحية للزلازل في الأجزاء اليابسة من الكرة الأرضية أو في البحار والمحيطات.

وتتعرض الأرض سنويا لنحو مليون زلزال، لا يشعر الناس بمعظمها، إما لضعفها أو لحدوثها في مناطق غير مأهولة. فالإنسان لا يحس بالزلزال عادة إلا حين تصل شدته إلى ٤ درجات بمقياس ريختر. ويعتبر الزلزال كبيرا حين تزيد قوته على ٧ درجات على هذا المقياس. وأيا كانت الأسباب التي تنشأ عنها الزلازل، فهي في النهاية عبارة عن موجات تنتشر في الأرض عندما ينزلق جزء من القشرة الأرضية عن الأجزاء المجاورة كما ذكر، ولا تكون هذه الحركة الانزلاقية سلسة وناعمة غالبا، بل عنيفة ومتقطعة بسبب الاحتكاك بين الجزء المتحرك والأجزاء الملامسة له.

الهزات التحذيرية والهزات اللاحقة

قد يسبق وقوع الهزة الرئيسية في حالة الزلازل الكبيرة، بعد أيام وأحيانا سنوات، وقوع هزات أو زلازل صغيرة، والتي تعد علامات إنذارية أو تحذيرية تنبئ بوقوع زلزال كبير. وعادة ما يتبع الهزة الرئيسية هزات أصغر كما ذكر، تستمر عدة أيام أو أسابيع وأحيانا عدة شهور، وتعرف بالهزات اللاحقة أو التوابع. وتحدث هذه التوابع نتيجة عمليات إعادة وضع الصخور المتصدعة والمنزلقة إلى حالة تكون أكثر استقرارا. وتوابع الزلزال عادة أضعف من الزلزال الرئيسي، غير أنها قد تحدث أضرارا بالغة بالمناطق التي تأثرت بالزلزال الرئيسي وقد تصل توابع الزلزال الواحد بضعة آلاف تابع (سليمان، ٢٠٠٢).

الزلازل البركانية

تعرف الزلازل السابقة الذكر باسم الزلازل التكتونية، وذلك لأنها تنشأ أساسا بفعل تمزق وتصدع الصخور المصاحب لحركة الألواح التكتونية المكونة للقشرة الأرضية، وهذا النوع من الزلازل هو الأغلب. وهناك نوع آخر من الزلازل مرتبط بالنشاط البركاني، لذا يعرف بالزلازل البركانية، وهي أقل انتشارا من الزلازل التكتونية. ويشيع وقوع الزلازل البركانية عند ثورات البراكين، وغالبا ما تحدث قبل تلك الثورات بفعل حركة الحمم والغازات المحبوسة تحت سطح الأرض، وقد لا تكون مؤشرا على انفجار بركاني، إذا كانت الحمم بعيدة تحت سطح الأرض وقليلة وتقع تحت ضغوط محدودة، حيث تتوزع الحمم في الشقوق أو تعود لأسفل وتخمد.

ويتصف الزلزال البركاني النشأة بأنه محلي وذو كم كبير من الهزات، مثل تلك الموجودة بمنطقة "أبو دَبّاب" بالقرب من ساحل البحر الأحمر وسط الصحراء الشرقية لمصر "شمال غرب مَرْسَى عَلَم"، وقد تصل الهزات في تلك المنطقة إلى ٦٠ هزة في اليوم الواحد، وهي هزات ضعيفة وكأنها ناتجة من تفجير عبوات ناسفة محدودة أو طلقات مدافع بعيدة. ويَذكر بدو الصحراء الشرقية بمصر أن أجدادهم كانوا يسمعون تلك الدبدبات، لذا أطلقوا على المنطقة اسم أبو دَبّاب. ومن الطريف أن هناك منطقة أخرى

بالقرب من أبو دبّاب تسمى "أبو مدافع" لكثرة وقوع الزلازل البركانية فيها والتي تصدر عنها أصوات مثل طلقات المدافع (سليمان، ١٩٩٦).

خريطة الزلازل

إذا راقبنا مواقع الزلزال على خريطة العالم (شكل ٥) ، فسنجد أنها لا تنتشر بصورة عشوائية، وإنما يتركز معظمها في أحزمة رئيسية تمتد مسافات طويلة عبر القارات والبحار (الشرقاوي، ١٩٩٢)، وأشهر تلك الأحزمة وأقواها ذلك الممتد بطول الساحل الشرقي للمحيط الهادئ، ويشكل شريطا طويلا يحاذي غرب الأمريكتين واليابان والفلبين ويصل إلى استراليا ونيوزيلندا مشكلا نحو ٦٨% من زلازل العالم، منها مثلا تلك التي حدثت في ألاسكا عام ١٩٦٤ وبيرو عام ١٩٧٠ وشيلي عام ١٩٨٥ واليابان في الفترة ١٩٢٣-١٩٩٥. ويعرف هذا الحزام بـ "حلقة النار" لأن الزلازل فيه تترافق غالبا مع انبثاق بركاني، مثلما حدث في كولومبيا في ١٤ نوفمبر ١٩٩٢ حيث انبثقت في اليوم التالي لحدوث الزلزال حمما بركانية على جبال الأنديز (شكل ٦).

هناك أيضا الحزام الثاني على طول الساحل الغربي للمحيط الهادئ، بدءا بجزر اليابان شمالا حتى إندونيسيا جنوبا، مرورا بقوس جزر تايوان. أما الحزام الثالث المعروف بحزام جبال الألب فيمتد عبر أفريقيا وأوروبا وآسيا، من جبال أطلس شمال أفريقيا، عبر البحر الأبيض المتوسط وإيطاليا واليونان وتركيا، حتى الصين، ويعرف هذا النطاق بحزام جبال الألب وفيه نحو ٢١ في المائة من زلازل العالم. غير أن الزلازل تحدث أحيانا في مناطق لا علاقة لها بالأحزمة الزلزالية الثلاثة، فتنبع من داخل الصفيحة مثلما حدث في زلزال القاهرة في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٢.

وتتصف هذه الأحزمة، فضلا عن كثرة زلازلها، بنشاطها البركاني. ويعزى ذلك إلى وقوعها عند التقاء الصفائح التي تكون قشرة الأرض الخارجية. والصفائح ترق تحت المحيطات وتكثف تحت القارات، وهي كما ذكرنا تطفو فوق طبقة أخرى من طبقات الأرض مكونة من صخور ثقيلة لزجة وساخنة، مما يساعد على انزلاق صفائح قشرة الأرض. وقد كشفت الأقمار الصناعية أن الصفائح تتحرك بين سنتيمتر واحد وعشرة سنتيمترات في السنة.

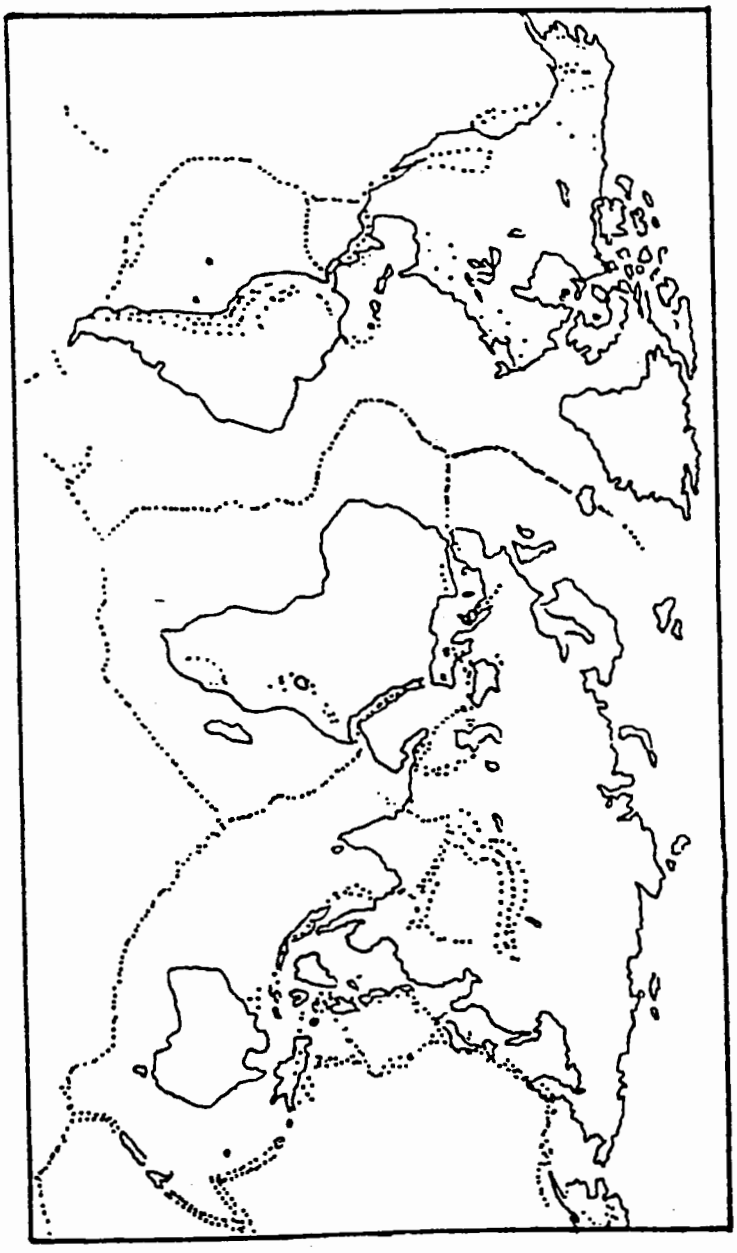

شكل ٥. توزيع النشاط الزلزالي في العالم. النقاط تشير إلى موقع الزلازل.

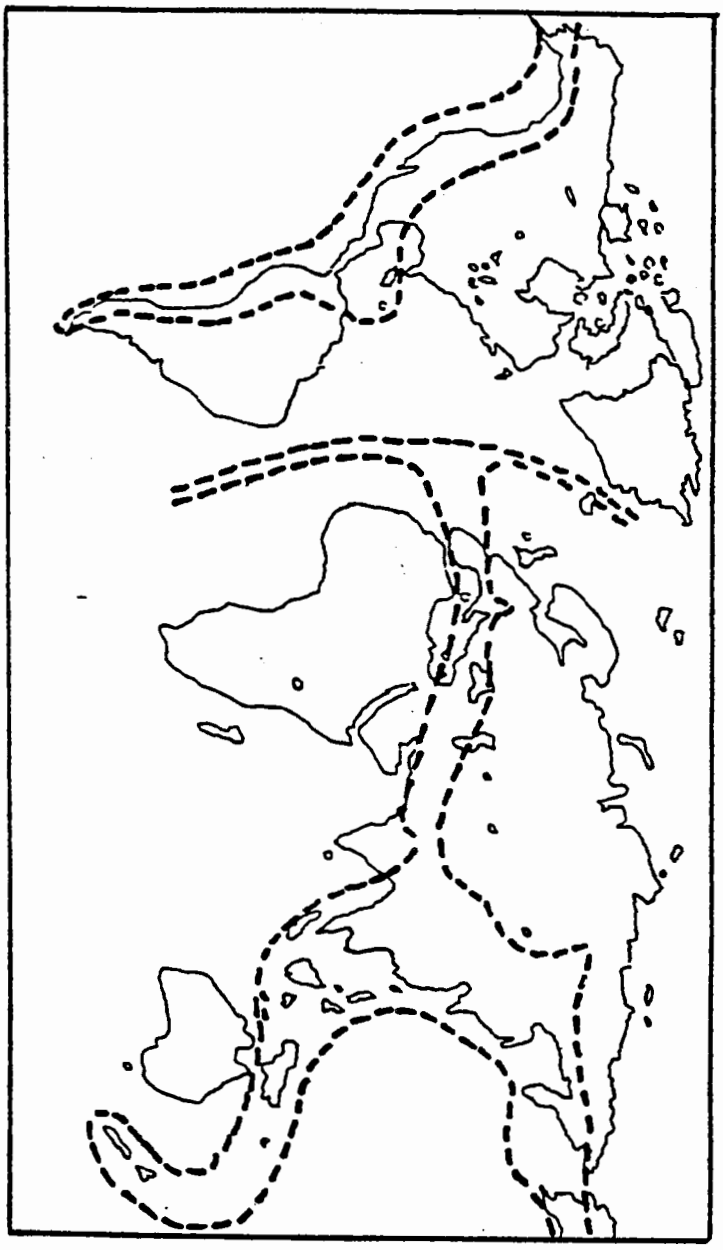

شكل ٦. خريطة تبين أحزمة الزلازل في العالم (قارن الشكل مع شكلي ٤ و٥).

وفي منطقة الشرق الأوسط وإيران، فإن أكثر المناطق تعرضا لضربات الزلازل تلك التي تقع بمحور الزلازل القصوى الذي يمر بجزيرة قبرص وبشمال البحر الأبيض المتوسط والذي يشير إلى موقع انزلاق اللوح الأفريقي تحت اللوح الأوراشي (شكل ٧) (الشرقاوي، ١٩٩٢). ومن المناطق الأخرى المعرضة جوانب البحر الأحمر وخليج العقبة وخليج السويس وخليج عدن ومنطقة البحر الميت والمناطق القريبة من جبال طوروس وزاجروس، بالإضافة إلى شمال غرب القارة الأفريقية. وتبين إحصائيات الزلازل التاريخية أن مدينة إنطاكية كانت أكثر المدن العربية تعرضا لضربات الزلازل عبر التاريخ، يليها بالترتيب: القاهرة، بغداد، حلب، دمشق، القدس، الموصل، الاسكندرية، بيروت، صنعاء.

أقدم وأخطر زلازل التاريخ

لعل أقدم الزلازل المدونة في التاريخ، ذلك الذي ضرب مدينة "تلّ بسطة" بالزقازيق بمصر في نحو عام ٢٠٠ ق.م.، وذكره المؤرخ المصري القديم مانيتون. وقد أحدث هذا الزلزال الذي يقدره البعض بنحو ٧ درجات على مقياس ميركالي المعدل، خسائر كبيرة في منشآت ومعابد تل بسطة– وكانت مدينة مشهورة تقع على الفرع البوباسطي للنيل الذي كان يمتد من تل بسطة حتى "بالوظة" في شبه جزيرة سيناء. وما زالت أحجار هذه المعابد مبعثرة بصورة توحي بشدة الزلزال، وامتد أثره إلى مسافة تبعد نحو ٧٠ كيلومترا إلى الشرق من تل بسطة. وماتزال الشقوق واضحة في بعض الرواسب الطينية في قرية حسن داود بالقرب من التل الكبير (سليمان، ٢٠٠٢).

ثم زلزال منطقة كلابشة بجنوب مصر في سنة ١٢١٠ ق.م. أيضا زلزال واحة سيوة بالصحراء الغربية عام ٢٢١ ق.م.، والذي أحدث خسائر كبيرة في نحو مائة موقع في ليبيا، ووقع مركزه في وسط إيطاليا وبلغت شدته في مركزه نحو عشر درجات على مقياس ميركالي المعدل (نحو ٧,٣ درجة على مقياس ريختر)، وشدته في واحة سيوة بلغت سبع درجات على مقياس ميركالي المعدل (٥,٥ درجة على مقياس ريختر).

وقد وقع أكبر عدد من ضحايا الزلازل التاريخية العنيفة في الوطن العربي، يليه بالترتيب: الصين، إيطاليا، اليابان، الهند، تركيا، إيران، البرتغال، بيرو، القوقاز...

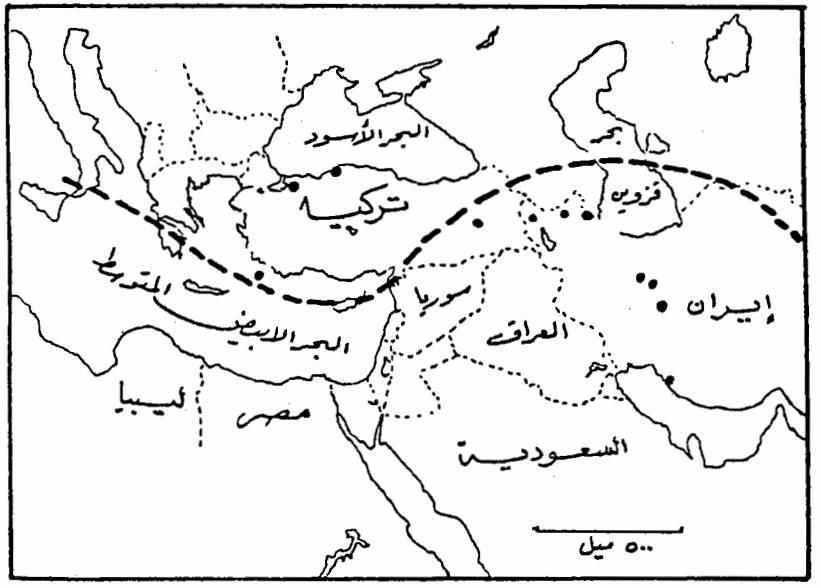

شكل ٧. الأخطار الزلزالية بشرق المتوسط ومواقعها الشديدة. الخط السميك المتقطع: محور الأخطار الزلزالية القصوى لمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وإيران. النقاط السوداء: مواقع الزلازل الشديدة.

وعلى مستوى الزمان، شهد القرن العشرون أكبر عدد من ضحايا الزلازل العنيفة، يليه بالترتيب: القرن الثالث عشر، القرن السادس عشر، القرن الحادي عشر، القرن الثامن عشر، القرن السابع عشر (سليمان، ١٩٩٦). ويوضح (شكل ٨) الزلازل التاريخية التي حدثت بمصر والمناطق المحيطة في الفترة من عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد حتى عام ١٨٩٩م (رياض وآخرين، ٢٠٠٤).

كما تعد الزلازل التالية أخطر زلازل مسجلة تاريخيا: زلزال سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م الذي ضرب مصر والشام والعراق وبلاد الروم، ووصفه الإمام جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١٣هـ) بـ "الزلزلة العظمى التي عمت أكثر الدنيا وهلك بسببه ألف ألف ومائة ألف نسمة" كما يروي في كتابه "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" (السيوطي، ١٩٨٤م محقق)، ثم زلزال عام ١٥٥٦م في مقاطعة شنسي بالصين وراح ضحيته نحو ٨٣٠ ألف شخص، وزلزال عام ١٩٧٦ في مقاطعة هوبي بالصين أيضا وراح ضحيته أكثر من ٥٠٠ ألف نسمة (سليمان، ١٩٩٦).

الزلازل في كتب التراث

الزلازل كما ذُكر، ظاهرة قديمة وأثارها معروفة. وقد أفاض المؤرخون العرب والمسلمون القدامى في وصف الأحداث الزلزالية وأثارها التي ألمت بالعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ووصفوا كثيرا من الظواهر الجيولوجية المصاحبة والمسببة لها.

ومن أشهر كتب التراث العربي التي تضم معلومات قيمة عن الزلازل التاريخية مايأتي:

- "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة"، للإمام جلال الدين السيوطي.
- "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، لابن العماد الحنبلي.
- "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، لابن الجوزي.
- "الروضتين في أخبار الدولتين"، للمقدسي الشافعي.
- "حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"، للإمام جلال الدين السيوطي.
- "مفاكهة الخلان في حوادث الزمان"، لابن طولون.
- "تاريخ إيليا برشينابا"، محقق.

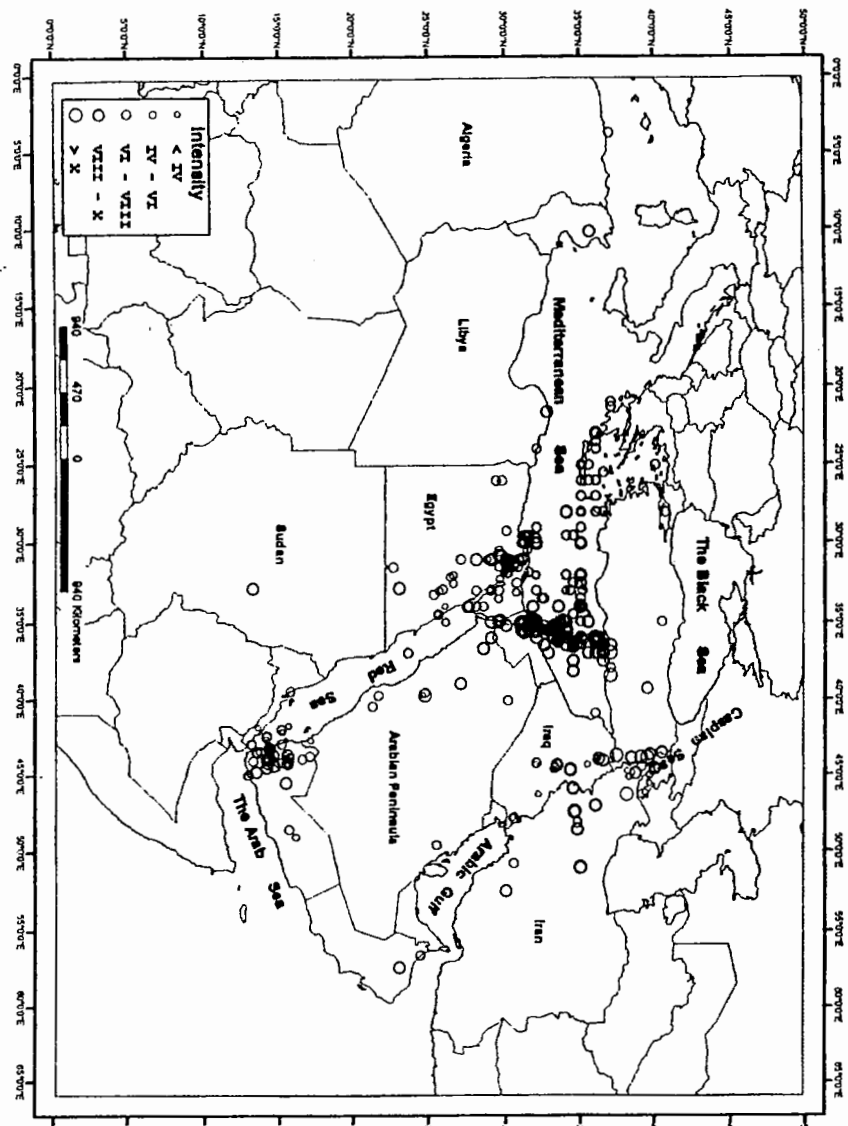

شكل ٨. الزلازل التاريخية التي حدثت بمصر والمناطق المحيطة في الفترة من عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد حتى عام ١٨٩٩م.

. "تاريخ الخلفاء"، للإمام جلال الدين السيوطي.
. "الأنيس المطرب بروض القرطاس"، لابن أبي زرع.
. "تاريخ حضرموت"، لصالح العلوي.

وفي كتاب الإمام جلال الدين السيوطي "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" (السيوطي، ١٩٨٤م محقق) قام بترتيب الأحداث الزلزالية التي وقعت في العالم الإسلامي منذ عام ٢٠ هجرية حتى وفاته، كما ذَكر أيضا بعض الأحداث الزلزالية الأسطورية منذ عهد آدم عليه السلام.

وفي كتب التراث العربي، وصف رائع للزلازل البركانية التي كانت تقع في المنطقة العربية، فيحدث الإمام جلال الدين السيوطي في كتابيه: "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة"، و"تاريخ الخلفاء" (السيوطي، ١٩٥٩ محقق) عن زلزال بركاني وقع في المدينة المنورة بقوله "وفي سنة ستمائة وأربع وخمسين للهجرة يوم الاثنين مستهل جمادي الآخرة، وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه الرعد البعيد تارة وتارة، أقام على هذه الحالة يومين، فلما كانت ليلة الأربعاء، تعقب الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان واضطرب المنبر الشريف، وسمع لها صوت كدوي الرعد، وارتجف القبر الشريف، واستمرت الزلزلة ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر، وظهرت النار من الحرة (البركان). ويضيف الإمام السيوطي في كتابه "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" أن شاعرا عبّر عن هذا الحدث بقوله:

يا كاشف الضُر صفحا عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
زلازل تخشع الصُم الصلاب لها ... وكيف يقوَى على الزلزال سماء
أقام سبعا يرجّ الأرض فانصدعت ... عن منظر من عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض إرساء

وواضح مما أورده الإمام السيوطي وقوع أصوات تشبه فرقعة الرعد، وهي أصوات ناتجة عن حركة الحمم في باطن الأرض، ثم وقوع الزلزلة وتصدع الأرض واندلاع الحمم التي سالت من الوديان وكأنها نهر يحمل سفنا من الجبال.

ووصف ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب" (الحنبلي، ١٠٨٩م) البركان الذي أحدث زلزال عام ٦٥٤هـ بقوله "كان ظهور النار بظاهر المدينة المنورة وبقيت أياما قيل ثلاثة أشهر، وكانت نساء المدينة يغزلن على ضوئها، وظن أهل المدينة أنها القيامة ظهرت في وادي أصيلين في الحرة (البركان) الشرقية تدب دبيب النمل إلى جهة الشمال تأكل ما أتت عليه من أحجار وجبال".

زلازل القرن العشرين

حدث الكثير من الزلازل خلال القرن الماضي، وقد أتت تلك الزلازل على مدى القرن على أرواح مئات الآلاف من سكان المعمورة. ولم يحدّ التطور التكنولوجي من خسائر الأرواح إلا قليلا. ويقدر خبراء الزلازل الرقم السنوي للخسائر، التي طالت بني البشر جرّاء الزلازل خلال القرن العشرين، بنحو عشرة آلاف ضحية. لكن المعدل انخفض قليلا خلال الثماني عشرة سنة الماضية ليصل إلى ثمانية آلاف، ويعزى ذلك إلى احتمال أن بلدان العالم بدأت تأخذ حيطتها عن طريق بناء مساكن أكثر أمانا.

وتشير الإحصاءات إلى أن عدد الزلازل المسؤولة عن معظم الوفيات محدود، فمثلا في عام ١٩٩٨ سبب زلزالان، الأول في أفغانستان بقوة ٦,٩ درجة، والآخر في طاجيكستان شدته ٦,١ درجة، نحو ٧٠ في المائة من عدد ضحايا الزلازل في ذلك العام. إلا ان أقوى زلزال خلال السنة نفسها كانت شدته ٨,٣ درجة، غير أنه لم يؤذ أحدا نظرا لوقوعه تحت المحيط بين استراليا والقطب الجنوبي.

ويرى العلماء أن الأبنية هي قاتلة البشر وليست الزلازل نفسها، وأن التوجه نحو أبنية لا تتأثر بهزات الأرض قد حدّ من الخسائر بالأرواح، بالرغم من الزيادة في عدد سكان بكرتنا الأرضية. لكن ارتفاع الكثافة السكانية في المدن، يجعل من العسير توفير مساكن مأمونة من الانهيار في البلدان المتطورة، فكيف الحال بالبلدان الفقيرة، إضافة إلى أن رداءة نوعية البناء والمواد المستخدمة فيه تسبب سرعة انهيار المباني وتساهم في رفع أرقام الضحايا.

وفيما يلي تاريخ زلازل مدمرة وقعت في المائة عام الأخيرة:

. ١٩٠٦: سلسلة من الهزات العنيفة مدتها دقيقة واحدة ضربت سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة وقتلت نحو ٣ آلاف شخص بسبب انهيار المباني أو بسبب الحرائق.

. ١٩٢٣: زلزال كانتو ومركزه خارج العاصمة اليابانية مباشرة، حصد أرواح ١٤٢ ألف شخص في طوكيو.

. ١٩٣١: زلزال شدته ٥,٥ درجة بمقياس ريختر مركزه ساحل بحر الشمال في بريطانيا. كانت الخسائر بالأرواح قليلة.

. ١٩٤٨: زلزال فوكوي في شرق بحر الصين، دمر مناطق غرب اليابان وقتل نحو ٣٧٠٠شخص.

. ١٩٥٠: زلزال عنيف ضرب ولاية أسام شمال شرقي الهند، أدت الهزات إلى تسجيل مستويات مختلفة الشدة، إلا أنها سُجلت رسميا بـ ٩ درجات بمقياس ريختر.

. ١٩٥٤: زلزال ضرب مدينة الأصنام (الشلف حاليا) الجزائرية، التي كان اسمها آنذاك أورليانزفيل وقتل نحو ١٦٥٠ شخص.

. ١٩٦٠: أقوى زلزال على النطاق العالمي سجل في شيلي، وبلغت قوته ٩,٥ على مقياس ريختر، وقد أزال عن وجه الأرض قرى بكاملها وقتل الآلاف من البشر.

. ١٩٧٦: تحولت مدينة تانغشان الصينية إلى أنقاض بفعل زلزال أتى على أرواح ٥٠٠ ألف شخص.

. ١٩٨٠: مقتل المئات في هزات أرضية في مناطق جنوب إيطاليا.

. أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٠: زلزالان عنيفان متتاليان الأول بقوة ٧,٣ درجة والثاني بقوة ٦,٣ درجة بمقياس ريختر، يضربان مدينة الأصنام (الشلف حاليا) في غرب الجزائر ويؤديان الى مقتل نحو ٣ آلاف شخص ويدمران معظم أجزاء المدينة.

. سبتمبر/أيلول ١٩٨٥: زلزال عنيف يهز العاصمة المكسيكية يدمر المباني ويقتل ١٠ آلاف شخص.

. ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٨: زلزال بقوة ٦,٩ درجة بمقياس ريختر يدمر شمال غربي أرمينيا ويقتل ٢٥ ألف شخص.

. أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٩: زلزال لوما بريتا يضرب كاليفورنيا ويسبب مقتل ٦٨ شخصا ويلحق أضرارا بقيمة سبعة ملايين دولار.

. ١٩٩٠: مقتل أكثر من ٤٠ ألف شخص في منطقة غيلان شمال ايران.

. أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٢: زلزال بقوة ٥,٨ درجة يضرب مصر ويؤدي إلى مقتل نحو ٣٧٠ وإصابة أكثر من ٣ آلاف شخص. كان مركز الزلزال جنوب غربي القاهرة بالقرب من الفيوم والجيزة التي ضربت بعنف.

. سبتمبر/أيلول ١٩٩٣: زلزال يؤدي إلى مقتل نحو ٢٢ ألف قروي في جنوب وغرب الهند.

. يونيو/حزيران ١٩٩٤: مقتل ألف شخص في زلزال وانزلاقات أرضية في كولومبيا.

. يناير/كانون الثاني ١٩٩٥: زلزال يهز مدينة كوبي اليابانية ويؤدي إلى مقتل نحو ٦٤٠٠ شخص.

. مايو/أيار ١٩٩٥: زلزال بقوة ٧,٥ درجة يضرب جزيرة ساخالين الروسية النائية ويقتل نحو ٢٠٠٠ شخص.

. نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٥: زلزال يضرب منطقة الشرق الأوسط، مركزه في خليج العقبة ويشمل مناطق الساحل السياحية في مصر، إضافة إلى الأردن وإسرائيل والمملكة العربية السعودية، ويشعر به سكان لبنان وسوريا وقبرص.

. فبراير/شباط ١٩٩٧: زلزال بقوة ٥,٥ درجة بمقياس ريختر يهز المناطق الريفية في شمال غربي إيران ويقتل ألف شخص. وبعد ثلاثة أشهر تقع هزات عنيفة تؤدي إلى مقتل نحو ١٥٠٠ شخص في شرق ايران.

. مايو/أيار ١٩٩٨: زلزال في أفغانستان يقتل ٤ آلاف شخص.

. يونيو/حزيران ١٩٩٨: هز زلزال منطقة أضنه في جنوب شرقي تركيا، مما أدى إلى مقتل ١٤٤ شخصا. وبعد أسبوع من ذلك شهدت المنطقة هزتين ارتداديتين سببت جرح أكثر من ألف شخص.

. يوليو/تموز ١٩٩٨: قُتل أكثر من ألف شخص في الساحل الشمالي الغربي في بابوا غينيا الجديدة بفعل الأمواج التي سببها زلزال وقع تحت سطح البحر.

. يناير/كانون الثاني ١٩٩٩: هزة أرضية في مدينة أرمينيه الكولومبية قتلت نحو ألف شخص.

. مارس/آذار ١٩٩٩: زلزالان هزّا أتار براديش في شمال الهند وأديا الى مقتل أكثر من ١٠٠ شخص.

. أغسطس/آب ١٩٩٩: زلزال تتراوح قوته ٦,٨ درجة و٧ درجات بمقياس ريختر يهزّ شمال غربي تركيا مسببا عشرات الآلاف من القتلى والجرحى.

. سبتمبر/أيلول ١٩٩٩: هزة أرضية قوية تقع في اليونان وتبلغ شدتها ٥,٩ درجة بمقياس ريختر، ومركزها بالقرب من أثينا. أدت الهزة إلى مقتل ٤٩ شخصا.

. سبتمبر/أيلول ١٩٩٩: أعنف زلزال يضرب تايوان تبلغ قوته ٧,٦ درجة بمقياس ريختر، يؤدي إلى مقتل ١٥٠٠ شخص وإصابة وتشريد آلاف آخرين (شكل ٩).

. نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٩: مع أفول القرن تتعرض تركيا مرة أخرى لزلزال عنيف تزيد قوته على ٧ درجات أودى بأرواح أكثر من ٤٥٠ شخصا.

. ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٩: في الأيام الأخيرة من القرن العشرين زلزال شدته ٥,٨ درجة يضرب مناطق في غرب الجزائر ويقتل ٢٨ شخصا ويصيب ١٧٥ آخرين.

آسيا وكوارث الطبيعة

كشف تقرير للأمم المتحدة، أنه خلال الفترة من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٣، حدث تضرر لنحو ٢,٥ مليار شخص حول العالم نتيجة للكوارث الطبيعية، وذلك بزيادة قدرها ٦٠% على العقدين السابقين، وأن أكثر من نصف هؤلاء الضحايا قد سقطوا خلال فيضانات وزلازل. وتمثل آسيا أكثر القارات تضررا خلال الفترة المذكورة. كما يعد عام ٢٠٠٢ أكثر الأعوام التي شهدت كوارث طبيعية، حيث تضرر الملايين من الفيضانات في آسيا، ومن الجفاف في الهند وإثيوبيا وزيمبابوي.

وهناك بالفعل تاريخ طويل لآسيا مع الكوارث الطبيعية، فقد حصدت تلك الكوارث أكبر عدد من الأرواح على مر السنين، خاصة تلك التي تضمنت زلزالا ومدا بحريا. فالمد

البحري الذي اجتاح سواحل آسيا مؤخرا حاصدا أرواح مئات الآلاف، ليس أفظع ما عرفته هذه القارة، إذ شهدت على مر السنين كوارث طبيعية من الأسوأ في العالم.

ففي عام ١٩٢٠، ضربت هزة أرضية مقاطعة نينغزيا في شمال غرب الصين، وهي البلد الأكبر سكانا في العالم، وأسفرت عن مقتل نحو ٢٠٠ ألف شخص. وبعد ثلاث سنوات، ضرب زلزال عنيف مدينة يوكوهاما اليابانية مما تسبب باندلاع حرائق عملاقة أسفرت عن مقتل ١٤٣ ألف شخص.

وفي السنين الإثنا عشر التي تلت، شهدت الصين سلسلة من الكوارث الطبيعية، وعاش هذا البلد أسوأ الكوارث التي حلت بالعالم في تلك الحقبة. وفي مايو/أيار ١٩٢٧ قُتل ٢٠٠ ألف شخص في زلزال ضرب مدينة ناشان جنوب البلاد. وبعد خمس سنوات فقط أودى زلزال آخر ضرب مقاطعة غانسو شمال غرب الصين أيضا بحياة ٧٠ ألفا. واستمرت الكوارث الطبيعية باستهداف هذا البلد الذي بات معتادا عليها. وأسفرت السيول والفياضانات سنويا عن مقتل الآلاف، لكن الفيضانات الأسوأ حدثت عام ١٩٣١ عندما فاض نهر يانجتسي وأغرق نحو ثلاثة ملايين شخص.

وحصدت الفيضانات في بنجلاديش أيضا أعدادا هائلة من الضحايا، كالإعصار الذي ضرب جنوب البلاد عام ١٩٤٢ وقتل ٦١ ألف شخص. وفي عام ١٩٧٠ أتت الفيضانات والسيول الضخمة التي اجتاحت بنجلاديش بسبب إعصار وأمواج تسونامي على أرواح ٣٠٠ ألف شخص. وبعد ست سنوات، في ٢٨ يوليو/تموز ١٩٧٦ في الساعة ٠٣,٤٨، هز زلزال عنيف مدينة تانغشان في شمال الصين مما أسفر عن مقتل ٢٤٢ ألف شخص وفق الأرقام الرسمية. وشأنهم شأن سكان سواحل جنوب وجنوب شرق آسيا الذين جرفتهم الأمواج العاتية في نهاية عام ٢٠٠٤، لم يتلق سكان تانغشان أي انذار بحدوث هذه الكارثة التي حلت بهم وهم نيام، وقد دمر الزلزال الذي استمر ١٥ ثانية ٩٣% من المباني السكنية. وكانت بنجلاديش حتى المد الأخير قد شهدت كارثة من أسوأ الكوارث المعاصرة مع مقتل ١٣٩ ألف شخص عام ١٩٩١ في فياضانات ضخمة.

إيران والزلازل

تعتبر إيران من الدول المبتلاة بالزلازل إلى حد كبير. وخلال الثلاثة عقود الأخيرة حدث بها نحو ١٣ زلزالا عنيفا، كان آخرها ما حدث في أواخر فبراير ٢٠٠٥. وفيما يلي تسلسل زمني لأبرز الزلازل التي شهدتها أنحاء إيران في تلك العقود:

. ١٠ أبريل/نيسان ١٩٧٢: زلزال بلغت قوته ٧,١ درجات على مقياس ريختر ضرب جنوبي البلاد وأدى إلى مقتل ٥٣٧٤ شخصا.

. ٢٢ مارس/آذار ١٩٧٧: زلزال بلغت قوته ٧ درجات على مقياس ريختر ضرب المنطقة الساحلية القريبة من مدينة بندر عباس جنوبي البلاد وأدى إلى مقتل ١٦٧ شخصا.

. ٧ أبريل/نيسان ١٩٧٧: زلزال بلغت قوته ٦,٥ درجات على مقياس ريختر ضرب محافظة أصفهان وسط البلاد وأدى إلى مقتل ٣٥٢ شخصا.

. ١٦ سبتمبر/أيلول ١٩٧٨: زلزال بلغت قوته ٧,٥ درجات على مقياس ريختر ضرب شرقي إيران وأدى إلى مقتل ٢٥ ألف شخص.

. ١٤ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٩: زلزال بلغت قوته ٥,٦ درجات على مقياس ريختر ضرب شمالي شرقي البلاد وأدى إلى مقتل ٤٠٠ شخص.

. ١١ يونيو/حزيران ١٩٨١: زلزال بلغت قوته ٦,٨ درجات على مقياس ريختر ضرب محافظة كرمان جنوبي شرقي البلاد وأدى إلى مقتل ١٠٢٧ شخصا.

. ٢١ يونيو/حزيران ١٩٩٠: زلزال بلغت قوته ٧,٧ درجات على مقياس ريختر ضرب مدينة رودبار شمالي البلاد وأدى إلى مقتل ٣٥ ألف شخص.

. ٢٨ فبراير/شباط ١٩٩٧: زلزال بلغت قوته ٥,٥ درجات على مقياس ريختر ضرب مدينة أردبيل شمالي غربي البلاد وأدى إلى مقتل ألف شخص.

. ١٠ مايو/أيار ١٩٩٧: زلزال بلغت قوته ٧,١ درجات على مقياس ريختر ضرب مدينة بيرجند شرقي البلاد وأدى إلى مقتل ١٥٦٠ شخصا.

. ٢٢ يونيو/حزيران ٢٠٠٢: زلزال بلغت قوته ٦,٣ درجات على مقياس ريختر ضرب محافظة قزوين شمالي البلاد وأدى إلى مقتل ٢٢٩ شخصا.

. ٢٦ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٣. زلزال بلغت قوته ٦,٣ درجة على مقياس ريختر ضرب مدينة بم الواقعة جنوبي شرقي إيران، مسببا أكثر من ٣٠ ألف قتيل و٥٠ ألف جريح وتدمير أكثر من ٧٠% من مباني المدينة بما في ذلك قلعة بَم التي تعتبر من أهم المعالم التاريخية في إيران والعالم (شكل ١٠).

. ٢٢ فبراير/شباط ٢٠٠٥. زلزال قوته ٦,٤ درجات على مقياس ريختر يقع مركزه على بعد ٦٠ كيلومترا شمال غرب كرمان جنوب شرق إيران، أسفر عن مقتل المئات وجرح الآلاف وتدمير قرى كاملة (قناة "الجزيرة" ٢٢ فبراير).

زلزال جنوب آسيا ٢٠٠٤

بعد نحو ست سنوات من أسوأ موجة مد بحري شهدها العالم في التاريخ الحديث، والتي ضربت الساحل الشمال الغربي لبابوا غينيا الجديدة في ١٧يوليو/تموز ١٩٩٨ وتسببت في مقتل٢٥٠٠ شخص، شهد العالم خامس أشد زلزال منذ عام ١٩٠٠م. ففي يوم ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤م، وقع زلزال بحري قبالة ساحل إقليم آتشيه بجزيرة سومطرة شمال إندونيسيا بقاع المحيط الهندي، وبلغت شدته ٨,٩ درجة على مقياس ريختر. وقد ضرب دول جنوبي شرقي آسيا، وانتقل شمالا إلى جزيرتي انداما ن ونيكوبار بالمحيط الهندي، وأعقبته نحو عشرة توابع قوية. وتسبب الزلزال في وقوع أمواج مد بحري عاتية وصل ارتفاعها في بعض المناطق أكثر من عشرة أمتار اجتاحت إندونيسيا وسريلانكا وسواحل الهند وتايلاند وماليزيا وجزر المالديف، وامتدت تأثيراته حتى سواحل عمان وكينيا، وقد أسفر ذلك عن مقتل مئات الآلاف. ولم يشهد العالم منذ عام ١٩٦٤م زلزالا يضاهي قوة ذلك الزلزال العنيف الذي أودى بحياة أكثر من ٣٠٠ ألف شخص.

وقد وقع مركز الزلزال إلى الغرب من القسم الشمالي من جزيرة سومطرة على بعد ٢٥٠ كيلومترا من الساحل الجنوبي الشرقي لباندا آتشيه وعلى بعد ٣٢٠ كيلومترا إلى الغرب من مدينة ميدان. ورغم أن زلزال شيلي لعام ١٩٦٠ يعد الأعنف الذي تم تسجيله منذ مطلع ١٩٠٠ حيث بلغت قوته ٩,٥ درجات، فإن زلزال جنوب آسيا الأخير يعد الأكثر فتكا بالممتلكات والأرواح.

وقد أوضح مدير المعهد الوطني الإيطالي للجيوفيزياء، أن قوة ذلك الزلزال حدث نادر للغاية، مضيفا أن الزلازل كما هو معروف تنتج عن تغييرات في قشرة الأرض بسبب تجمع طاقة هائلة، وعندما تبلغ الطاقة المتجمعة والتغير مستوى خطيرا يحدث انكسار وتكون شدة الزلزال بقدر ما يكون الانكسار قويا. وفي حالة زلزال جنوبي شرقي آسيا الأخير تفاقم الوضع، لأن الانكسار حدث في عرض البحر، مما تسبب في ارتفاع عنيف في موج البحر انتقل بسرعة هائلة.

هذا وسوف يتم في الفصل التالي عرض للمد البحري الهائل الناجم عن هذا الزلزال وفي الفصول التالية عن تداعيات ذلك المد المترتب عن زلزال آسيا، والتجاوب العالمي تجاهه وأثره في الفكر الإنساني، ومواجهة المد الزلزلي محليا وعالميا.

زلزال الصين ٢٠٠٤

بعد يوم واحد من زلزال سومطرة بجنوبي آسيا، ضربت هزة أرضية بلغت قوتها ٥ درجات على مقياس ريختر فجرا مقاطعة "يونان"، أقصى جنوب الصين. وأشارت التقارير إلى أن الهزة أسفرت عن مصرع شخص وإصابة وتشريد العشرات، فضلا عن تدمير ١٧٠ منزلا بشكل جزئي أو كلي وتخريب الشبكة الرئيسية لإمدادات المياه في المقاطعة المذكورة.

وأوضح رئيس مكتب مكافحة الزلازل بالمقاطعة، أن مركز الهزة يقع في بلدة مالونغ بمحافظة تشوان باي، مشيرا إلى أن التحاليل والفحوصات التي أجريت للطبقات الجيولوجية أثبتت أنها في حال نشاط بركاني، الأمر الذي يزيد احتمالات وقوع سلسلة من الهزات الأرضية الارتدادية، وهو ما دفع السلطات المحلية إلى الإعلان عن حاله الطوارئ بعموم المقاطعة. والصين كما ذكر تقع منطقة زلازل حوض الباسفيك، مما يعرضها لهزات أرضية متفاوتة على مدار العام (موقع "JANA" ٢٧ ديسمبر).

قياس الزلازل

شدة الزلزال

يوجد نحو خمسون مقياسا لشدة الزلازل، أقدمها ذلك الذي وضعه رسام الخرائط الإيطالي جاستالدي عام ١٥٦٤. ويعتقد بعض العلماء أن ذلك كان نتيجة أن جنوب أوروبا، شاملا إيطاليا، من أكثر المناطق الأوروبية تعرضا للزلازل، وكانت تلك المناطق في نفس الوقت أكثر التصاقا ومعرفة بالثقافة والعلوم والحضارة العربية والإسلامية خلال فترات ازدهارها في العصور الوسطى. ومن هذه العلوم ما يتعلق بعلوم الأرض عامة والزلازل خاصة، بأسبابها ووصفها، كما جاء بمؤلفات عدد كبير من الفلاسفة والعلماء العرب المسلمين في ذلك الوقت، مثل جابر بن حيان وابن سينا وغيرهما. وكانت صقلية إحدى المعابر التاريخية الشهيرة التي انتقلت خلالها الحضارة من الشرق الإسلامي إلى الغرب، ومعها تراث العرب والمسلمين الذي أضاء للغرب الأوروبي طريقه إلى عصر نهضته الحديثة. وقد استمر العرب في صقلية زهاء ثلاثة قرون (٢١٢-٤٨٤ هـ)، وكانت الحضارة مزيجا من الثقافة العربية واللاتينية والإغريقية، وكانت الصدارة بالطبع للثقافة العربية.

وعندما زالت دولة العرب وجاء الحكام النورمانديون، أبقوا على عناصر الثقافة العربية واعتنوا بها، وأنشأ الملك روجر النورماندي جامعة بالريمو، أقدم جامعة غربية، وشجع ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية، واستقدم العلماء العرب، ومنهم الشريف الإدريسي الجغرافي المغربي الشهير، وطلب منه وضع كتاب عن جغرافية المعمورة. وقد ألف الإدريسي بالفعل كتابه الشامل "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، وصنع نموذجا للكرة الأرضية من الفضة، وكتب عليها أسماء الأقاليم والمدن الكبرى بماء الذهب. وفي القرن الثالث عشر الميلادي أسس الأمير فردريك جامعة نابولي وجعلها مدرسة لنقل العلم العربي إلى العالم الغربي، وكأنه أراد أن يقلد الرشيد في إنشائه جامعة بيت الحكمة في بغداد. لذا يستنتج العلماء أن جاستالدي قد اطلع على ما كتبه العرب عن الزلازل واقتبس منه ما أعانه على وضع مقياسه لشدة الزلازل، مثل ما فعل كثير من رواد النهضة الأوروبية (سليمان، ١٩٩٦).

ويعتبر مقياس ميركالي المعدل أشهر المقاييس الوصفية لشدة الزلزال، وضع أساسه العالم جويسب ميركالي Giuseppe Mercalli عام ١٩٠٢، وهو يتكون من ١٠ درجات وصفية. بعد ذلك قام العالم كانكاني بتمديد المقياس إلى اثنتي عشرة نقطة عام ١٩٠٤، وحاول ربطه بما تحدثه الهزات الأرضية لحبيبات التربة من تسارع إثر تعرضها للزلازل. وتسارع تلك الحبيبات يعني الحركة الذبذبية لها بفعل مرور الموجات الزلزالية بها، وعرف ذلك المقياس باسم مقياس ميركالي-كانكاني.

وفي عام ١٩٢٣ قام العالم سيبرج بإدخال بعض التعديلات على المقياس الأخير، ببيان أثر الزلازل وما تحدثه في الأشياء المرئية على الأرض، وعُرف هذا المقياس باسم ميركالي-كانكاني-سيبرج، ويتألف من اثنتي عشرة نقطة أيضا. وفي عام ١٩٣١ قام العالمان وود ونيومان بإدخال بعض التعديلات على المقياس الأخير، وعرف منذ ذلك الوقت بمقياس ميركالي المعدل، ويشار إليه بالحرفين (MM). وقام العالم تشارلز ريختر أيضا ببعض التعديلات على مقياس ميركالي المعدل عام ١٩٥٦.

وبجانب ذلك المقياس، يوجد عديد من المقاييس الوصفية الأخرى لشدة الزلزال، مثل مقياس "دي روسي- فوريل" الذي وضع عام ١٨٨٣ "والذي بُني عليه أساسا مقياس ميركالي المعدل"، والمقياس الروسي، والمقياس الياباني.

مقدار الزلزلة ومقياس ريختر

تعتبر المقاييس الوصفية لشدة الزلزال غير دقيقة، وذلك لاعتمادها على تقديرات شخصية وأوصافا غير محددة وسمات محلية وما شابهها، رغم استخدام تلك المقاييس للأرقام الحسابية. وقد بذل المتخصصون محاولات عديدة لوضع مقياس كمي لشدة الزلزال. وتعدّ محاولات العالم بينو جوتنبرج Beno Gutenberg، وتشارلز ريختر Charles Richter (كلاهما من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا CIT "المعهد الذي يعمل فيه العالِم دكتور أحمد زويل حاليا") من أهم تلك المحاولات، التي كانت تهدف إلى إيجاد مقياس مطلق لشدة الزلازل مبني على طاقتها. وقد استخدم العالمان مفهوم المقدار الزلزالي بدلا من شدة الزلزلة. وشدة الزلزلة تقدر كما ذُكر، بتأثيرها على الإنسان ومنشآته على سطح الأرض، وتصل إلى أقصاها عند نقطة فوق المركز، وهي النقطة

على سطح الأرض المقابلة لبورة الزلزال في باطن الأرض، وتقل شدة الزلزلة تدريجيا بالبعد عن النقطة فوق المركز "البورة السطحية".

أما المقدار الزلزالي فيعتمد على السعة القصوى لإزاحة حبيبات التربة أثناء اهتزازها، وهذه تعتمد أساسا على كمية الطاقة المنطلقة من بؤرة الزلزال. ويتم قياس السعة القصوى هذه بواسطة جهاز رصد وتسجيل الزلازل أو السيزموجراف (سليمان، ١٩٩٦).

ويستخدم جهاز السيزموجراف في تسجيل الموجات المتولدة عن الزلزال. ويتم التسجيل على اسطوانة دوراة تدور بصفة دائمة بسرعة معروفة وبزمن محدد. وتلك الاسطوانة واقعة تحت إبرة تسجيل متصلة بكتلة ثقيلة معلقة في زنبرك مدلى من دعامة مثبتة جيدا في الأرض. وعند حدوث اهتزازات أرضية فإن الثقل "الكتلة" تبقى في مكانها بفعل القصور الذاتي، وتهتز الاسطوانة الدوارة تبعا لشدة الهزة، فتدون إبرة التسجيل قدرة هذه الاهتزازات. وتَستخدم الأجهزة الحديثة إضافات مغناطيسية وإلكترونية معقدة لتسهيل التقاط الهتزازات الأرضية، خاصة تلك التي لا يشعر بها الإنسان (الشرقاوي، ١٩٩٢).

ويستخدم الآن مقياس ريختر منقح على مستوى العالم لقياس المقدار الزلزالي، اعتمادا على تقدير سعة أكبر الموجات الزلزالية التي يتم تسجيلها بواسطة السيزموجرافات، مع الأخذ بالاعتبار مدى تكبير هذه الأجهزة للموجات الزلزالية عند تسجيلها. ويستخدم لهذا الأمر معادلة لوغاريمية خاصة، تم تعديلها عدة مرات ببعض العلماء. وقد قسم ريختر الهزات الزلزالية إلى درجات مختلفة المقدار الزلزالي وتبدأ بالمقدار واحد وتزيد على أساس لوغاريتمي، وعلى هذا الأساس فإن الزلزال الذي مقداره ٢ هو أقوى عشر مرات من الزلزال الذي مقداره ١، والزلزال الذي مقداره ٣ هو أقوى مائة مرة من الزلزال الذي مقداره ١ وهكذا (سليمان، ٢٠٠٢). بمعنى آخر، فإن فرق درجة واحدة على مقياس ريختر يعني زيادة عشرة أضعاف في السعة و٣٢ ضعفا في الطاقة. ويتم الآن حساب المقدار الزلزالي على مقياس ريختر بصورة روتينية في مختلف المراصد، على أن يؤخذ متوسط قراءات عدد من المراصد المحلية والعالمية

للزلزال الواحد. والمقدار الزلزالي لأكبر زلزال يتراوح مابين ٦ و٧ درجات على مقياس ريختر.

التنبؤ بالزلازل

في الحكايات الشعبية بدول الحضارة القديمة الواقعة بمناطق زلزالية، مثل مصر وحوض الرافدين والصين والهند واليابان وغيرها، ما يؤكد أن بعض الحيوانات يمكنها التنبؤ بوقوع الزلازل قبل حدوثها بأيام إلى ثوان. وتشير هذه الحكايات إلى أن الكلاب تنبح والديوك تصيح قبل وقوع الزلازل بوقت قصير، وترفض الحيوانات في حدائق الحيوان أن تأوي إلى حظائرها ليلا، وتخرج الثعابين والسحالي والثدييات الصغيرة من جحورها مذعورة، وتطير الحشرات في جماعات كبيرة قرب الشواطئ، وتتجه الماشية الطليقة صوب المرتفعات، وتهرب الطيور البرية من أعشاشها، وتصاب الحيوانات المستأنسة بهياج وذعر شديدين، وترفع الأرانب أذانها لأعلى وتظل تقفز دون هدف وترتطم بالأشياء من حولها، وتقفز الأسماك مذعورة فوق سطح الماء وغير ذلك (سليمان، ١٩٩٦).

ويفسَر السلوك غير العادي لتلك الحيوانات قبل وقوع الزلازل، بأن بعض حواسها تشعر بالتغيرات التي تحدث في صخور القشرة الأرضية قبل وقوع الزلازل. غير أنه لم يُعمل على تطوير واستغلال ذلك الاحساس في مجال التنبؤ بالزلازل، وإن كان الصينيون هم أكثر البشر حماسا واهتماما بهذا الموضوع. وقد تدرب الفلاحون الصينيون على مراقبة حيوناتهم المستأنسة لهذا الغرض، ولا غرابة في ذلك، فالصينيون كانوا أكثر الناس تعرضا لخسائر الزلازل منذ قديم الأزمان.

هذا وإن كان التنبؤ بمكان وزمان الزلازل أمرا بعيد المنال حتى اليوم، فإن هناك بعض المؤشرات التي توحي بإمكانية تحقيق هذا الهدف خاصة بالنسبة للزلازل المصاحبة لحركة القشرة الأرضية على الصدوع في باطن الأرض. ومن تلك المؤشرات: تولد وانطلاق غاز الرادون، التغيرات الفيزيائية في الصخور، التغير في المجال المغناطيسي، والتغير في مستوى الماء الجوفي.

هذا وتظهر الإحصائيات أن عدد ضحايا الزلازل العالمية يتبع نظاما معينا في تواتره عبر القرون، وهو ما يمكن وصفه بنبض النشاط الزلزالي، خاصة تعاقب فترات الهدوء والنشاط الزلزالي بالعالم، وبالتالي في عدد الضحايا. فالقرن الذي يقع فيه عدد كبير من الضحايا البشرية، يعقبه عادة قرن تهدأ فيه الأرض ويقل نشاطها التكتوني "البنائي" وبالتالي تقل فيه ثورة الزلازل ومن ثم ينخفض عدد الضحايا فيه. وعليه فإن القرن الحادي والعشرين قد تكون فيه البشرية أكثر حظا ويقل فيه عدد الزلازل بالعالم.

الفصل الثاني: ظاهرة تسونامي

. تسونامي وخطورته

. زلازل تسونامي عبر التاريخ

. تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤

. دور الإنسان والبيئة

. تسونامي في كتب التراث

. الخطر على البحر الأبيض المتوسط

. احتمالات تسونامي بالمنطقة العربية

. التنبؤ بتسونامي

الفصل الثاني

ظاهرة تسونامي

عندما تضرب الزلازل البحرية العنيفة قاع البحر أو المحيط، تتكون أمواج مائية عملاقة يطلق عليها تعبير تسونامي Tsunami، وهي كلمة يابانية الأصل تعني أمواج الموانئ (المقطع "تسو" يعني ميناء أو موانئ، و"تامي" يعني موجة أو أمواج) (شكل ١١) وإن كان يقصد بها ضمنا "أمواج البحر الزلزالية".

تسونامي وخطورته

يمر تسونامي أثناء نشوءه بثلاث مراحل هي التولد ثم الانتشار ثم الإغراق، ويكون كارثيا إذا داهم الجزر والشواطئ. وتختلف أمواج تسونامي عن الأمواج البحرية العادية في المصدر والسرعة والحجم، فأمواج البحر العادية تُستمد من تأثير حركة الرياح، أما أمواج تسونامي العملاقة والمتلاطمة فتُستمد من طاقة النبضات السيزميّة (الزلزالية) المنطلقة عن الزلازل البحرية العنيفة. وبينما لا يتجاوز ارتفاع الأمواج التقليدية أمتارا معدودة، فقد يصل ارتفاع موجة تسونامي إلى أكثر من ثلاثين مترا فوق منسوب المياه السطحي المعتاد (شكل ١٢).

والأمر كذلك من حيث الفرق في السرعة وطول الموجة. فتصل سرعة أمواج تسونامي في المحيط الهادئ بين ٥٠٠ و٧٠٠ كيلومتر وأحيانا ٨٥٠ كيلومتر/ساعة، وهي سرعة تضارع سرعة الطائرات، وهنا تكمن خطورة أخرى لتلك الأمواج. لذا فإن لأمواج تسونامي القدرة على الوصول وإحداث الضرر بمنطقة تبعد آلاف الأميال عن مركز انطلاقها، كأمواج زلزال منطقة أنكوراج في ألاسكا عام ١٩٦٤ حيث وصلت إلى كاليفورنيا التي تبعد أكثر من ٢٥٠٠ كيلومتر عن تلك المنطقة. كذلك قد يمتد تأثير أمواج زلزال المحيط الهندي إلى ساحل شرق أفريقيا، كما حدث في تسونامي جنوب آسيا الأخير.

وتتراوح المدة الفاصلة بين موجتين عملاقتين من بضع دقائق إلى عدة ساعات، وقد تصل المسافة بين قمتي موجتين متتاليتين إلى ١٥٠ كيلومترا. وبينما لا يتجاوز عرض الأمواج التقليدية أمتارا معدودة، يبلغ عرض موجة تسونامي عدة كيلومترات، وعلى هذا فإن كمية الماء التي تحملها هذه الأمواج وحجم الخسارة الناتجة عنها ليست موضع مقارنة بتلك المعهودة في نظيرتها العادية.

وتتكون أمواج تسونامي في أعماق المياه، وتطغى مياه البحر بفعلها، وعندما تقترب من الشاطئ فإن سرعتها تقل وتبدو كموجة عادية لكنها تتمتع بقوة شديدة للغاية، حيث ترتطم بعنف بالسواحل. وكلما قل عمق المياه تحت الأمواج مع اقترابها من الشاطئ تقل سرعتها، لكن ارتفاعها يزداد (شكل ١٣). ومن فرط شدة تلك الأمواج وقوتها عندما تضرب الشواطئ، فإنها تكون قادرة على تجريف رمال الشواطئ واقتلاع الأشجار بل وتدمير مدن بأكملها، حيث تصب ما يصل إلى ١٠٠ ألف طن من الماء على المتر المربع من الشاطئ، مؤدية عادة إلى خسائر فادحة في الممتلكات والأرواح أشد من الزلزال نفسه، فيمكنها أن تحدث دمارا شاملا فى أعتى وأقوى المنشآت الساحلية لضخامتها وقوتها، وتبدو كموجة عادية عندما تقترب من الشاطئ، لكنها تطغى فجأة على الساحل بما عليه محيلة إياه في لحظات إلى ركام وأطلال. وهي من القوة بحيث يمكنها أن تحمل صخور حوائط صد الأمواج، التي يصل وزن الواحدة منها عشرين طنا، وأن تقذف بها لمسافة عشرين مترا.

ولا تَحدث تلك الأمواج عادة إلا بسبب زلازل تفوق قوتها ٧,٧ درجة على مقياس ريختر. وتحدث هذه الظاهرة داخل المناطق التي تشهد حركة الصفائح التكتونية، مثلما هو الحال داخل بعض مناطق الباسفيك وآسيا، وذلك نتيجة انزلاق صفائح القشرة الأرضية عموديا بعضها على بعض، حيث أن الزلازل التي تنشأ عن انزلاقات أفقية في الصفائح لا تؤدي إلى تكون تلك الأمواج. هذا ويمكن لسلسلة صغيرة من التصدعات الصفائحية أن تخلف عدة ظواهر زلزالية في صورة تبادلات حرارية عنيفة يمكن أن تؤدي إلى انخفاض في الضغط يكون مصدرا لهبوب رياح عنيفة. رغم ذلك، فإن الزلازل ليست هي السبب الوحيد لحدوث أمواج تسونامي، لكنها الأغلب، يضاف إليها تأثيرات

الثورات البركانية، والانهيارات الصخرية العظيمة، وسقوط الأجسام الكونية الضخمة كالنيازك في البحر أو المحيط.

ويتواتر حدوث ظاهرة أمواج سونامي في منطقة المحيط الهادئ، حيث يوجد أكثر من نصف براكين العالم. وتعتبر ظاهرة تسونامي قليلة نسبيا، إذ أن قبل عام ٢٠٠٤ كانت آخر موجة من هذا النوع ضربت سواحل شمال غرب بابوازيا-غينيا الجديدة عام ١٩٩٨ وأسفرت عن مقتل ألفي شخص، كما كان آخر مد بحري ناتج عن انفجارات بركانية وأسفر عن مقتل الآلاف، كان عام ١٨٨٣ عندما قتل ٣٦ ألف شخص بفعل المد البحري الذي تسبب به انفجار بركان كراكاتوا في جزيرتي سومطرة وجاوا الإندونيسيتين.

زلازل تسونامي عبر التاريخ

عند تتبع أحداث تسونامي في التاريخ، نجد أن أقدمها ربما كان الذي ضرب الطرف الشمالي من بحر إيجه عام ٤٧٩ قبل الميلاد. وفي مصر، دمرت الأمواج البحرية الزلزالية العاتية، في زلزال وقع في ٨ أغسطس عام ١٣٠٣م، فنار الاسكندرية، الذي كان يرتفع فوق سطح الأرض حوالي ١٢٠ مترا، وقدرت قوة الزلزال المسبب للمد بقيمة ٥,٦ درجة. ودلت بعض البحوث على وقوع بؤرة ذلك الزلزال في جزيرة رودس بجنوب اليونان. وذكر العالم العربي الإمام السيوطي أن هذا الزلزال وأمواج البحر المرتفعة الناتجة عنه طغت ودمرت نصف الاسكندرية كما سيأتي الحديث لاحقا.

وبتتبع تواتر تسونامي نجد أنه يتخطى الألف، وذلك نتيجة زلازل تكتونية أو انفجارات بركانية بقاع المحيط أو البحار العميقة. وقد عرفت شواطئ المحيط الهادئ خلال القرن الماضي وبداية هذا القرن ٧٩٦ تسونامي حلت ١٧% منها بالشواطئ اليابانية.

ففي عام ١٨٨٣ حدث انهيار بركان كراكاتوا بإندونيسيا، الموجود بجزيرة كراكاتوا الواقعة بين جزيرتي جاوة وسومطرة في شرق الإنديز، وقد تكونت جزيرة كراكاتوا في الماضي نتيجة للانفجارات البركانية العنيفة التي تلفظ آلاف الأطنان من الحمم والطفوح والرماد البركاني، مما جعل قمتها عرضة للانهيار. وهو ماحدث بالفعل في ٢٧

أغسطس ١٨٨٣، وأدى إلى موجة تسونامي غاية في الخطورة وصل ارتفاعها ٣٥ مترا. وقد أغرقت هذه الموجة، التي تعد من المآسي الجيولوجية الطبيعية في التاريخ، ما يربو عن ٣٠ ألف شخص وجرفت في طريقها ١٦٥ قرية تماما. وقد امتد تأثير تلك الموجة بفعل طاقتها الهائلة، حتى ميناء الفريد بجنوب أفريقيا (هميمي، ١٩٦٩).

ومن أسوأ أمواج تسونامي التي عرفها التاريخ، تلك التي ضربت الساحل الشرقي من جزيرة هونشو اليابانية نتيجة زلزال بحري ضخم انطلق في ٥ يونيو عام ١٨٩٦، فأتت على الساحل الشرقي للجزيرة، في منطقة الصدع تحت البحري في أخدود اليابان، حيث اندفعت أمواج البحر الزلزالية نحو اليابسة بارتفاع نحو ٣٠ مترا وغمرت قرى بأكملها وجرفت أكثر من عشرة آلاف منزل وأغرقت نحو ٢٦ ألف شخص، وانتشرت الأمواج شرقا عبر المحيط الهادئ لتصل إلى جزيرة هيلو في هاواي، ثم توجهت إلى الساحل الأمريكي وانعكست مرتدة تجاه نيوزيلندا واستراليا.

وتعتبر أمواج تسونامي التي أثارها زلزال عام ١٩٤٦ في قاع المحيط الهادئ من أشد الأمواج وأكثرها دمارا في القرن الماضي، إذ بلغ ارتفاع الأمواج التي اجتاحت شواطئ جزيرة هاواي، عند منطقة هيلو، أكثر من ١٧ مترا، وأدى اجتياح الأمواج للشواطئ إلى تدميرها وإلحاق أضرار كبيرة بأكثر من ألف مبنى. وفي عام ١٩٥٢ شهدت منطقة كامتشاكا في روسيا تسونامي خلف ٥٠٠٠ قتيل.

وفي ٢٢ مايو/أيار ١٩٦٠ وقع زلزال بلغت درجته ٨,٣ بمقياس ريختر في شواطئ شيلي محدثا خسائر شملت جميع المدن الشيلية الساحلية، وتجاوز عدد القتلى ٢٠٠٠ نسمة. وقد قطعت أمواج تسونامي آلاف الكيلومترات لتضرب سواحل هاواي وتصل آثاره إلى جزر الفلبين. وفي عام ١٩٦٠ أيضا، تعرضت اليابان لمد بحري زلزالي بلغت سرعته ٧٥٠ كيلومترا في الساعة، وكان نتيجة للزلزال الذي شهدته شيلي الذي أدى لارتفاع سطح الأرض لتسعة أمتار. وقد تولدت موجة التيارات البحرية الزلزالية تسونامي عن التصدع التكتوني داخل المحيط. والتي يصل عرضها إلى عدة مئات من الأمتار، والتي ترتفع طاقتها كلما اصطدمت بصفيحة في عمق البحر.

ومن أمواج تسونامي المدمرة، تلك التي داهمت امتداد ساحل المحيط الأطلنطي في أعقاب زلزال ألاسكا الشهير يوم ٢٨ مارس ١٩٦٤، والتي قتلت نحو ١٢٠ شخصا

وأدت إلى خسائر مادية تقدر بحوالي ١٠٤ مليون دولار، ثلثيها كان بمدينة كريسنت في الجزء البعيد من الساحل الشمالي من كاليفورنيا.

أيضا في شهر سبتمبر ١٩٩٢، دمر مد بحري زلزالي بلغ ارتفاعه ١٠ أمتار مساكن نحو ١٣ ألف شخص على سواحل نيكاراجوا. وبعد شهرين أدت سلسلة من الأمواج المحيطية الضخمة إلى محو عدة قرى في منطقة بالي بإندونيسيا، وكانت مسؤولة عن مقتل آلاف الأشخاص. كما صاحب زلزال خليج العقبة الذي وقع في ٢٢ نوفمبر ١٩٩٥ بعض أمواج تسونامي لكنها كانت ضعيفة، لكون الخليج منطقة مغلقة وعمق مياهه ضحل نسبيا، حيث تزداد ضراوة تلك الأمواج في المياه المفتوحة.

وفي ١٧ يوليو ١٩٩٨، وبعد حدوث هزتين أرضيتين بقوة ٧ درجات على سلم ريختر، ضرب مد بحري زلزالي، مصاحبا بثلاث أمواج ضخمة بارتفاع بلغ ١٥ مترا، ثلاثين كيلومترا من سواحل شمال منطقة بابواسي بغينيا الجديدة، مما أدى إلى إزالة سبع قرى من الخريطة وإلى مقتل نحو ٢٢٠٠ شخص على الأقل.

تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤

تعتبر منطقة جنوب شرق آسيا، وخاصة الجزر الموجودة بالمنطقة، كجزيرة سومطرة الإندونيسية، مزار السائحين شتاء، لدفء جوها وجمال طبيعتها، وعلو أمواجها التي يتمتع بها الهواة في التزحلق على الماء (شكل ١٤). وقد شهدت منطقة المحيط الهندي يوم الأحد ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤ زلزالا ضخما بلغت قوته حوالي تسع درجات بمقياس ريختر، أعقبه أمواج تسونامي حادة، ضربت سواحل البلدان المجاورة بجنوب وجنوب شرقي آسيا: إندونيسيا، سريلانكا، الهند، جزر المالديف، تايلاند، جزيرتي اندمان ونيكوبار، ووصلت إلى عمان والصومال بالساحل الشرقي لأفريقيا (شكلي ١٥ و١٦). وقد أحدثت دمارا واسعا وقتلت مئات الآلاف من البشر وأحدثت العديد من التأثيرات الهائلة، التي سوف تعرض تفصيلا في الفصل التالي. وبسبب انتشار تأثير الأمواج المدمرة على مساحات شاسعة، فقد حدث الكثير من الخسائر الجسيمة.

وأكد علماء في علوم الأرض أن العلو الأكبر الذي بلغته الأمواج بسبب المد البحري الذي نتج عن ذلك الزلزال بلغ أكثر من عشرة أمتار في بعض الأماكن، وحملت هذه

الأمواج مليارات الأطنان من مياه البحر، وتوغلت إلى ما يصل لستة كيلومترات في بعض المناطق. وقال عالم الهزات الأرضية في معهد إدنبره بسكوتلاندا أن هذه الأمواج الهائلة عبرت المحيط الهندي مشكلة جدرانا مائية عاتية، وأن هذا الزلزال هو الأعنف منذ زلزال ألاسكا عام ١٩٦٤ الذي تسبب أيضا بأمواج تسونامي مدمرة (موقع "JANA" ٢٧ ديسمبر).

دور الانسان والبيئة

في زلزال جنوب آسيا الأخير وما صاحبه من أمواج زالزالية طوفانية، يرجع بعض العلماء الهزات القوية إلى زيادة مستوى المسطحات المائية فوق المحيطات والبحار، والذي حدث نتيجة ظاهرة الاحتباس الحراري، التي سجلت زيادة درجة مئوية في متوسط الحرارة على مستوى العالم خلال القرن العشرين، وذلك لزيادة كميات ثاني اكسيد الكربون المنبعثة من حرق الوقود الأحفوري في الصناعة والمواصلات. ومن المعروف أن الولايات المتحدة وحدها تنتج نحو ٤٠% من كمية هذه الانبعاثات، كما أنها لم توقع على معاهدتي كيوتو وجوهانسبرج للحد من الانبعاثات.

كذلك يرجح العلماء أن قوة الهزة الأرضية التي حدثت في الزلزال المدمر الأخير والتي قاربت ٩ درجات، تؤدي إلى ارتجاج الأرض بالكامل في الفضاء، ويؤدي هذا بدوره إلى أمرين أولهما زيادة سرعة دوران الأرض حول محورها، ولكن بمقدار ضئيل جدا يبلغ كسرا من الثانية الواحدة، وبالتالي لايمكن ملاحظة هذا التغيير الطفيف، كما يحدث في نفس الوقت تغيرا في ميل محور الأرض الذي تدور فيه حول نفسها على مستوى دائرة البروج.

من ناحية أخرى، فإن غياب الصدادات الشاطئية الطبيعية يزيد من قوة تدمير أمواج تسونامي. ومما يعكس مثلا أهمية الأشجار الكثيفة التي تعمل على صد الأمواج والحد من الخسائر، ما أعربت عنه ماليزيا، عقب المد الزلزالي الأخير، برغبتها في حماية غاباتها لجعلها حاجزا ساحليا طبيعيا ضد أمواج المد. وقال رئيس الوزراء في هذا الشأن أنه "ينبغي ألا تتعرض غابات أشجار التين الهندي لأي إيذاء لأنها تحول دون وصول الأمواج العاتية إلى عمق اليابسة". وأضاف أنه "يجب تخطيط المشروعات

الساحلية بحيث لا تلحق ضررا بهذه الأشجار الاستوائية الكثيفة". وأصدر تعليمات للإدارة الحكومية بإعادة زراعة الأشجار التي أطاحت بها الأمواج المدمرة التي ضربت آسيا في ذلك المد. وكانت بعض قرى الصيادين على امتداد جزيرة بنانغ على الساحل الغربي قد تعرضت لأمواج المد العاتية لكن هذا النوع من الأشجار خفف من شدتها.

كما ذكر مسؤولو صندوق الحياة البرية هناك أن "حكومات المنطقة قد تساعد في الحد من الوفيات والدمار الناجم عن مثل هذه الأمواج والأعاصير بحماية غاباتها الكثيفة وشعابها المرجانية". وأوضحت مديرة برنامج آسيا والمحيط الهادئ التابع للصندوق أنه "لا يمكن منع الكوارث الطبيعية إلا أنه ربما تكون هناك طرق للحد من التهديد الذي تشكله تلك الكوارث على المجتمعات الساحلية وتسهيل القيام بعملية إعادة تعمير فعالة والتخفيف من الضعف الاجتماعي والبيئي في المناطق المعرضة بشكل كبير لها".

كما أن هناك إيمانا بأن الاستخفاف بالثروة المرجانية قد زاد من خطورة زلزال آسيا. حيث أكد المدير العلمي للاتحاد العالمي للطبيعة أن أمواج تسونامي التي ضربت سواحل جنوب شرقي آسيا كانت ستتسبب بأضرار أقل كارثية لو تمت المحافظة بشكل أفضل على الثروة المرجانية ونباتات المانجروف، مشيرا إلى أن "المانجروف كان سيضعف قوة الأمواج لو كان موجودا، لكن السكان اقتلعوه واستبدلوه بمزارع الجمبري والكركند، وذلك لأسباب اقتصادية، حيث أن الأوروبيين يشترون الناتج بأسعار منخفضة من السماسرة الأسيويين". ونوه إلى "قيام رجال الأعمال ببناء الفنادق مباشرة على الشواطئ رغم تحذيرات منظمات لحماية الطبيعة في الهند وسريلانكا من الخطر المتنامي المحدق بالشواطئ"، موضحا أن "سكان تلك المناطق لم يكونوا قبل خمس سنوات يبنون منازلهم بالقرب من الشواطئ بل على بعد كيلومترات منها لعلمهم بخطورة الوضع الجيولوجي".

ومن المعتقد أن تبعات الزلزال الأخير لن تكون كارثية بالنسبة للثروتين الحيوانية والنباتية، وذلك بسبب قدرة الحيوانات على الهرب وتخليص نفسها من هذه الظروف، كما أن تلك المناطق لا تعتبر غنية بالتنوع الحيواني والنباتي. وتعتبر بنجلاديش هي البلد الآسيوي الجنوبي الذي تمت فيه المحافظة بشكل أفضل على أشجار المانجروف، وتعيش بين هذه النباتات أعداد كبيرة من النمور. وفي هذا الصدد أكد السكرتير التنفيذي

لاتفاقية التنوع البيئي البيولوجي، أن التقارير الأولية حول كارثة تسونامي أظهرت أن المناطق التي احتفظت بمنظومات بيئية سليمة، مثل غابات المانجروف، قاومت بشكل أفضل آثار الكارثة عن تلك المناطق التي تعاني غاباتها من أوضاع متدهورة. في الوقت نفسه أثبت المد البحري في آسيا مدى هشاشة السواحل التي لاتتمتع بحماية طبيعية.

تسونامي في كتب التراث

في كتب التراث العربي، أوصافا لطوفانات بحرية زلزالية عاتية أغرقت سواحل العالم الإسلامي. من ذلك ما رواه إيليا برشينابه في زمنه (يوسف، ١٩٧٥) بقوله "وفي سنة ٦٧٦ يونانية (٣٦٥-٣٦٦ ميلادية) كانت زلزلة عظيمة أخربت مدنا كثيرة وفيها زاد البحر عن حده حتى صارت اليابسة بحرا والبحر أرضا تسلك". وجاء في "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" للإمام جلال الدين السيوطي أنه "في سنة ٣٩٨ هـ زلزلت الديار في شعبان زلزالا شديدا، فهلك تحت الهدم ستة عشر ألفا غير من ساخت به الأرض. ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر" (السيوطي، ١٩٨٤ محقق).

وفي سنة ٤٦٠هـ كما يقول الإمام السيوطي "في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادي الأولى كانت زلزلة شديدة بأرض فلسطين أهلكت بلد الرملة... ولحقت وادي الصفراء وخيبر وبدر وينبع ووادي القرى وتيماء وتبوك، وانشقت الأرض بتيماء عن كنوز المال وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة. وجاء كتاب بعض التجار يقول فيه إنها خسفت الرملة بأسرها ولم يسلم منها إلا داران فقط، وهلك منها خمسة وعشرون ألف نسمة وهلكت إيلة ومن فيها، وانشقت الصخرة التي ببيت المقدس ثم عادت فالتأمت بإذن الله. وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم ثم رد إلى موضعه وكانت الزلزلة بهذه البلاد كلها في ساعة واحدة".

"وفي سنة ٧٠٢هـ وفي ذي الحجة زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة بحيث هدمت الدور وهلك خلق كثير تحت الهدم، وتلاطمت بسببها البحار وتكسرت المراكب، وأقامت الزلزلة أربعين يوما (الزلزال وتوابعه) وخرج الناس إلى القرافة فضربوا لهم بها خياما، وكان تأثيرها بالاسكندرية أعظم بحيث طلع البحر إلى نصف البلد وأخذ الرجال والجمال

وغرقت المراكب وسقطت بمصر دور لا تحصى". (القرافة هي منطقة في مصر القديمة بالقاهرة وقد أخذ اسمها من اسم قبيلة يمنية كانت قد نزلت فيها في بداية الفتح الإسلامي).

ويقول ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" "في ذي الحجة سنة ٧٤١هـ كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والاسكندرية، مات فيها تحت الردم مالا يحصى وغرقت مراكب كثيرة وتهدمت جوامع ومآذن لا تعد. وفي عاشر شعبان سنة ٨١١هـ جاءت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس فخرب من اللاذقية وجبله أماكن عديدة وسقطت قلاع فمات تحت الردم خمسة عشر نفسا... وانتقلت بلد قدر ميل بأشجارها وأبنيتها وأهلها ولم يشعروا بذلك، وخرب من قبرص أماكن كثيرة، وشوهد ثلج على رأس الجبل الأقرع، وقد نزل البحر وطلع بينه وبين البر عشرة فراسخ، وذكر أهل البحر أن المراكب في البحر المالح وصلت الأرض لما انحسر البحر ثم عاد الماء كما كان" (الحنبلي، ١٠٨٩م).

الخطر على البحر الأبيض المتوسط

يفيد الخبراء ان خطر وقوع حركة مد بحري قائم أيضا في البحر الأبيض المتوسط، حيث سجلت هذه الظاهرة في الماضي. ويوضح ميشال فيلنوف عالم الجيولوجيا الفرنسي بجامعة بروفانس بأنه "عندما يكون هناك نشاط زلزالي ومسطح مائي فإن خطر وقوع حركة مد بحري كبيرة قائم ولا يمكن الاستهانة به". ويضيف "إن محرك النشاط الزلزالي هو منطقة اندساس اللوح الأفريقي تحت اللوح الأورو-أسيوي الواقع تحت منطقة الأطلس في شمال أفريقيا من المغرب حتي تونس وتمتد أيضا في البحر حتى شمال صقلية".

وعلى مدى ألفي سنة سُجّل حوالي عشرين مدا عاليا في المتوسط كان بعضها قاتلا، كما حدث في عام ٥٥١ ميلادية على طول الشاطئ اللبناني-السوري، وفي مصر في القرن الرابع والقرن الرابع عشر، وفي مسينيا "إيطاليا" عام ١٩٠٨، وهذا ليس بالكثير، على ما يقول بول تابونييه عالم الجيولوجيا في معهد فيزياء الكرة الأرضية بباريس.

وتنتشر الصدوع في البحر المتوسط مثل اليونان، حيث يوجد صدع شبيه بصدع سومطرة، يمتد من البحر الأيوني حتي رودوس، تسبب في عام ٣٦٥ ميلادية بمد بحري امتد حتي صقلية ومصر وأدى إلى مقتل عشرات الآلاف من الاشخاص، على ما يقول خبير الزلازل اليوناني فاسيليس بابازاخوس.

ويرى الخبراء أن ٨٠% من أمواج تسونامي تسجل في المحيط الهادئ و١٠% في المحيط الهندي، وبين ٥ إلى ١٠% في البحر المتوسط حيث قوتها أضعف بشكل وسطي، على ما يطمئن فيليب لونيونيه مدير قسم الجيوفيزياء الفضائية والكونية في معهد فيزياء الكرة الأرضية في باريس. وثمة سببان وراء ذلك: حيث تنخفض في المتوسط القوة الوسطية للزلازل، كما أن مسطح المياه أصغر، الأمر الذي لا يسمح للموجة بأن تجمع الكثير من القوة كما حدث في تسونامي جنوب آسيا الأخير.

رغم ذلك، فإنه نظريا لا يمكن استبعاد سيناريو أن تضرب موجة تسونامي السواحل الفرنسية عند مستوى سهل الكامارغ ويصل المد حتى مدينة آرل على بعد ٢٥ كيلومترا من الساحل كما يحذر فيلنوف. وقد طالت آخر موجة تسونامي صغيرة خلفها زلزال بومرداس (الجزائر) في آيار/مايو ٢٠٠٣ من دون أن تسفر عن ضحايا، جزر الباليار، والسواحل الفرنسية، حيث انحسر مستوى المياه مؤقتا نحو ٥٠ مترا في بعض الأماكن.

ويتوقع تابونييه أن بحر مرمرة في تركيا، قد يكون، على الأرجح، المسرح المقبل لموجة تسونامي أصغر من تلك التي شهدتها آسيا، لكن الكثافة السكانية الكبيرة قد تجعل منها موجة قاتلة. ويقول لونيونيه أن هذه الظواهر تتكرر فقط كل عشر أو خمسين سنة مما يخفف من وطأة الخطر في أذهان السلطات والسكان. وفي حين يتمتع المحيط الهادئ بنظام إنذار تشارك فيه ٢٦ دولة، فإن المتوسط والمحيط الهندي يفتقران إلى نظام كهذا. ويقول تابونييه "إن ما حدث في آسيا سيدفعنا ربما إلى التفكير، حتى لو كان ذلك لا يشكل أولوية بالنسبة للدول وهذا الأمر مؤسف جدا".

ويوضح باتريك سيمون، مدير مكتب المخاطر الطبيعية في وزارة البيئة الفرنسية، أن الأمر الذي يعقد الإنذار بالبحر المتوسط، هو أن عرضه يبلغ نحو ألف كيلومتر فقط، مما يعني أن موجة تسونامي يمكن أن تعبره في ساعة أو أكثر بقليل. وأوضح أن فرنسا بدأت دراسة لتحديد تواتر حدوث موجة من هذا النوع.

ويؤكد جيراسيموس بابادوبولوس، بمعهد الجيوديناميك في مرصد أثينا، أن في اليونان التي تشهد أكبر نشاط زلزالي في أوروبا، يقوم خبراء الزلازل بأول إجراءات لمسح مخاطر التسونامي ووضع نظام إنذار بعد فترة. وقد أعلن الرئيس الأمريكي مؤخرا أنه يؤيد إقامة نظام عالمي للإنذار المبكر من حركات المد البحري الهائلة، موضحا "أعتقد أن أحد جوانب الاستراتيجية الطويلة المدى لمواجهة الكوارث الطبيعية هي التأكد من أننا والعالم لدينا نظام إنذار يمكن الاعتماد عليه حول المد البحري الضخم "تسونامي". رغم ذلك فإن العلماء يأسفون لغياب نظام إنذار بمنطقة البحر المتوسط حتى الآن يدق به ناقوس الخطر (موقع "القدس العربي" ٢ يناير).

وفي اليونان، يحذر العلماء هناك من استمرار تجاهل مخاطر الزلازل، حيث تعرضت مؤخرا جزر غرب اليونان لهزة أرضية بقوة ٥,٦ على مقياس ريختر، ولم تسفر عن وقوع أضرار. وكان مركز الهزة على بعد ٣٤٠ كيلومترا غرب أثينا. ويقول ستافروس تاسوس من مركز الزلازل، أن الهزة قد تبعتها هزة أخرى بقوة ٤ درجات على مقياس ريختر، بفارق بضع دقائق، مشيرا إلى أن تلك المنطقة معروفة بكثرة تعرضها لهزات أرضية وأن المباني بتلك الجزر قد تم بناؤها بصورة توفر لها القدرة على الصمود للهزات. ولكن تأكيد ذلك الخبر لا ينفي وجود قصور في وضع سياسة شاملة للحماية من الزلازل والكشف المبكر عنها خشية أن يؤدي ذلك إلى إلحاق الضرر بحركة السياحة في اليونان والتي تعد من الموارد الأساسية للبلاد.

وفي هذا السياق يقول خبير الزلازل الشهير فاسيلي بابازاخوس، أنه برغم توافر الخبرة الكافية للتنبؤ بحدوث الهزة وقوتها التقريبية وموقعها خلال السنوات الخمس المقبلة، فإن الحكومة اليونانية تبدو غير راغبة في الاستفادة من ذلك. ويشير بابازاخوس إلى أن الحكومات اليونانية المتعاقبة أغفلت اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة مخاطر الزلازل وأمواج المد البحري المترتبة على الهزات التي تقع تحت سطح البحر. وأشار إلى أنه إذا اتُخذت الإجراءات المناسبة في هذا الصدد فإنه يمكن تفادي وقوع أي وفيات ناجمة عن النشاط الزلزالي، أما إذا لم تبادر الحكومة باتخاذ الإجراءات المطلوبة والضرورية فإن الأمر لن يكون مجديا بعد ذلك. وأوضح العالم اليوناني أن أخطار الزلازل هي من أهم وأخطر المشكلات التي تواجهها اليونان.

وفي سياق ما تعرضت له منطقة جنوب شرق آسيا مؤخرا، قال بابازاخوس "إن السياحة لا تتعرض لخطر إذا نشرنا معلومات عن ظاهرة الزلازل في حد ذاتها، ودعونا نأخذ مثالا لما تعرضت له إندونيسيا التي كانت تتوافر لها الخبرة العلمية في هذا الصدد، وقد كانوا يعرفون أن زلزالا شديدا سيضرب البلاد مع احتمال كبير لحدوث موجه مد بحري طوفانية تعقبه".

وقد أشار العالمان الأمريكيان البارزان في مجال النشاط الزلزالي رادل وتيركوت، إلى أن زلزالا قويا سيضرب منطقة جنوب آسيا خلال عقد من الزمان، ومع ذلك لم يتم اتخاذ تدابير وقائية، ولم يتم إقامة نظام إنذار من حدوث المد البحري تسونامي، وذلك بزعم عدم الرغبة في إلحاق الضرر بحركة السياحة. وتسائل بابازاخوس: وماذا كانت نتيجة هذا التجاهل؟ لقد وقع الزلزال وأصاب السياحة نفسها في مقتل، ولقي ما يقرب من ٣٠٠ ألف شخص مصرعهم، وكشف بابازاخوس عن أن أصحاب الفنادق قد هددوا باتخاذ إجراءات قانونية ضده إذا كشف عن أبحاثه!!

وعن الإجراءات العملية التي ينصح باتخاذها لتفادي الأضرار، يوضح بابازاخوس أن هناك جانبين لهذه الأمر، أحدهما يتعلق بالقواعد المتبعة المعروفة عند بناء مبان جديدة، خاصة أن بعض هذه المباني إذا لم يخضع لإشراف هندسي، فإن الأمر يبعث على القلق، لذا فمن الضروري وضع برنامج بأولويات المباني التي يجب تفقدها واتخاذ تدابير سلامتها خاصة المباني العامة والمدارس والمستشفيات التي يتردد عليها جمهور كبير، كما يجب الاهتمام بالمباني القائمة في المناطق المعرضة بصورة أكبر للمخاطر. ويشير إلى أنه لا يوجد للأسف مثل هذا البرنامج حتى الآن.

وأضاف بأن مهمة العلماء هي توفير المعلومات والمعرفة وليس في إمكانهم أن يواصلوا ممارسة الضغوط على المسئولين للاستفادة منها. وقال في هذا الصدد إنه أبلغ وزيرا في الحكومة السابقة عن توافر تلك الخبرة وإمكان تحديد النشاط الزلزالي القادم الذي ستواجهه اليونان، إلا أن الوزير أبلغه أن تلك مسألة شائكة، ونصح الوزير بابازاخوس بنشر نتائج أبحاثه في الدوريات العلمية. وحذر بابازاخوس من أنه من غير المنطقي إنكار وجود الخطر في الوقت الذي يدنو منا، وقال إن اليابان مثلا والمعرضة

لنشاط زلزالي مكثف قد اتخذت التدابير الوقائية الضرورية لمواجهة هذا الخطر، وتعد اليونان أكثر الدول تعرضا للنشاط الزلزالي في المحيط الأورو-آسيوي.

وفيما يتعلق بالأضرار البيئية التي تحدثها الهزات الأرضية وأمواج المد الطوفاني، يشير الخبراء اليونانيون إلى أنه "لا تتوافر خبرة كافية للتعامل مع التداعيات البيئية الناجمة عن مثل هذا النشاط الزلزالي على غرار تسونامي آسيا الأخير، وأنه بلا شك يمثل خطرا لا يمكن تصور مداه إذا تعرضت سواحلنا ودلتاوات الأنهار المختلفة بالمنطقة، وهناك أنواع نادرة من النباتات والكائنات البحرية التي تخضع للحماية الآن في مناطق متفرقة سيقضى عليها بالتأكيد إذا ما وقعت الواقعة. ولهذا يجب ألا نظل مكتوفي الأيدي".

وعادة ما تقوم الطبيعة بمعالجة الأضرار التي تلحق بالبيئة، ولكن الأمر يستغرق أزمانا طويلة ليس بوسع الإنسان تحديدها، إذ يتم ذلك خلال أزمنة جيولوجية تمتد لآلاف أو ملايين السنين. ويوضح العلماء في هذا الصدد ما تعرضت له الأرض مثلا قبل ٦٥ مليون سنة بسقوط مذنب على الأرض في نهاية العصر الطباشيري، وما أسفر عنه من القضاء على العديد من الأنواع البيولوجية، واستغرق الأمر مرور ٣ ملايين سنة للتعافي ودخول الحقبة الحديثة، وبرغم العمر المتقدم لكوكبنا الذي يبلغ ٤,٦ بليون سنة فإن أداءه مازال جيدا، وهو مازال يتعرض لتغييرات مستمرة حاملا القارات على طبقات اليابسة ومكونا لأشكالها وكأنها نماذج مصنعة من الطين، ليعيد تشكيلها مجددا عبر أزمنة جيولوجية، وينجم عن ذلك نوعان من التغييرات البطيئة والسريعة على غرار ما حدث في إندونيسيا وانتقال خط الصدع الجيولوجي أسفل سومطرة لمسافة حوالي ١٥ مترا عن موقعه.

وليست الهزات الأرضية وحدها مبعث الخطر الذي يتهددنا، فهناك أيضا مخاطر الاحتباس الحراري التي يقول العلماء إنها تهدد بارتفاع في درجة حرارة الأرض ما بين درجتين و١١ درجة، وهو ضعف المعدل الذي يقول العلماء إنه كفيل بتغيير هائل في مستقبل الأرض عما كان يتوقعه الخبراء من قبل، ويترتب على هذا الارتفاع في حرارة الجو زيادة منسوب البحار، مما يترتب عليه زيادة نسبة الفيضانات وشدتها وتغيير جذري في المناخ. ويستند العلماء في تقديراتهم تلك إلى معدلات انبعاث ثاني أكسيد

الكربون التي تبلغ ضعف المعدلات التي سجلت قبل الثورة الصناعية. ويحذر العلماء من أن معدلات عالية سيتم بلوغها بحلول منتصف القرن ما لم يتم فورا السعي لخفض معدلات انبعاث الغازات في الهواء. وتجدر الإشارة إلى أن اتفاقية كيوتو التي صيغت في إطار الأمم المتحدة لخفض معدلات انبعاث الغازات في الجو تهدف إلى خفض معدل ثاني أكسيد الكربون بنسبة ٥,٢% عن المعدلات التي سجلت في التسعينات من القرن الماضي، وذلك بحلول الفترة من عام ٢٠٠٨ إلى عام ٢٠١٢ (موقع "الأهرام: تقارير المراسلين" ٩ فبراير).

رغم ذلك، فإنه عقب كارثة تسونامي الأخيرة بجنوب آسيا، أكد العلماء اليونانيون أن أي هزات أرضية قد تحدث ويسفر عنها أمواج تسونامي لن تقع بالمنطقة قبل خمسين عاما، وذلك في محاولة لتهدئة المخاوف من احتمال تعرض اليونان لزلزال يعقبه أمواج مد بحري على غرار ماحدث في آسيا. وقال العلماء إنهم حددوا موقعين محتملين يمكن أن تحدث فيهما تلك الهزات، أحدهما بمنطقة أمورجوس جنوب شرق أثينا، والآخر في خليج أرجوس جنوب غرب اليونان. وأضافوا بأن الهزات قد تحدث قرب أمورجوس كل مائة عام ومرتين كل ألف عام قبالة أرجوس. وكان آخر حادث لأمواج تسونامي قد وقع قرب منطقة أمورجوس في يوليو عام ١٩٥٦ ووصل ارتفاع أمواجه إلى ٢٠ مترا (موقع "الأهرام: العالم" ١٩ فبراير).

ولكن مأساة تسونامي آسيا قد فجرت بالفعل قضية أهمية اتخاذ التدابير الضرورية في منطقة البحر المتوسط الذي يقع ضمن النشاط الزلزالي. وفي هذا السياق أعلنت قبرص أنها تبحث حاليا إقامة نظام للإنذار المبكر كتدبير وقائي ضد احتمالات تعرضها لنشاط زلزالي تحت الماء يضرب الجزيرة. ويقول بوليس ميخاليديس مدير إدارة المسح الجيولوجي أن اجتماعات قد عقدت مؤخرا اتفق فيها الخبراء على ضرورة إقامة قبرص لنظام إنذار مبكر، أو أن تكون جزءا من نظام يغطي المنطقة بالتعاون مع دول أخرى مثل دول الاتحاد الأوروبي والدول الواقعة في المنطقة مثل مصر واليونان وتركيا. وأوضح المسئول القبرصي أن الأمر يحتاج إلى دراسة خاصة في هذا الصدد، وأنه سيتحدد في ضوئها ما سيتم اتخاذه بشأن ذلك النظام.

وأشار إلى أن دولا أخرى مثل فرنسا وإيطاليا وألمانيا قد أبدت اهتمامها بإقامة أنظمة للإنذار المبكر لحماية منطقة المتوسط، وتحتاج قبرص للمساعدة التكنولوجية من قِبل تلك الدول. ويوضح المسئول القبرصي أن الجزيرة تقع في منطقة تجعلها عرضة لنوبات المد البحري تسونامي، حيث تعرضت له في الماضي، وكان آخر نشاط تعرضت له من هذا النوع، قبل ٣٠٠ عام، كما توضح دراسة لجامعة ألمانية. وفي الوقت الذي أشار فيه المسئول القبرصي إلى أنه "لا يوجد خطر بأن تتعرض المنطقة لتسونامي مماثل لذلك الذي تعرضت له آسيا في منطقة المحيط الهندي، فإنه يجب أن نكون متيقظين لتفادي أي مفاجآت مستقبلية في ضوء طبيعة منطقتنا". ورغم أن العالِم لم يكشف عن تكلفة إقامة هذا النظام أو الوقت الذي تستغرقه، فإنه أوضح أهمية إقامته في منطقة في البحر يمكنها أن توفر البيانات الضرورية لأكبر عدد من الدول المتوسطية، وتشهد الفترة المقبلة تحركا في هذا الصدد، وقد يكون ذلك دافعا لليونان لإعادة النظر في موقفها المتجاهل لهذه المخاطر (موقع "الأهرام: تقارير المراسلين" ٩ فبراير).

احتمالات تسونامي بالمنطقة العربية

كان من تداعيات أحداث تسونامي جنوب آسيا الأخير، تساؤل حول احتمالات تعرض منطقتنا العربية أيضا لمثل تلك الأمواج المدمرة. وفي هذا الصدد، إلى جانب ما ذكر سابقا، فإن معظم الدراسات الزلزالية التي أجريت في المنطقة أظهرت أن هناك احتمالات لتعرض المنطقة إلى زلازل في المستقبل، لكن من المتوقع ألا يزيد مقدار هذا الزلازل عن ست درجات ونصف وفق مقياس ريختر، وأظهرت بعض الدراسات احتمال وصولها إلى سبع درجات، خصوصا إذا كان مركز الزلازل في منطقة طبريا وأصبع الجليل.

وقد أظهرت السيناريوهات الزلزالية التي أجراها مركز علوم الأرض وهندسة الزلازل في جامعة النجاح الوطنية، أن تعرض المدن والقرى الفلسطينية لزلزال قوته ست درجات ونصف الدرجة حسب مقياس ريختر "لا قدر الله" سيؤدي إلى حدوث خسائر كبيرة، حيث ستتعرض بعض المدن لانهيارات كلية وجزئية في المباني قد تزيد عن رُبع الموجود من المباني. وتكمن أسباب ارتفاع نسبة الأضرار والانهيارات في المباني إلى عدم تحقيق العديد من أنماط المباني الدارجة محليا لمتطلبات الحد الأدنى من مقاومة

الزلازل، بالإضافة إلى عدم الجاهزية في المنشآت والبني التحتية، وعدم وجود إدارة للكوارث وإسناد الطوارئ، وكذلك عدم وجود سياسة وطنية لاستخدامات الأراضي يمكن من خلالها تجنب البناء على الأراضي القابلة للانزلاق في المناطق الجبلية أو التي يمكن أن تتعرض للتميؤ في التربة الرملية.

وفيما يخص احتمال تعرض فلسطين والدول المجاورة لزلازل يرافقها أمواج مائية "تسونامي"، أظهرت الأحداث الزلزالية التي تعرضت لها المنطقة أن هذه الظاهرة قد حدثت أكثر من مرة خلال القرون الماضية، وأدت إلى دمار وأضرار في المباني والمنشآت المحاذية لبعض المناطق في الشاطئ الفلسطيني واللبناني. ولم تقتصر هذه الظاهرة على البحار والمحيطات، فقد تعرضت القرى المحيطة ببحيرة طبريا عام ١٧٥٩ لأمواج مائية أدت إلى تدمير العديد من القرى الفلسطينية ومقتل الآلاف.

واستنادا إلى الموقع الجغرافي لفلسطين والدول المجاورة، فإن احتمال حدوث أمواج تسونامي نتيجة لزلازل مراكزها السطحية تقع في قاع البحر المتوسط أو البحر الأحمر يعتبر واردا ومتوقعا. ودون شك، فإنه من المستبعد أن يكون تأثير هذه الأمواج بنفس شدة زلزال سومطرة، وذلك لأن الدرجة القصوى للزلازل المتوقعة لا يمكن أن تصل إلى درجة زلزال سومطرة الأخير. أما مدى تأثير هذه الأمواج فسيعتمد إضافة إلى قوة الزلزال الذي سيولدها على بُعد مراكز هذه الزلازل عن الشاطئ. وفي السابق أصدر عدد من الباحثين والمؤسسات العلمية ذات العلاقة في الوطن العربي العديد من التوصيات والتحذيرات حول ضرورة مراعاة احتمال تعرض المناطق المحاذية لشواطئ الدول العربية لأمواج تسونامي، خصوصا أن هناك عددا كبيرا من المشروعات الهامة في الدول العربية يقع على هذه الشواطئ (موقع "المعرفة" ١٣ يناير).

هذا ومن المعروف أن الأمواج الزلزالية التي تعبر تحت البحر المتوسط من جنوب اليونان قد يكون لها تأثير مدمر على مصر. فقد ثبت أن الأمواج الزلزالية التي تعبر بالقشرة الأرضية تحت البحر المتوسط من أوروبا واليونان وجنوب إيطاليا وتركيا، يتم امتصاص القليل منها فقط بالقشرة الأرضية تحت البحر، وتصل بمعظم قوتها إلى الأراضي المصرية.

التنبؤ بتسونامي

على العكس من صعوبة التنبؤ بوقوع الزلازل حتى الآن والتحذير منها، فإن هجوم تسونامي على الشواطئ المحيطة بمركز الزلزال يمكن معرفته بدقة بالغة، وذلك بعد تحديد مركز الزلزال أسفل قاع المحيط، وبالتالي يمكن تحذير قاطني تلك الشواطئ. ويتم التعرف على موعد وصول تسونامي لشاطئ معين بواسطة سرعة الأمواج والمسافة التي تقطعها تلك الأمواج (الشرقاوي، ١٩٩٢).

أي أنه يمكن تحاشي أخطار أمواج تسونامي على مناطق الشواطئ عند وقوع زلازل قوية في قيعان المحيطات والبحار، اعتمادا على أن الموجات الزلزالية تصل قبل وصول أمواج تسونامي إلى الشواطئ، ومن ثم يأخذ سكان تلك المناطق حذرهم بمجرد تسجيل وقوع الهزات الأرضية العنيفة وذلك بالابتعاد عن الشاطئ إلى مسافة كافية أو الصعود فوق التلال العالية عند وجودها (سليمان، ١٩٩٦).

وقد بدأ تطبيق هذه الفكرة عمليا بعد أن ضربت أمواج تسونامي عاتية سواحل جزر هاواي بصورة مفاجئة إثر وقوع زلزال قوي في قاع المحيط الهادئ عام ١٩٤٦. وبعد عامين وضعت هيئة الشواطئ الأمريكية نظاما دقيقا لمراقبة أمواج تسونامي بتطبيق معادلة جذرية تعرف بمعادلة لاجرانج La Grange (سرعة الأمواج تساوي الجذر التربيعي لثابت الجاذبية الأرضية "٩,٨" مضروبا في عمق الماء). وحيث أن عمق المياه في ذلك المحيط معروف، فإنه أمكن حساب سرعة أمواج تسونامي إلى أي موقع في المحيط الهادئ وشواطئه، بعد معرفة المسافة التي تقطعها هذه الأمواج (شكل ١٧). فإذا تولدت أمواج تسونامي بالقرب من سواحل شيلي مثلا فإن طلائعها ستصل إلى جزر هاواي بعد ١٥ ساعة، وإذا تولدت عند جزر هاواي فإنها ستصل إلى الجزر اليابانية بعد عشر ساعات وستصل الساحل الغربي لأمريكا الشمالية بعد حوالي خمس أو ست ساعات.

الفصل الثالث: تداعيات تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤

. الضحايا

. مشكلات الهوية

. أسباب فداحة الخسائر

. التأثيرات على البشر

. معاناة الناجين

. التأثيرات الصحية

. التأثيرات النفسية

. هلع التوابع

. التأثيرات البيئية

. البنية الأساسية

. الطبيعة والحياة البرية

. قاع المحيط

. توابع الزلزال

. الجغرافيّة والأرض

. مخاطر الألغام

. التأثيرات الاجتماعية

. التأثيرات السياسية

الفصل الثالث

تداعيات تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤

لقد سجل التاريخ يوم الأحد السادس والعشرين من شهر ديسمبر ٢٠٠٤ واحدا من أشرس ظواهر تسونامي على كوكب الأرض، بل اعتبر أن هذا المد الطوفاني الهائل، هو الأشد فتكا عبر التاريخ، بمقياس الخسائر في الأرواح والأموال والممتلكات وما صاحبه من هلع مروع. ويوضح هذا الفصل جوانب التأثيرات المختلفة لتسونامي جنوب شرق آسيا. ويتضمن تطور أعداد الضحايا للمد المدمر، وتداعيات الحدث الصحية والنفسية والبيئية والاجتماعية على البشر، والتأثيرات على البنية التحتية، والجوانب السياسية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

الضحايا

بدأ الإعلام بكافة صوره، يبث الأنباء والتقارير المسموعة والمرئية عن تداعيات الكارثة فور وقوعها، وتوالى بعدها حصر مستمر لأعداد الضحايا من قتلى ومفقودين ومشردين. وكان هذا الأمر موضع اهتمام واسع لكافة الشعوب والحكومات في أنحاء العالم، وكانت الكارثة أليمة الوقع على النفوس خاصة مع تبيان ازدياد أعداد الضحايا كل يوم، وما تلى الظاهرة من توابع زلزلية متعاقبة، بدت وكأنها لا تنتهي، ومهددة بالمزيد من الضحايا.

٢٧ ديسمبر

في الهند، في اليوم التالي للحادث، قال مسئولون أن محصلة قتلى المد البحري الناجم عن الزلزال الذي وقع بالمحيط الهندي والذي ضرب سبع دول بجنوب وجنوب شرق آسيا، من بينها المناطق الساحلية الشرقية من الهند، تجاوزت ٦٠٠٠ شخص، بعد تلقي معلومات جديدة من جزيرتي اندامان ونيكوبار. وقال المفتش العام بالشرطة في جزيرة اندامان أن ٣٠٠٠ شخص على الأقل لقوا حتفهم وأصيب آخرون، مشيرا إلى أن أعداد

القتلى يمكن أن ترتفع بسبب توقف خطوط الاتصالات مع الكثير من الجزر، وبذلك تتجاوز محصلة القتلى ٦٠٠٠ شخص. وحذرت إدارة الارصاد الجوية الهندية من وقوع المزيد من موجات المد.

وذكر مسؤولون هنود أن الجزر المنكوبة أصبحت معزولة عن البر الرئيسي بعد تعطل خطوط الاتصالات وتعرض مدرج طائرات لأضرار جسيمة في مطار "بورت بلير" مما جعل من الصعب على الطائرات الهبوط، مشيرين الى أن الجثث المتحللة ورفات الحيوانات تجمعت على شواطئ جنوب شرق الهند ويتزايد عدد القتلى كل ساعة، فيما يواصل الناجون من الكارثة عمليات البحث عن الآلاف من أقاربهم وأصدقائهم المفقودين.

.....

وفي تايلاند، أعلن أنه قد ضرب زلزال بقوة ٥,٦ درجة على مقياس ريختر، جزر نيكوبار الهندية النائية صباح اليوم الاثنين، إلا إنه لم يتضح ما إذا كان الزلزال سيتسبب في مد بحري جديد حسبما ذكر خبراء الزلازل التايلانديين. وصرح خبير زلازل من دائرة الأرصاد الجوية التايلاندية "بأننا لا نستطيع التنبؤ بما إذا كان سيتسبب الزلزال في مد بحري جديد إلا أن سكان فوكيت شعروا به". ووصف المسؤول الزلزال أنه "زلزال جديد" لأنه وقع على بعد حوالى مائتي كيلومتر شمال مركز الزلزال المدمر الذي وقع الأحد قبالة الساحل الإندونيسي.

.....

وفي كولومبو، أعلن أن المد البحري الذي نجم عن أعنف زلزال في العالم منذ أربعين عاما أمس الأحد، أدى إلى مقتل أكثر من ٢٣ ألف شخص في سبع دول في جنوب وجنوب شرق آسيا. ففي سريلانكا وحدها قتل ١٠٨٩٠ شخصا على الأقل، جاءت بعدها فى المرتبة الثانية في عدد الضحايا إندونيسيا التى سجلت آخر حصيلة للقتلى فيها ٧٢٥٤ شخصا، حيث قتل في بندا آتشيه نحو ثلاثة آلاف شخص بسبب أمواج المد العاتية التي أدت إلى جرف آلاف السكان، فيما وردت أنباء بشأن مقتل مئات الأشخاص الآخرين في عدد من الأقاليم الأخرى في مختلف أنحاء المنطقة، والكثير من القتلى من الأطفال وكبار السن.

.....

وأعلن مسؤولون محليون بإندونيسيا أن أكثر من ٦٠٠ شخص قتلوا في شمال آتشيه، وفقد أكثر من ٣٠٠ آخرين ويخشى أن يكونوا قد قتلوا بسبب أمواج المد التي دمرت معظم القرى في المناطق الساحلية. أما في الهند، فقد لقي مايزيد عن ٦٥٩٧ شخصا على الأقل حتفهم بينهم حوالي ثلاثة آلاف في ولاية تاميل نادو "جنوب شرق الهند" وثلاثة آلاف على الأقل في جزيرتي اندامان ونيكوبار في خليج البنغال غير البعيد عن مركز الزلزال، كما قتل ٣٧٧ شخصا في جيب بونديشيري في جنود مدراس. إضافة إلى أن أعدادا كبيرة من الأشخاص ما زالوا مفقودين.

.....

وفي تايلاند، سجل حتى الآن مقتل ٩٠٠ شخص وأكثر من ٧٢٠٠ جريح بينهم عدد كبير من الأجانب فيما لايزال أكثر من ١٠٠٠ شخص فى عداد المفقودين. كما قتل ٥١ شخصا وعدد غير محدد من المفقودين بماليزيا خصوصا في جزيرة بينانغ السياحية الأكثر تضررا حيث قتل ٢١ شخصا. وفي جزر المالديف أعلنت السلطات عن مقتل ٤٣ شخصا على الأقل و٥١ مفقودا. كما قتل شخصان في بنجلاديش. وفي بورما أعلن عن مقتل ٣٠ شخصا. وقد تأثر الساحل الشرقي لأفريقيا بالمد البحري حيث اعتبر ١٠٠ شخصا في عداد القتلى في الصومال وغرق شخص قرب مومباسا في كينيا.

.....

ومن روما، أعلنت وزارة الخارجية الإيطالية اليوم بأن ١١ إيطاليا لقوا مصرعهم على أثر الزلزال الذي ضرب دول جنوب شرق آسيا والأمواج العاتية التي غمرت العديد من المناطق والتي أدت حتى الآن إلى مقتل أكثر من ٢٤ ألف شخص. وأعلنت الوزارة أن تسعة إيطاليين لقوا مصرعهم في تايلاند بينما لقى اثنان آخران مصرعهما في سيريلانكا. وأكد وزير الخارجية الإيطالي بأن هناك مائة سائح إيطالي في عداد المفقودين.

.....

وفي لندن، أعلنت وزارة الخارجية البريطانية اليوم الاثنين أن أحد عشر بريطانيا قتلوا بسبب المد البحري الذي اجتاح أمس العديد من البلدان الآسيوية إثر الزلزال

الضخم الذي ضرب المنطقة. وذكر متحدث باسم الخارجية البريطانية أن ثمانية بريطانيين قتلوا في تايلاند وواحد في سريلانكا واثنين في المالديف. وكانت وزارة الخارجية البريطانية أعلنت صباح الاثنين عن احتمال العثور على المزيد من الضحايا البريطانيين.

وكان متحدث باسم الوزارة أعلن أن هناك تقارير غير مؤكدة عن وجود الكثير من الضحايا البريطانيين في عدة دول، موضحا أنه تأكد غرق بريطانيا واحدا في تايلاند وآخر في سريلانكا واثنين فى جزر المالديف. ويعتقد المسؤولون أن ستة بريطانيين آخرين لقوا حتفهم أيضا في تايلاند. وقال المسؤولون إن هناك تقارير لا حصر لها غير مؤكدة عن وجود ضحايا بريطانيين مع آلاف المصابين. وطبقا لتقارير صحفية في لندن يعتقد رؤساء شركات سياحية بريطانية أن حوالي ١٠ آلاف من المتوجهين لتمضية الإجازات قد تأثروا بالكارثة.

.....

وفي واشنطن، أعلن وزير الخارجية الأمريكي اليوم فى حصيلة جديدة أن ثمانية أمريكيين على الأقل لقوا مصرعهم بسبب المد البحري الذي اجتاح أمس العديد من بلدان جنوب وجنوب شرق آسيا. وأضاف أنه يجرى أيضا رصد أماكن المئات من الأمريكيين الآخرين. وكانت وزارة الخارجية الأمريكية أشارت في وقت سابق إلى مصرع ثلاثة أمريكيين.

.....

وفي جنيف، أعلنت متحدثة باسم الاتحاد الدولي للصيب الأحمر اليوم أن أكثر من مليون شخص نزحوا بسبب المد البحري الذي اجتاح أمس العديد من بلدان جنوب وجنوب شرق آسيا. وقالت المتحدثة "يوجد مليون نازح في سريلانكا و٢٩ ألفا آخرين في تايلاند وحوالي ألف في الهند".

.....

ومن باريس، أعلن كاتب الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية اليوم عن مقتل عشرة فرنسيين وفقدان ١٦ آخرين إثر موجة المد العنيفة التي اجتاحت أمس جنوب وجنوب شرق آسيا. وأوضح المسؤول الفرنسي أن عدد القتلى وصل إلى عشرة أشخاص لاسيما

في فوكيت بتايلاند إضافة إلى ١٦ مفقودا شوهدوا والأمواج تبتلعهم، معبرا عن خشيته من ارتفاع عدد القتلى الفرنسيين (موقع 'JANA' ٢٧ ديسمبر).

٣٠ ديسمبر

أعلنت وزارة الداخلية في تايلاند صباح الخميس أن حوالي ألفي شخص قتلوا من جراء الأمواج العملاقة التي اجتاحت جنوب تايلاند السياحي، وأن أكثر من ستة آلاف في عداد المفقودين. وأسفرت الكارثة أيضا عن إصابة أكثر من تسعة آلاف وثمانمائة شخص. وقال رئيس الوزراء التايلاندي أن حصيلة القتلى ستتجاوز الثلاثة آلاف على الأرجح. ونصف القتلى والمفقودين في تايلاند هم سائحون أجانب خلافا للبلدان الأخرى في المنطقة التي شملها أيضا المد البحري- إندونيسيا والهند وسريلانكا- حيث كان القتلى من السكان المحليين بشكل أساسي.

.....

وقد سعت شركات السياحة الأوروبية يوم الأربعاء للبحث عن زبائنها المفقودين وألغت رحلات إلى المناطق التي تأثرت بكارثة زلزال جنوب آسيا، في الوقت الذي توقع فيه الخبراء خسائر لحركة السياحة في المنطقة على الأجل الطويل. وبذلت فرق الإنقاذ جهودا في البحث في الشواطئ النائية في مختلف أنحاء المحيط الهندي عن ناجين من الموجات الهائلة التي قتلت نحو ٦٩ ألفا من بينهم الآف السياح. وقالت شركة الخطوط الجوية الاسكندنافية "ساس" إنها ستخصص ١٥ طائرة لإعادة السياح من دول شمال أوروبا من المنطقة. ويشكل هؤلاء السياح نسبة كبيرة من الذين تأثروا بالكارثة، ولم يعرف بعد مصير ٣٥٠٠ سائح في المنطقة.

.....

وفي حصيلة محدثة لضحايا المد البحري الهائل الذي خلفه زلزال آسيا، تبين مقتل حوالي ٨١ ألف شخص وفقدان عشرات الآلاف في ثماني دول في جنوب وجنوب شرق آسيا حسب أرقام مؤقتة أصدرتها الدول المعنية الخميس. ففي إندونيسيا سقط أكثر من ٤٥ ألف قتيل في شمال جزيرة سومطرة حسب السلطات الرسمية. وقدر مسؤول في الأمم المتحدة عدد القتلى في إندونيسيا بما بين خمسين وثمانين ألفا. وفي سريلانكا

سجل نحو ٢٢ ألف وخمسمائة قتيل وأكثر من عشرين ألف جريح ونصف مليون مشرد وآلاف المفقودين. وتشمل هذه الحصيلة مائة أجنبي و١٥٠٠ راكب كانوا في قطار غمرته المياه.

وفي الهند قتل ١٠٨٥٠ بينهم نحو ٦٠٧٣ في ولاية تاميل نادو. وتخشى السلطات أن تكون حصيلة الضحايا أكبر من ذلك بكثير بسبب فقدان عشرات الآلاف من الأشخاص وخصوصا في جزيرتي اندامان ونيكوبار. وفي تايلاند قتل نحو ألفين على الأقل وفقد ٦٠٤٣ شخصا في الأمواج الهائلة التي اجتاحت جنوب البلاد. إلا أن رئيس الوزراء التايلاندي صرح صباح الخميس بأن الحصيلة النهائية قد تبلغ حوالي سبعة آلاف قتيل. وفي بورما سقط تسعون قتيلا على الأقل حسب منظمات إنسانية دولية.

وفي المالديف سقط أيضا تسعون قتيلا على الأقل و٧٥ مفقودا، ودمرت الأمواج العاتية ست جزر تدميرا كاملا. وفي ماليزيا سقط ٦٦ قتيلا على الأقل و١٨٣ جريحا وعدد كبير من المفقودين. وقد وصل المد البحري إلى الساحل الشرقي لأفريقيا حيث سقط في الصومال ١١٤ قتيلا وما زال هناك عدد كبير من المفقودين.

.....

وقد ارتفع عدد ضحايا الزلزال العنيف إلى ١٢٠ ألف قتيل بالإضافة إلى مئات الآلاف من المصابين والمشردين، وتتوقع فرق الإنقاذ أن عدد الضحايا سيرتفع سيما بعد رفع الأنقاض والوصول إلى الجزر النائية. وفي حصيلة لضحايا الأجانب، جاءت ألمانيا في صدارة القائمة الأوروبية فيما احتلت الولايات المتحدة الصدارة في القارة الأمريكية.

وفي إندونيسيا صرح مسؤول بوزارة الصحة الإندونيسية الخميس بأن عدد قتلى الزلزال المدمر وموجات المد التي اجتاحت المنطقة الأحد الماضي ارتفع إلى نحو ٥٢ ألفا في إندونيسيا. ولم تتمكن فرق الإنقاذ من الوصول لأجزاء كثيرة في جزيرة سومطرة الشمالية ومن ثم يتوقع ارتفاع عدد الضحايا. وفي جنوب تايلاند اكتشفت فرق الإنقاذ في بلدة "خاو لاك" أربعة آلاف جثة حيث يقع فيها أهم المنتجعات في المنطقة.

وتوقع رئيس الوزراء السويدي أن يصل عدد الضحايا السويديين في المد البحري إلى أكثر من ألف شخص. وقد تصدرت ألمانيا قائمة ضمت ٢٧ دولة أوروبية بعد تعرفها على جثث ٢٦ من رعاياها إلى جانب ألف مفقود. وأكد المستشار الألماني أن

الحصيلة النهائية للقتلى الألمان ستكون رقما من ثلاثة أعداد. كما احتلت الولايات المتحدة الصدارة في القارة الأمريكية باثني عشر قتيلا وعدد كبير من الجرحى ومئات المفقودين من رعاياها في سريلانكا وتايلاند طبقا للاحصاءات الرسمية.

أما اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين، فقد كانت على رأس ثماني دول آسيوية أشارت الاحصاءات الأولية فيها إلى عشرات القتلى وأكثر من ألف مفقود فضلا عن العديد من الجرحى. إلى ذلك كانت وزارة خارجية إسرائيل قد أعلنت الثلاثاء أنه فقد الاتصال بـ ٨٢٠ إسرائيليا كانوا في منطقة جنوب شرق آسيا التي ضربها المد البحري. وتؤكد التقارير أن عدد الضحايا يمكن أن يرتفع خصوصا مع احتمال انتشار الأوبئة والأمراض في المناطق التي وقعت فيها الزلازل والأمواج العاتية (موقع "إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية: أخبار العالم" ٣٠ ديسمبر).

.....

وقد أعلن علماء زلازل أن شمال جزيرة سومطرة، حيث لقي أكثر من ٤٥ ألف شخص حتفهم في المد البحري الزلزالي، تعرض اليوم لسلسلة من الهزات الارتدادية القوية. وقد وقعت الهزة الأخيرة في الساعة الرابعة بالتوقيت المحلي، وقدرت قوتها بـ ٥,٢ درجات على مقياس ريختر. وحدد مركزها في البحر إلى الشمال الغربي لمدينة ميدان. وقال أحد الباحثين بالمعهد الجيوفيزيائي الإندونيسي: "إنها ليست قوية بشكل كاف حتى تتسبب في حركة مد بحري".

وذكر مراسلون أن الآلاف من سكان سواحل جنوب الهند يغادرون المنطقة صباح اليوم وسط موجة من الذعر، إثر إطلاق حكومة الولاية إنذارا بحدوث مد بحري. ويجري السكان وهم يصرخون "الموج قادم!". ويفر المدنيون وعمال الإغاثة الإنسانية وحتى رجال الشرطة من سواحل ولاية تاميل نادو الأكثر تضررا من المد البحري الذي أسفر عن سقوط أكثر من ستة آلاف قتيل من أصل ١٠٨٠٠ في الهند حسب حصيلة مؤقتة للسلطات الهندية.

وكان رئيس وزراء الولاية، قد ألغى في اللحظة الأخيرة زيارة إلى واحدة من قرى صيادي السمك التي تضررت بالمد البحري. وذكرت وكالة الأنباء الهندية أن موجة من الذعر دبت بين السكان بعد إنذار حكومي. وقد طلب مسؤول منطقة "ثانجافور" من

سكانها إخلاءها فورا. وفي ولاية "كيرالا" جنوبا، قال رئيس الحكومة إن معلومات تشير إلى احتمال ارتفاع منسوب مياه البحر ظهر اليوم مؤكدا ضرورة إبلاغ السكان واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة تحسبا لتوقع المزيد من الضحايا.

وأعلنت منظمة الصحة العالمية، اليوم، أن المد البحري أدى إلى تشريد خمسة ملايين شخص في آسيا. وقال المتحدث باسم المنظمة لجنوب آسيا: "تقدر عدد النازحين الذين أصبحوا في أوضاع صعبة في المنطقة بحوالي خمسة ملايين شخص". وأوضح أن بين مليون وثلاثة ملايين من هؤلاء موجودون في إندونيسيا ومليون في سريلانكا، والباقي موزعون بين الهند والمالديف ودول أخرى.

وقالت مصادر سياسية إسرائيلية إن بعثة أخرى للشرطة الإسرائيلية ستصل اليوم الخميس، إلى تايلاند للمساعدة في تشخيص جثث ضحايا إسرائيليين. وستنضم البعثة إلى بعثة إسرائيلية أخرى بدأت بالقيام بمهامها جنوبي تايلاند. وقالت المصادر إن صورة الوضع الحالية للمفقودين الإسرائيليين هي كالتالي: ١٧ مفقودا غالبيتهم في تايلاند. وقام طاقم إنقاذ إسرائيلي مساء أمس، بإنقاذ سبعة ناجين إسرائيليين بواسطة مروحية عسكرية سيريلانكية، من منطقة منكوبة في جالا جنوبي سيريلانكا. وتم نقل الناجين السبعة إلى مدينة كولومبو (موقع "ArabYnet" ٣٠ ديسمبر).

٣١ ديسمبر

تجاوزت حصيلة ضحايا المد البحري الذي خلفه الزلزال العنيف قبالة سواحل إندونيسيا الأحد الماضي أكثر من ١٢٣ ألف قتيل وفق حصيلة جديدة، بعد الإعلان عن حصيلة مؤقتة في إندونيسيا تشير إلى سقوط ٧٩٩٤٠ قتيلا في هذا البلد. وكان مسؤول في الأمم المتحدة قدر عدد القتلى المحتملين في إندونيسيا مابين خمسين وثمانين ألف قتيل، بينما لا يزال عشرات الآلاف في عداد المفقودين. ولا يزال ملايين من البشر في المناطق المنكوبة يبحثون عن طعام يسدون به رمقهم وعن مياه نظيفة في الوقت الذي يواجهون فيه مخاطر الأمراض والأوبئة والجوع والعطش والخوف بعدما بدأت تتكشف ملامح الكارثة التي سببها الزلزال وموجات المد التي ضربت مناطقهم وألحقت بها دمارا وهلاكا واسع النطاق (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر).

.....

وفي كولومبو، قالت الحكومة السريلانكية أن عدد قتلى موجات المد في البلاد ارتفع لأكثر من ٢٧ ألف قتيل وأن هناك أكثر من ٤٩٠٠ مفقود. وقال أحد المتطوعين في مكتب تنسيق جهود الإغاثة التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية بأن عدد القتلى الآن ٢٧٢٦٨ وهناك ٤٩١٨ مفقودا. وبدورها قالت الحكومة الهندية أمس أن ١٣٢٣٠ شخصا قتلوا أو يخشى مقتلهم في البلاد. وقالت الحكومة في بيان أن ٧٢٣٠ شخصا تأكدت وفاتهم وأن هناك ٥٩٠٠ مفقود ويفترض أنهم في عداد القتلى. وتخشى السلطات أن تكون حصيلة الضحايا أكبر من ذلك بكثير بسبب فقدان عشرات الآلاف من الأشخاص وخصوصا في جزيرتي اندامان ونيكوبار في خليج البنغال.

على صعيد آخر، أعلن رئيس الوزراء التايلاندي أمس أن ٨٠% من المفقودين الستة آلاف نتيجة حركات المد البحري في جنوب تايلاند السياحي لقوا حتفهم على الأرجح. وقال رئيس الوزراء للصحفيين "أُحصي كثير من الناس في عداد المفقودين، ونعتقد أن ٨٠% منهم قد لاقوا حتفهم". وأضاف "إن ٢٠% فَقدوا على الأرجح الاتصال بذويهم أو بالسلطات". وإذا ما أخذت تقديرات رئيس الوزراء في الاعتبار، فإن الحصيلة النهائية قد تقترب من سبعة آلاف قتيل. وجاء في الحصيلة الأخيرة لوزارة الداخلية، أن ٢٣٩٤ شخصا على الأقل قد لاقوا حتفهم من جراء المد البحري وأن ٦٠٤٣ في عداد المفقودين.

من ناحية أخرى، أكد دبلوماسي نرويجي نقلا عن فرق إنقاذ نرويجية للإغاثة تعمل في الموقع أمس، أنه تم العثور على ما بين ثلاثة وأربعة آلاف جثة في منتجع "خاو لاك" في مقاطعة "فانغ نغا" جنوب تايلاند الذي دمره المد البحري الهائل. وقال الدبلوماسي "فِرقَنا تتحدث عن ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف قتيل في خاو لاك وحدها". وقال مراسل لوكالة فرانس برس أنه شاهد ١٢٠٠ جثة على الأقل في منطقة قطرها ثمانون كيلومترا في مقاطعة فانغ نغا شمال فوكيت، كانت ٨٠٠ منها ممدة داخل معبدين بوذيين (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر).

٢ يناير ٢٠٠٥

أدى المد البحري الهائل الذي خلفه الزلزال العنيف قبالة سواحل إندونيسيا الأحد إلى مقتل أكثر من ١٢٥ ألف شخص وفقدان عشرات الآلاف في ثماني دول في جنوب وجنوب شرق آسيا حسب أرقام مؤقتة. وفيما يلي تفاصيل الحصيلة في الدول المنكوبة حتى بعض ظهر أمس:

. إندونيسيا: ٧٩٩٤٠ قتيلا على الأقل في شمال جزيرة سومطرة الإندونيسية، حسب السلطات الرسمية. وقد غمرت المياه عددا من القرى الساحلية تماما، كما أعلن مسؤول في وزارة الصحة أمس. وقال مسؤول في الأمم المتحدة أن عدد القتلى يمكن أن يرتفع إلى ما بين خمسين وثمانين ألفا في إندونيسيا.

. سريلانكا: ٢٤٧٤٣ قتيلا على الأقل وأكثر من ١٢٤٨٢ جريحا وحوالى خمسة آلاف مفقود. ويقدر عدد المشردين بـــ ٨٨٨ ألف شخص، وقد دُمر حوالى ٧٦١٠٠ منزل تماما و٢٠٦٨٥ منزلا جزئيا، وثمة ٢١٦٣١٨ عائلة منكوبة.

. الهند: ١٣٢٣٠ قتيلا بينهم نحو ٦٠٧٣ في ولاية تاميل نادو. وتخشى السلطات أن تكون حصيلة الضحايا أكبر من ذلك بكثير بسبب فقدان عشرات الآلاف من الأشخاص وخصوصا في جزيرتي اندامان ونيكوبار في خليج البنغال.

. تايلاند: ٢٣٩٤ قتيلا على الأقل بينهم ٧١٠ سياح أجانب و٦١٣٠ مفقودا بسبب الأمواج الهائلة التي اجتاحت جنوب تايلاند السياحي، وفق وزارة الداخلية التايلاندية. إلا أن رئيس الوزراء التايلاندي صرح صباح البارحة أن "الحصيلة النهائية قد تبلغ حوالى سبعة آلاف قتيل"، موضحا "إن هناك عددا كبيرا من المفقودين ونعتقد أن ثمانين بالمائة منهم قتلوا" (موقع "الأنوار أون لاين" ٢ يناير).

.....

وفي نيودلهي، أعلنت الحكومة الهندية أمس عن ارتفاع حصيلة القتلى والمفقودين إلى ١٣ ألف شخص، وأوضح المتحدث باسم الحكومة أن هذا الارتفاع جاء نتيجة لقفزة حادة في أعداد المفقودين في جزيرتي اندامان ونيكوبار النائيتان واللتان تعدان أكثر المناطق الهندية تضررا من جراء زلزال الأحد.

وأكدت السلطات في سريلانكا أمس ارتفاع أعداد المفقودين بعد الكارثة إلى ما يقرب من ١٤ ألفا، مما يعني أن الحصيلة الاجمالية لعدد القتلى في سريلانكا وحدها وصلت إلى ٤٢ ألف قتيل، بمن فيهم ضحايا مناطق الأقلية التاميلية في شمال شرق البلاد.

وتوقعت السلطات التايلاندية أمس أن يتضاعف عدد قتلى الكارثة من ٤٨٠٠ إلى نحو تسعة آلاف قتيل. وذكر بيان لوزارة الداخلية التايلاندية أن عدد المصابين أكثر من عشرة آلاف شخص و٦٥٤١ مفقودا.

ورفعت ميانمار (بورما) تقديراتها أمس لعدد قتلى الزلزال وموجات المد البحري إلى ٥٣ شخصا. وأعلن المتحدث باسم الرئاسة الصومالية أمس أن محصلة ضحايا الكارثة في الصومال- إحدى الدول المطلة على المحيط الهندي- ارتفع إلى ١٧٦ قتيلا، معظمهم من الصيادين الذين ماتوا غرقا في المياه الإقليمية الصومالية نتيجة ارتفاع أمواج البحر بفعل الزلزال المدمر (موقع "الأهرام: العالم" ٢ يناير).

٣ يناير

تؤكد عمليات انتشال الجثث استمرار ارتفاع عدد القتلى إلى ١٥٠ ألف شخص طبقا لتقديرات الأمم المتحدة في تحديد الحصيلة النهائية. وفي تايلاند، أعلنت وزارة الداخلية أمس أن الحصيلة الرسمية للقتلى بلغت نحو ٥ آلاف قتيلا بالإضافة إلى ٣٨١٠ مفقودا. وأوضحت الوزارة أن القتلى يشملون ٢٤٦١ أجنبيا و٢٧٦ جثة لأشخاص لم تتحدد هويتهم بعد. وارتفع عدد القتلى في الهند أمس إلى ٩٤٥١ قتيلا. وأعلن رئيس الوزراء التايلاندي أمس الأول أن المحصلة النهائية للضحايا قد تتراوح ما بين ٧٠٠٠ و٨٠٠٠ قتيل. وفي كولومبو أعلنت الحكومة السريلانكية ارتفاع عدد القتلى في الكارثة إلى أكثر من ٢٩٧٢٩ قتيلا، في حين انخفض عدد المفقودين من ١٤ ألفا إلى ٥٤٠ مفقودا. ذلك في الوقت الذي ارتفع فيه عدد المصابين من جراء الأمواج العاتية إلى ١٦٦٦٥ جريحا، وشردت الكارثة ٨٠٥٩٧٨ شخصا، ودمرت تماما أكثر من ٩١ ألف منزل وألحقت أضرارا جسيمة بنحو ٢٥ ألف منزل (موقع "الأهرام: العالم" ٣ يناير).

٤ يناير

ارتفعت حصيلة ضحايا المد البحري الهائل، الذي ضرب ثماني دول في جنوب وجنوب شرق آسيا الأسبوع الماضي، إلى ١٥٥ ألف قتيل وسط جهود دولية جبارة لإنقاذ ملايين المنكوبين ومنع انتشار الأوبئة، بينما حذرت منظمة الإغاثة الدولية من أن الأمر قد يستغرق سنوات طويلة لاعادة تأهيل المناطق الأكثر تضررا.

وفي نيودلهي، أعلنت الهند أمس أن عدد ضحايا الكارثة في البلاد ارتفع إلى ١٥١٦٠ شخصا ما بين قتيل أو في عداد القتلى، وذلك بعد زيادة عدد القتلى المسجلين رسميا في ولاية تاميل نادو الجنوبية والمفقودين من جزيرتي اندامان ونيكوبار. وذكرت وزارة الداخلية أنه في الجزر النائية، فإن عدد المفقودين أو من هم في عداد القتلى قد ارتفع إلى ٥٦٨١ شخصا بزيادة ٢٥٠ شخصا عن التقدير الأخير.

وأعلنت حكومة جزر المالديف أمس أنها تقوم حاليا، بصعوبة شديدة، بإعادة تسكين ٥% من سكانها، بعد كارثة الزلزال التي سوّت ١٤ جزيرة بالأرض وألحقت أضرارا بالغة بـ ٥٣ أخرى وشردت ١٥ ألف شخص من بين عدد السكان البالغ عددهم ٣٠٠ ألف شخص، كما قتلت ٨٢ شخصا. وذكر متحدث باسم الحكومة أن عمليات إعادة الإعمار قد تتكلف مليار دولار، وأنه على الحكومة حاليا إعادة بناء ٤ آلاف منزل.

وفي سريلانكا، أعلن المركز الوطني لإدارة الكوارث أمس عن ارتفاع الحصيلة المؤكدة للقتلى بعدة مناطق من الجزيرة إلى ٢٩ ألفا و٧٥٥ قتيلا، في حين بلغ عدد المفقودين ٥٥٤٠ يرجح أنهم قتلوا جميعا. وأشار بيان للمركز إلى أن عدد الجرحى ١٧ ألف جريح والمشردين نحو مليون يقيمون في ٧٧٠ مخيما للإيواء ودور العبادة والمدارس.

وأكد بيان حكومي صدر في بانكوك أمس ارتفاع حصيلة الضحايا إلى ٥٠٤٦ قتيلا بزيادة قدرها ٥٣ قتيلا عن أمس الأول. وأوضح البيان أن نصف القتلى أو نحو ٢٤٥٩ قتيلا من الأجانب. وأشار البيان إلى فقد ٣٨١٠ شخصا مع احتمال وصول الحصيلة النهائية للضحايا إلى ثمانية آلاف (موقع "الأهرام: العالم" ٤ يناير).

٦ يناير

في بانكوك، أعلنت وزارة الداخلية التايلاندية أن عدد القتلى من ضحايا المد البحري تجاوز ٥٢٠٠ قتيل حتى الآن، نصفهم على الأقل من الأجانب الذين كانوا يقضون إجازاتهم على سواحل آسيا. ومازال هناك نحو ٤٥٠٠ شخص في عداد المفقودين من بينهم ١١٠٠ سائح غربي (موقع "الأهرام: العالم" ٦ يناير).

٨ يناير

ارتفع أمس عدد ضحايا كارثة زلزال جنوب آسيا وماتبعه من أمواج المد البحري المدمرة ليصل إلى أكثر من ١٦٥ ألف قتيل. وفي آخر حصيلة أوردتها وكالة الأنباء الفرنسية أمس لضحايا الكارثة، ارتفع عدد القتلى في الدول المنكوبة كلها إلى أكثر من ١٦٥ ألف قتيل، بعد أن أكدت إندونيسيا مقتل ٢٠ ألفا آخرين، لترتفع حصيلة قتلاها فقط إلى ١١٣٣٠٦ شخصا.

وبلغ عدد القتلى من السائحين أو الرعايا الأجانب المقيمين في الدول المنكوبة حتى الآن ٤١٩ أجنبيا، وسط توقعات بارتفاع هذه الحصيلة. وأكثر الدول التي سقط لها ضحايا في هذه الكارثة وعثر على جثثهم بالفعل هي ألمانيا، حيث قتل لها٦٠ شخصا وفقد ٧٥١ آخرون، تليها السويد ثم بريطانيا.

وأعلنت السلطات الإندونيسية أنه تم انتشال نحو أربعة آلاف جثة جديدة من بين أنقاض المباني المدمرة. وقال وزير الخارجية البريطاني أن عدد البريطانيين الذين لقوا مصرعهم في الكارثة بلغ ٤٩ شخصا، إضافة إلى ٣٩١ مفقودا يعتقد أنهم قتلوا ايضا.

وفي غضون ذلك، نفت تايلاند أمس قطعيا، أن يكون ضحايا أجانب قد دفنوا في مقابر جماعية او أُحرقوا، بعد أن طلبت دول غربية توضيحات في هذا الشأن. وذكرت الحكومة أنه يبدو أن مانشر في بعض وسائل الإعلام المحلية والأجنبية عن قيام السكان المحليين بحرق جثث ذويهم ودفنها قد أحدث هذا الالتباس لدى الدول التي مازال لها عدد من المفقودين في تايلاند (موقع "الأهرام: العالم" ٨ يناير).

١٠ يناير

حول حصيلة ضحايا الزلزال وماتبعه من موجات مد بحري، أشارت أحدث الاحصائيات إلى مقتل ١٥٦ ألفا و٢٤٣ شخصا، من بينهم نحو ١٠٤ آلاف و٥٥ شخصا في إندونيسيا وحدها (موقع "الأهرام: العالم" ١٠ يناير).

١١ يناير

بلغت حصيلة الضحايا في إقليم آتشيه ١٠٤ آلاف قتيل على أقل تقدير، وأعلن وزير الشئون الاجتماعية الإندونيسي أمس أن فرق الإنقاذ نجحت حتى الآن في دفن ٥٨ ألفا و٢٨١ جثة في جزيرة سومطرة وتستعد لدفن أكثر من ٥٠ ألف جثة أخرى (موقع "الأهرام: العالم" ١١ يناير).

١٧ يناير

أعلنت وزارة الشئون الاجتماعية الإندونيسية رسميا أمس عن عثور فرق الإنقاذ على ٥٣٢١ جثة جديدة لضحايا أمواج المد البحري المدمرة التي شهدتها دول جنوب شرق آسيا في نهاية الشهر الماضي، ليرتفع بذلك العدد الإجمالي إلى أكثر من ١٦٨ ألف قتيل بالمنطقة، منهم ١١٥ ألفا و٢٢٩ قتيلا في إندونيسيا وحدها. وذكرت وزارة الداخلية في جاكرتا أن عدد المفقودين تقلص بذلك إلى ٣١٧٠ شخصا (موقع "الأهرام: العالم" ١٧ يناير).

٢٤ يناير

وصلت حصيلة كارثة المد البحري المدمر إلى أكثر من ٢٢٧ ألف قتيل، منهم ١٧٤ ألفا من إندونيسيا وحدها، بعدما أضافت وزارة الصحة الإندونيسية أمس ٧٦٦١ قتيلا إلى قائمة الضحايا، فضلا عن ٧٢٤٩ مفقودا. وفي سريلانكا، وصلت حصيلة القتلى إلى ٣١ ألفا، بينما وصلت في تايلاند إلى ٥٣٧٤ قتيلا و٣١٣٤ مفقودا، بينهم ١٠١٠ من الأجانب (موقع "الأهرام" ٢٤ يناير).

٢٥ يناير

ارتفعت أمس حصيلة قتلى المد البحري المدمر في ١١ دولة آسيوية منكوبة إلى نحو ٢٣٤ ألف شخص، بعد أن ارتفعت حصيلة قتلى إندونيسيا وحدها بمقدار سبعة آلاف قتيل (موقع "الأهرام: العالم" ٢٥ يناير).

٢٦ يناير

ارتفع إجمالي حصيلة قتلى تسونامي في الدول الآسيوية المنكوبة إلى أكثر من ٢٨٠ ألف شخص، بعد إعلان وزارة الصحة الإندونيسية أمس ارتفاع حصيلتها إلى نحو ٢٢٨ ألفا ما بين قتيل ومفقود. وأوضح بيان لوزارة الصحة الإندونيسية أمس أنه تم أخيرا دفن ٩٦ ألفا و٢٣٢ جثة من ضحايا تسونامي في إقليمي آتشيه وسومطرة. وفي سريلانكا، ثاني أكبر الدول تضررا من جراء مأساة المد البحري، وصلت حصيلة القتلى والمفقودين إلى نحو ٣١ ألف شخص، بينهم أكثر من خمسة آلاف في عداد المفقودين. وكانت السلطات التايلاندية، التي أعلنت أمس تجاوز حصيلة قتلاها الخمسة آلاف شخص، قد أكدت اعتزامها نقل ١٥٠٠ جثة لضحايا أجانب خلال الأسبوعين المقبلين إلى المركز الشرعي الرئيسي في جزيرة فوكيت بغية التعرف على هويتهم (موقع "الأهرام: العالم" ٢٥ يناير).

٢٧ يناير

اقترب عدد ضحايا موجات المد الزلزالي تسونامي التي ضربت دولا آسيوية عدة في ٢٦ ديسمبر/كانون الأول من حاجز الـ ٣٠٠ ألف قتيل مع رفع إندونيسيا حصيلة القتلى والمفقودين في إقليم آتشيه إلى قرابة ٢٣٠ ألفا. وفي سريلانكا لم يطرأ أي تغيير في الحصيلة التي أشارت إلى نحو ٣٢ ألفا بين قتيل ومفقود. أما في تايلاند التي اعتبرت مفقوديها في عداد القتلى فبلغت الحصيلة ٥٣٤٨، فيما وصلت في الهند إلى ١٦٤١٣ بينهم ٥٣٣٩ مفقودا. كما لم يطرأ تغيير على حصيلة القتلى في المالديف والصومال وكينيا وتنزانيا وميانمار وماليزيا وبنجلاديش، التي وصل مجموعها إلى ٥١٢ قتيلا (موقع "الجزيرة" ٢٧ يناير).

٢٨ يناير

أعلن رئيس إحدى المنظمات الأمريكية لإغاثة الأطفال في إندونيسيا أن نحو نصف ضحايا تسونامي في إندونيسيا أكثر الدول تضررا من الأطفال. وعلى الصعيد نفسه أعلنت إندونيسيا أنها دفنت أكثر من ١٠٠ ألف شخص من ضحايا الكارثة حتى الآن، وصرح مسئولون بأن جنود الجيش الإندونيسي والمتطوعين ينتشلون يوميا مايزيد على ألف جثة من الأوحال والأنقاض من المناطق الشمالية لجزيرة سومطرة وأن عمليات الدفن قد تستمر لأسابيع (موقع "الأهرام: العالم" ٢٨ يناير).

٣١ يناير

قالت وزارة الصحة الإندونيسية إن آخر حصيلة لضحايا المد البحري الذي وقع في ديسمبر/كانون الأول الماضي تفيد بأن ٢٣٢ ألفا و٩٤٥ شخصا لقوا حتفهم أو فقدوا في شمال جزيرة سومطرة، وهو ما يزيد بـ ٢٦٨٤ عن آخر إحصائية. وكانت آخر حصيلة إندونيسية تم الإعلان عنها قد أشارت إلى مقتل وفقد ٢٣٠ ألفا و٢٦١ شخصا.

وفي سريلانكا ثاني أكبر متضرر من الكارثة توقف عدد الخسائر عند ٣٠٩٥٧ شخصا طبقا لإحصائية المركز الوطني للمعلومات، في حين ارتفع عدد الموتى في تايلاند إلى ٥٣٣٩ شخصا واعتبر ٣٠١٧ آخرين في عداد المفقودين منهم حوالي ألف من الأجانب. ووصل عدد الخسائر في الأرواح بالهند إلى نحو ١٠٧٤٤ شخصا، في حين مازال ٥٦٦٩ في عداد المفقودين ومن المحتمل أنهم قد لقوا حتفهم.

وفي ميانمار قتل ٦١ شخصا جراء الأمواج العارمة عكس ما أفادت به الأمم المتحدة من أنهم بلغوا ٩٠ شخصا، وبلغ عدد الموتى في جزر المالديف ٨٢ شخصا مع فقد ٢٦ شخصا. وبلغ عدد الموتى بماليزيا ٦٨ وفي بنجلاديش اثنين فقط. أما في الساحل الشرقي لأفريقيا فقد أعلنت وفاة ٢٩٨ شخصا في الصومال و١٠ في تنزانيا وواحد في كينيا. وبهذا ترتفع حصيلة أعداد قتلى كارثة تسونامي في الدول المتضررة إلى حوالي ٢٨٦ ألف قتيل عقب وقوع أعنف زلزال وقع في العالم منذ حوالي أربعة عقود (موقع "الجزيرة" ٣١ يناير).

١ فبراير

ارتفعت أمس حصيلة ضحايا المد البحري المدمر تسونامي الذي ضرب جنوب شرق آسيا في ديسمبر الماضي إلى أكثر من ٢٨٦ ألف قتيل، وذلك بعد أن رفعت إندونيسيا عدد ضحاياها إلى أكثر من ٢٣٢ ألفا و٩٤٥ قتيلا ومفقودا بزيادة نحو ألفي شخص عن الحصيلة القديمة. وذكرت وزارة الصحة الإندونيسية أن ضحايا تسونامي ارتفع مجددا ليصل إلى أكثر من ١٠٥ آلاف شخص كما اعتبر نحو ١٢٨ ألفا آخرين في عداد المفقودين ويعتقد أن أغلبهم قد قتلوا (موقع "الأهرام: العالم" ١ فبراير).

٢ فبراير

تراوحت محصلة قتلى تسونامي حتى يوم الأربعاء بين ١٥٨ و ١٧٨ ألف قتيل في ١١ دولة حلت بها الكارثة. ومع وجود ما يقدر بـ ١٤٢ ألف مفقود، فقد تتجاوز محصلة ضحايا كارثة تسونامي آسيا المروعة أكثر من ربع مليون شخص. وفي الهند وحدها لقي مالا يقل عن ١٠٧٤٩ شخصا مصرعهم في الطوفان ولا يزال هناك أكثر من خمسة آلاف مفقود، غالبيتهم من أرخبيل اندامان ونيكوبار النائي الذي توجد به جزيرة كامبل باي (موقع "بي بي سي" ٢ فبراير).

وقد ارتفعت أمس حصيلة ضحايا المد البحري تسونامي إلى ٢٨٩ ألف قتيل، وذلك بعد أن رفعت إندونيسيا عدد ضحاياها إلى أكثر من ٢٣٦ ألفا بين قتيل ومفقود. وكانت آخر حصيلة رسمية معلنة هي ٢٣٢ ألفا و٩٤٥ قتيلا ومفقودا. وأعلنت وزارة الصحة الإندونيسية أمس أن المفقودين لن يعتبروا أمواتا إلا بعد مرور سنة على اختفائهم، بينما أكد الرئيس الإندونيسي أن الحصيلة الإجمالية للقتلى في إندونيسيا لن تعرف أبدا بسبب حجم الدمار الهائل الذي خلفه الزلزال وما صاحبه من موجات مد ضخمة (موقع "الأهرام: العالم" ٢ فبراير).

٣ فبراير

ارتفعت أعداد ضحايا كارثة المد البحري تسونامي الذي ضرب سواحل جنوب آسيا إلى ٢٩٠ ألف قتيل ومفقود. وأوضح مسئولون أن هذه الحصيلة تشمل ١٢٧ ألفا

و٧٧٤ مفقودا لم تعلن وفاتهم رسميا، إلا أنه من المؤكد أن يكونوا قد لقوا حتفهم في الكارثة (موقع "الأهرام: العالم" ٣ فبراير).

٤ فبراير

بلغ عدد الجثث التى عثر عليها والمدفونة والمفقودين بعد كارثة أمواج تسونامى الأخيرة ٢٣٨٨٩٢ فى إندونيسيا، وفقا لنشرة صادرة عن وزارة الاعلام والاتصالات الإندونيسية في باندا آتشيه يوم الخميس. وارتفاع الرقم يرجع إلى العثور على نحو ٨٥٠ جثة فى باندا آتشيه، عاصمة إقليم اتشيه، ومنطقة آتشيه بيصار والمناطق الساحلية الغربية فى الطرف الغربى للبلاد. كما يتم العثور على المزيد من الجثث كل يوم خلال إزالة الأتربة والركام والأنقاض من المناطق التى تضررت من أمواج المد. وتعد الحكومة الإندونيسية ملاجئ مؤقتة لأكثر من ٥٠٠ ألف شخص أصبحوا بلا مأوى ويقيمون فى معسكرات للاجئين (موقع "شبكة الصين" ٤ فبراير).

٥ فبراير

ارتفع أمس عدد ضحايا تسونامي إلى أكثر من ٢٩٢ ألف قتيل، وذلك بعد أن أعلنت إندونيسيا أمس ارتفاع عدد القتلى والمفقودين في البلاد إلى ٢٣٨ ألفا و٩٤٥ شخصا. وذكر وزير الصحة الإندونيسي في مقابلة مع وكالة الأنباء الفرنسية أن عدد الضحايا ارتفع إلى ١١١ ألفا و١٧١ قتيلا بينما زاد عدد المفقودين إلى ١٢٧ ألفا و٧٧٤ شخصا (موقع "الأهرام: العالم" ٥ فبراير).

مشكلات الهوية

كانت مشكلة التعرف على ضحايا تسونامي من أعقد المشكلات بعد وقوع الكارثة، حيث واجه الخبراء في الدول التي تعرضت للمد المدمر صعوبة في التعرف على هوية العدد الهائل من جثث الضحايا، بسبب التفسخ الشديد الذي أصابها، بحيث لم يعد ممكنا التأكد مما إذا كانت هذه الجثث لسائحين أجانب او لسكان محليين. وقد حاولت الحكومة التايلاندية جهدها للتعرف على هوية أكثر من ألفي جثة عثر عليها بعد الكارثة. وتحولت

المعابد في المناطق المنكوبة في تايلاند إلى مراكز يقوم فيها الخبراء التايلانديين والأجانب بتشريح آلاف الجثث. وتعد عملية التعرف على هوية أصحاب هذه الجثث هي الأكبر من نوعها.

وقال وزير الداخلية التايلاندي بعد نحو أسبوعين من الكارثة، أن الاختبارات التي أجريت على ١٩٧٣ جثة لم تكن كافية، وبالتالي ستجرى عليها اختبارات أخرى. وقد أجريت عدة فحوص على الجثث التي عثر عليها، والتي بدأت تتحلل بالفعل. وقد تغيرت الأرقام لهوية الضحايا مع مضاعفة الخبراء الشرعيين التايلانديين والأجانب لجهودهم في فحص الجثث. وقال أحد الخبراء السويسريين: "نحن نعمل وفقا للمعايير العالمية، وقد تسارعت العملية بشكل واضح، وقد تم زرع شرائح في جثث القتلى حتى لا يختلط الأمر بينهم بعد ذلك".

وقد التقط الخبراء الشرعيون صورا بالأشعة السينية لأسنان الضحايا، كما حصلوا على بصمات الأصابع في الحالات التي أمكن فيها ذلك، وحصل الخبراء أيضا على عينات من الحمض النووي DNA للجثث، وغالبا ما تم ذلك بنزع سِنتين، وذلك لمقارنتها بمتعلقاتهم، أو بالأحماض النووية لأقاربهم الذين بقوا على قيد الحياة.

وقد عانى الخبراء الشرعيون من ضخامة المهمة التي يقومون بها، إلى جانب عدم وجود أماكن مناسبة لحفظ الأعداد الكبيرة من الجثث التي طرأ عليها التحلل بسرعة بسبب درجة الحرارة المرتفعة في الإقليم. كما ظهرت صعوبات أيضا في التواصل والتعامل بين الخبراء الشرعيين الأجانب والتايلانديين. وقالت إحدى الخبيرات السويسرية في الطب الشرعي بعد نحو أسبوعين من الكارثة: "في البداية كنا نعمل في إطار نظامين مختلفين، وشعر التايلانديون أننا نراجعهم في عملهم، وهو ما أثار حفيظتهم". والآن يعمل فريق الخبراء على فحص أربعين جثة يوميا في موقع البحث في كرابي وحده. وربما ينتهي العمل الأولى خلال أسبوعين، لكن التعريف الرسمي بهويات الضحايا قد يستغرق شهورا. فهويات الضحايا يجب أن تمر خلال ثلاثين دولة مختلفة أبلغت عن غياب مواطنين لها خلال الكارثة. ومن المقرر أن تعاد جثث الأجانب إلى بلادهم الأصلية، حيث سيتم دفنهم (موقع "بي بي سي" ٩ يناير).

أسباب فداحة الخسائر

تعود فداحة الخسائر في المد البحري المدمر بجنوب آسيا إلى عدة أسباب، أهمها قوة الزلزال البحري نفسه وبالتالي عنفوان الطوفان المتكون، إضافة إلى عدم وجود نظام إنذار مبكر يساعد في إجلاء السكان، فقد كان هناك متسعا من الوقت للتحذير من قدوم المد، وكان ذلك كفيلا بخفض أعداد الضحايا وتقليل الخسائر إلى حد كبير. أيضا توقيت الحادث، إذ ضرب الطوفان السواحل فجرا. هذا فضلا عن قرب المنشآت والمنازل من الشواطئ، وتَكون معظمها من أدوار منخفضة ومن مواد خشبية أو دعامات خفيفة لا تقوى على مقاومة موجات المد الزلزالي المتلاحقة. لذا فقد أحدث المد دمارا هائلا خاصة في إقليم باندا آتشيه الإندونيسي (شكل ١٨)، وكذلك في مناطق أخرى عديدة بالدول المتضررة في مأساة متعددة الفصول (أشكال ١٩ و٢٠ و ٢١).

ومن الأسباب التي لا تغفل أيضا استقطاع أجزاء عريضة من الشعاب المرجانية واقتلاع نباتات المانجروف من قِبل سكان المنطقة والمستثمرين بغرض إقامة منازل أو مشاريع سياحية أو مزارع روبيان، وهي أنشطة منتشرة بالمناطق المنكوبة. وقد كانت هذه الموائل الطبيعية كفيلة بتقليل حجم الخسائر، إذ تعمل كصدادات طبيعية أمام الأمواج والعواصف المدمرة. يضاف إلى ذلك انبساط الساحل في معظم المناطق المنكوبة وعدم وجود تضاريس عالية أو حواجز بحرية يمكن أن تقلل أو تحد من شدة وعنفوان الموجات القادمة (موقع "المعرفة" ٣ يناير).

وحول ضعف الإنذار، ذكرت صحيفة إندبان إكسبريس أن القيادات الهندية تلقت تقارير حول غرق القاعدة الجوية في جزر نيكوبار، قبل ساعة كاملة من اجتياح مياه المد العاتية لسواحل البلاد، كما أكدت الصحيفة أن هيئة الأرصاد الجوية الهندية علمت بأمر الزلزال خلال دقائق من وقوعه، ولكن أول رسالة رسمية بعثت بها بخصوص هذا الشأن كانت بعد ساعتين ونصف الساعة من وقوع الزلزال، وأُرسلت إلى رقم فاكس وزير العلوم والتكنولوجيا السابق وليس الحالي.

وذكرت وسائل إعلامية أخرى أن الدوائر الحكومية تبادلت رسائل الفاكس بشأن النشاط الزلزالي والبحري لعدة ساعات دون أن تصدر أي تحذير للمواطنين، ودون أن تبدأ في إعداد العدة لعمليات الإنقاذ والإغاثة. وفي هذا الصدد كانت هناك انتقادات من

مواطني الجزر المنكوبة، لرفض الحكومة الهندية مساعدات وكالات الإغاثة الدولية وأعلنت ما عرف بقيادة موحدة للإغاثة في المناطق المنكوبة. وصرح رئيس الوزراء التايلاندي بأنه سيتم تشكيل لجنة لمعرفة سبب عدم إصدار تحذيرات قبل هجوم الأمواج، الأمر الذي كان سيساعد على إنقاذ حياة الآلاف (موقع "الأهرام: العالم" ٢ يناير).

وعلى رغم وجود المركز الدولي للمعلومات، التابع لمنظمة الحظر الشامل للتجارب النووية، في فيينا، فإن السيل الغزير من المعلومات لم يتم إدراكه إلا في وقت متأخر، بحيث أن إطلاق إنذار فعال في الوقت المناسب للتحذير من عواقب الهزة الأرضية وموجات تسونامي لم يعد ذا جدوى. ويؤكد مساعد المدير التنفيذي للمنظمة بأن ٧٨ محطة قياس مرتبطة بالشبكة والموزعة على جميع أنحاء العالم سجلت يوم السادس والعشرين من ديسمبر الماضي الهزة تحت المائية قبالة سواحل سومطرة. ورغم أن الشروط الفنية متوافرة، فإنه لم يصدر تحذير في الوقت المناسب من أخطار تسونامي. والمعلومات التي سجلتها أجهزة الرصد عن أقوى هزة أرضية منذ أربعين عاما لم تكن سوى معلومات بلا قيمة، فقد بقيت قيد المعالجة في أجهزة الكمبيوتر المعقدة الموجودة في مركز الحاسبات الدولي في فيينا لمدة ساعتين، وكان من المفترض أن يصدر تحذير مؤثر موجه إلى الدول المتضررة خلال تلك الفترة. وسَبَب التدفق البطيء للمعلومات هو عدم وجود جهاز إنذار يطلق تحذيراته عند بلوغ قوة محددة متخطيا عمليات التحليل.

ويضيف أن برامج الكمبيوتر قابله للتعديل، لكنها لم تعدل، مشيرا إلى أن عملية التحليل ضرورية من أجل تحديد نوع التجربة النووية التي تحدث هزات بقوة ٣,٥ درجة بمقياس ريختر، بينما الهزات الأرضية التي تشكل خطرا على الإنسان تكون أقوى من ذلك، وعندئذ تكون التحاليل التي تستغرق ساعات عديمة الجدوى، وفي هذه الحالة يمكن على الأقل إطلاق إنذار الخطر في المناطق المصابة. وفي هزة سومطرة التي بلغت ٨,٩ درجة بمقياس ريختر يوم السادس والعشرين من ديسمبر لم يصدر مثل هذا الإنذار، كما أنه بعد ساعتين من التحليلات ليس بمقدور أي دولة الحصول على هذه المعلومات، وإنما فقط الدول الموقعة على معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية. وتايلاند وإندونيسيا، حيث توجد ثمانية محطات للرصد مرتبطة بشبكة المنظمة في فيينا، يمكنهما الحصول على المعلومات، لكن الهند وسريلانكا لا يمكنهما ذلك.

وعندما انطلقت صفارات الإنذار في أروقة المنظمة في فيينا وبدأت تظهر شيئا فشيئا جسامة الكارثة الفادحة كان الوقت متأخرا لتحذير الدول الواقعة على المحيط الهندي، وقامت محطات التليفزيون ببث أولى صور الكارثة المدمرة وأثارها، ومع ذلك، ورغم عطلة أعياد الميلاد، تدفق موظفو المنظمة إلى مكاتبهم. لذلك فإن الكارثة ستجعل المنظمة تفكر في تدارك النقص ومعالجته، ومن الآن فصاعدا ستتغير الأمور من أجل بث المعلومات في الوقت المناسب بعد أن لقي أكثر من مائتي ألف شخص مصرعهم في الكارثة. وقد ظهر الاستعداد السياسي والمالي لدى الدول الموقعة على معاهدة حظر التجارب النووية لتأسيس سكرتارية مؤقتة لهذا الغرض يعمل موظفوها على مدار الساعة لتقييم المعلومات الواردة في وقت وصولها (موقع "الأهرام: تقارير المراسلين" ٢٥ يناير).

التأثيرات على البشر

معاناة الناجين

عانى الناجون من تسونامي ظروفا قاسية، ففي مدينة باندا آتشيه الإندونيسية كان هناك بعد الكارثة ظروفا معيشية غاية في الصعوبة، فالمعونات التي تصل إليهم قليلة للغاية، والمياه المتوافرة لا تصلح للشرب، والمياه المعدنية تباع بالمحال، والناجون اللاجئون بلا نقود يشترون بها شيئا وبلا أمل في غد أفضل، بل بدت الحياة في معقل اللاجئين المسمي ماطاي، كما لو أن الموت كان أرحم من النجاة.

عشرات الناجين رووا حكايات المأساة الرهيبة التي مروا بها، ومازالوا يعانون أثارها، كلهم شاهدوا أهلهم وهم بين فكي أمواج المحيط، التي هجمت عليهم مثل ثعبان كوبرا بارتفاع منزل من ثلاثة طوابق، حتى أن واحدة من الناجيات قالت "تصورت أنه يوم القيامة!" (موقع "الأهرام: الصفحة الأولى" ٢٣ يناير).

التأثيرات الصحية

بعد عدة أيام من الكارثة، ذكر مسؤولون طبيون أن منع انتشار الأمراض في المناطق المنكوبة بأمواج المد المدمر أصبح يشكل سباقا مع الزمن، لكن على عكس الاعتقاد

السائد، فإن آلاف الجثث المتحللة ليست هي ما يشكل التهديد الرئيسي. وذكروا أن مياه الصرف الصحي الملوثة هي عامل الخطر الأساسي في انتشار الأمراض القاتلة مثل الكوليرا والملاريا وحمى الدنج.

وتتدافع منظمات الإغاثة لتوفير مياه الشرب النقية للمناطق المنكوبة. وقالت المتحدثة باسم منظمة الصحة العالمية في نيودلهي أنه ليس هناك خطرا من انتشار الأوبئة بسبب الجثث، فأغلب العناصر الحاملة للأمراض لا تعيش طويلا في جسد ميت، والمصدر الرئيسي للأمراض الحادة من المرجح بدرجة أكبر أن يكون من الناجين من أمواج المد الذين ربما يحملون الأمراض بالفعل.

وقد دمرت الأمواج العاتية التي اجتاحت الشواطئ إمدادات المياه النقية في مئات القرى ولوثت ما تبقى من المياه النقية بمياه الصرف. وتؤكد منظمة الصحة العالمية أن هذه المياه الملوثة هي ما يشكل الخطر الأكبر. وقالت المتحدثة باسم المنظمة: يمكني القول إن العديد من الناس قد يموتون إذا لم نتمكن من الوصول إلى الناس في توقيت مناسب بالمياه النقية لمنع الوفيات بأمراض تنقلها المياه. وأضافت: الأمراض تنتشر عن طريق المياه الملوثة ومياه الشرب والمياه التي تستخدم في غسل الاطعمة، وأول أعراض استهلاك المياه الملوثة هو الإسهال، والأطباء في سريلانكا وغيرها يبلغون بالفعل عن حالات قيء وإسهال (موقع "الأنوار أون لاين" ٢ يناير).

وقد بدأت الأمراض والأوبئة الناجمة عن كارثة زلزال آسيا تحصد أرواح العديد من الناجين، تأكيدا للتحذيرات الطبية السابقة من أن الأمراض المعدية ستسبب معاناة من نوع آخر لسكان المناطق المنكوبة في آسيا، وذلك وسط بيانات تؤكد ارتفاع أعداد الضحايا في معظم الدول المتضررة.

ففي آتشيه أيضا ذكر رئيس فريق عمليات الهلال الأحمر في إندونيسيا أن الأمراض والأوبئة الناجمة عن الكارثة بدأت تحصد أرواح الناجين في إقليم باندا اتشيه، مشيرا إلى أن الأيام الخمسة التي أعقبت الزلزال شهدت وفاة العديد من الأشخاص لإصابتهم بالعدوى، إلا أنه لم يقدم عددا محددا لهم، كما لم يذكر نوعية الأمراض التي بدأت في الانتشار في المناطق المنكوبة (موقع "الأهرام: العالم" ٢ يناير).

وقال صندوق الأمم المتحدة للسكان أنه يوجد ما لا يقل عن ١٥٠ ألف سيدة حامل في المناطق المنكوبة ربما يتعرضن لمشكلات صحية من بينها الإجهاض، ويحتجن إلى مساعدات طبية وغذائية عاجلة (موقع "الأهرام: العالم" ٢ يناير ٢٠٠٥).

وقد حذر خبراء طبيون من انتشار وباء الملاريا في منطقة آتشيه شمالي إندونيسيا التي تعتبر أكثر المنطاق تضررا من كارثة تسونامي التي ضربت جنوب شرق آسيا وخلفت أكثر من ١٦٥ ألف قتيلا. ووفقا للجهة المسؤولة عن مكافحة الملاريا في مناطق باندا آتشيه الكبرى وميلابوه فإن خطر الكوليرا والإسهال أصبح ضعيفا في تلك المناطق بعد أن وصل إليها الماء النقي لكن خطر الملاريا وحمى الدنج أصبح يهدد حياة آلاف الناجين من تسونامي. وحذر المصدر نفسه من أن وباء الملاريا قد يفتك بحياة ١٠٠ ألف شخص في شمال إندونيسيا إذا لم تتخذ الإجراءات الوقائية اللازمة في أقرب وقت ممكن.

وبدأت بعض فرق الإغاثة في عمليات تطهير في مخيمات بضواحي عاصمة باندا آتشيه، في حين يتوقع أن تنطلق عمليات التطهير الكبرى في غضون يومين وذلك بسبب تأخر وصول مبيدات الحشرات من العاصمة جاكرتا لاعتبارات بيروقراطية. ويعزى خطر ظهور الملاريا إلى تحلل برك الماء المالح التي خلفها المد الزلزالي بفعل الأمطار الموسمية التي تهاطلت على المنطقة لتتحول إلى أحواض قذرة أصبحت مرتعا خصبا للذباب والبعوض (شكل ٢٣).

وقد تزامن خطر الملاريا مع تحذير الحكومة الإندونيسية لعمال الإغاثة من أنها لا تستطيع أن تضمن أمنهم في مناطق التوتر وهي الأقرب إلى مركز الزلزال، كما طلبت من الجنود الأجانب الذين يوزعون المعونات الرحيل بحلول مارس/آذار القادم. وأعلنت الحكومة الإندونيسية أنها سترسل آلاف الجنود الإضافيين للمناطق المنكوبة للمساعدة في الجهود الإنسانية المبذولة لضحايا تسونامي (موقع "الجزيرة" ١٤ يناير).

وقد حذر رئيس هيئة الصليب الأحمر الدنماركية من رصد بضع حالات يشتبه في إصابتها بالكوليرا. وقال إن وجود أعداد هائلة من الجثث المتحللة تحت أنقاض المباني المنهارة يعادل قنبلة موقوتة لا يعلم أحد بموعد انفجارها. وكانت بعض الهيئات الدولية

قد حذرت من تفشي أوبئة الكوليرا والتيفوئيد بين الناجين من الكارثة بسبب تحلل الجثث وتردي الأوضاع الصحية.

وقد نفت مصادر صحية ما تردد عن تفشي وباء الكوليرا في أحد مخيمات اللاجئين بإحدى المدن التي أضيرت بشدة من جراء موجات المد العاتية. وأشار مدير المستشفي الوحيد في مدينة جالي إلى أنه سيبلغ عن أي حالة إصابة بالكوليرا قد يكتشفها. وأرسلت وزارة الصحة الهندية نداء استغاثة للعاملين بها في جزر اندامان للعودة إلى أعمالهم بسبب المخاوف المتزايدة من انتشار الأوبئة بعد بقاء جثث آلاف الغرقى دون دفن لأسبوع (موقع "الأهرام: العالم" ٣ يناير).

وقد أكدت منظمة الصحة العالمية عدم ظهور أزمات صحية في المعسكرات المكتظة بالمنكوبين في جنوب آسيا، إلا إنها دعت المسئولين الصحيين في الوقت نفسه إلى الابقاء على نفس مستوى الحيطة المتبع. وقال المدير العام للمنظمة إنه من الطبيعي في ظل وجود كارثة كالزلزال وماتبعه من موجات مد بحري أن تظهر بعض الأمراض، إلا أنه أشار إلى أنها جميعها تحت السيطرة. وأضاف إنه تم رصد عدد من حالات الاصابة بالإسهال والأمراض الجلدية والتنفسية (موقع "الأهرام: العالم" ٩ يناير).

وحول الأوضاع الصحية للناجين، أكد مسئولون صحيون إنه مع مرور أسبوعين على الكارثة لم تظهر أي موجات من أمراض خطيرة بين الناجين المشردين، إلا انهم مازالوا مستعدين لمواجهة ماهو أسوأ. وكانت منظمة الصحة العالمية قد حذرت في وقت سابق من حدوث موجة من الوفيات بسبب الأمراض مالم يتم وصول إمدادات المياه النظيفة إلى الناجين على الفور. إلا إنها في الوقت نفسه أكدت أنه منذ وقوع الكارثة لم يتم تسجيل أمراض خطيرة باستثناء حالات من الإسهال والأمراض الجلدية والتنفسية. وفي الوقت ذاته حذرت منظمة "أطباء بلا حدود" من تكديس الناجين في معسكرات الإيواء، مشيرة إلى أن ذلك يحول دون إمكانية تغلبهم على الآثار النفسية الناجمة عن الكارثة، ودعت إلى ضرورة الإسراع في إقامة مساكن جديدة لهم (موقع "الأهرام: العالم" ١٠ يناير).

وقد أعلنت ممثلة صندوق الأمم المتحدة للطفولة "يونيسيف" أمس أن المنظمة بدأت في إرسال شحنات كبيرة من أمصال التطعيم ضد الأوبئة إلى إقليم آتشيه بعد رصد أول

حالة إصابة مؤكدة بالحصبة، وقالت أن هناك مخاوف جدية من تفشي وباء التيفوئيد بين الناجين من كارثة الزلزال، وأشارت إلى أن اليونيسيف تتعاون مع وزارة الصحة الإندونيسية والهيئات المستقلة مثل "أطباء بلا حدود" للبدء في حملة لتطعيم الأطفال دون سن ١٥ عاما من الأمراض (موقع "الأهرام: العالم" ١١ يناير).

وبعد بضعة أيام بدأت وكالات الأمم المتحدة المتخصصة وعدة منظمات إنسانية حملة واسعة النطاق في إقليم آتشيه لتطعيم الناجين من كارثة المد البحري من وباء الملاريا، في حين أعلن رسميا عن ارتفاع طفيف في الحصيلة الإجمالية للضحايا إلى ١٦٣ ألفا و٣٧٠ قتيلا في دول المنطقة. وبدأ عمال الإغاثة في رش مخيمات اللاجئين في مدينة باندا آتشيه عاصمة إقليم آتشيه بمواد كيماوية لنقل تجمعات البعوض الناقل للملاريا، وأعرب مدير إحدى المنظمات الصحية عن مخاوف عدة منظمات من احتمالات وفاة أكثر من ١٠٠ ألف إندونيسي بالملاريا ما لم تتخذ اجراءات عاجلة لتجنب تفشي المرض وبائيا (موقع "الأهرام: العالم" ١٦ يناير).

وبعد نحو شهر من الكارثة حذرت منظمة الصحة العالمية من أن تعرض إقليم آتشيه المنكوب إلى تفشي الأمراض والأوبئة مازال خطرا قائما، وبالأخص في مخيمات المشردين والمصابين حيث مازالت الأوضاع تتسم بالفوضى ومسألة نقاء إمدادات مياه الشرب تثير القلق.

وعلى صعيد المساعدات للمناطق المنكوبة، حذرت منظمة الأمم المتحدة من إصابة الناجين من تسونامي بحالة اعتماد مرضي على المساعدات الأجنبية، مطالبة بضرورة تخطي الدول المنكوبة والدول المانحة لمرحلة المساعدات والبدء في مناقشة خطط التنمية والإعمار على المستويين المتوسط والبعيد (موقع "الأهرام: العالم" ٢٥ يناير).

التأثيرات النفسية

بعد نحو شهر من وقوع كارثة تسونامي، حذرت منظمة الصحة الدولية من أن نصف مليون شخص من الناجين من الكارثة في إقليم آتشيه، يواجهون أزمات نفسية وعقلية عنيفة، ويحتاجون إلى دعم طبي. وأكدت المنظمة أن نحو ٢٠٠ ألف منهم سوف

يحتاجون إلى علاج نفسي، مشددة على ضرورة إخضاع المرضى النفسيين في المناطق المنكوبة إلى تدريب متطور (موقع "الأهرام: العالم" ٢٦ يناير).

وقد أوضح الخبراء، في مؤتمر عقد في بانكوك يناقش سبل علاج الناجين من الكارثة، أن الاضطراب الذهني الذي أصاب بعض الناجين قد يستمر لسنوات. وقال الطبيب النفسي، مدير برنامج الضغوط الناجمة عن الصدمات والقلق بجامعة ديوك الأمريكية: "لا يمكن تحقيق الشفاء إلا إذا وضعنا في اعتبارنا دائما الآثار النفسية للكارثة وتبعاتها على الصحة العقلية". وأضاف: "نتوقع أن يعاني ما بين ٥٠ إلى ٩٠ بالمائة من السكان في المناطق المنكوبة، من الاكتئاب واضطرابات مابعد الصدمة." وأوضح أن تلك الأرقام تستند إلى معلومات عن كوارث طبيعية سابقة. وأقر بأنه من الضروري التعامل مع المشكلات الصحية العامة التي تواجه الناجين، لكنه أكد أن الناجين لن يشفوا تماما من الآثار النفسية للكارثة إلا إذا تلقوا رعاية مناسبة فيما يتعلق بالصحة العقلية. وقال إن تلك المهمة قد تستغرق سنوات، خاصة وأن العديد من الناجين يعانون من متاعب نفسية مزمنة.

ومن مهام مؤتمر بانكوك البحث في سبل علاج الصدمات النفسية التي قد تكون أصابت المواطنين في المناطق التي تضررت من كارثة تسونامي بما فيها سريلانكا وجزر المالديف وإندونيسيا وتايلاند والهند. وأوضح رئيس قسم الطب النفسي بجامعة أديلايد الاسترالية، أن أي طرق لعلاج صدمات مابعد الكارثة يجب أن تضع في الاعتبار الاختلافات الثقافية. وقال: "توجد هناك دائما اعتقادات مختلفة داخل المجتمعات بشأن طبيعة المعاناة الإنسانية، فإذا لم تُقدم الرعاية الصحية بطريقة تتلاءم مع هذه المعتقدات المختلفة فإن المساعدة التي سيقدمها المرء لن يعتد بها".

وذكرت وزارة الصحة التايلاندية أن نحو عشرة آلاف مواطن تلقوا علاجا من فرق الصحة العقلية التي تجوب المنطقة. كما يشارك بعض الرهبان البوذيين الذين درسوا علم النفس في علاج الناجين. وأفاد رئيس قسم الصحة العقلية بوزارة الصحة التايلاندية، بأن نحو ٣٠ بالمائة من الناجين في المناطق المنكوبة ظهرت عليهم علامات الإصابة باضطرابات مابعد الصدمة بما في ذلك عدم القدرة على النوم أو الحملقة في البحر، لكن هذه الأعراض لم ترق إلى المستوى الخطير. وأضاف أن ٢٠ بالمائة من

الناجين قد "تأثروا بصورة بالغة" من الكارثة حيث يعاني بعضهم من أعراض خطيرة مثل الاعتقاد بأن أقاربهم الذين توفوا في الكارثة سيعودون مرة أخرى. وقال: "قد تكون آثار الكارثة على المدى البعيد أكثر من خطورة من كارثة تسونامي نفسها، بل قد تكون تسونامي ثانية إذا لم تتوافر المساعدة المطلوبة لعلاج صدمات مابعد الكارثة والتداعيات النفسية للكارثة" (موقع "بي بي سي" وموقع "وكالة أنباء البحرين" ٢ فبراير).

هلع التوابع

توالت توابع الزلزال المدر بعد الكارثة لفترة طويلة بالمناطق المتضررة، مما سبب الهلع بين الناجين، فبعد بضعة أيام من الكارثة، أصدرت الحكومة الهندية تحذيرات جديدة لجميع المناطق المتضررة من موجات المد العاتية التي وقعت بالمحيط الهندي، مما دفع السكان الفزعين للفرار من المناطق الساحلية. وقالت الشرطة أن من المرجح حدوث أمواج مد نتيجة هزات أرضية تابعة في جزيرتي اندامان ونيكوبار القريبتين من مركز الزلزال الكبير المدمر. وأجّلت الشرطة مئات السكان من بعض المناطق الساحلية (موقع "الوطن" ٣١ ديسمبر).

وقد حدث هذا في المنطقة الساحلية شرقي الهند وفي جزر بخليج البنغال بعد أن دق مسئولون ناقوس الخطر تحذيرا من إمكانية حدوث مد بحري شديد عند الظهيرة. وأطلقت وزارة الداخلية هذا الإنذار بناء على معلومات أرسلها خبراء مقيمون على حافة المحيط الهادي حذروا فيها من احتمال حدوث هزة أرضية عنيفة بالقرب من استراليا خلال اليومين المقبلين. وطلبت الوزارة من المسؤولين بولايتي تاميل نادو وكيرالا الجنوبيتين وولاية بونديتشيري التي تديرها الحكومة الهندية الاتحادية وجزر اندامان ونيكوبار ولاكشادويب بإجلاء السكان من المناطق الساحلية.

وذكرت الوزارة أنه لا يوجد ما يدعو إلى الفزع حيث أن هذا مجرد تحذير. إلا أن آلافا من الهنود الذين عانوا الدمار الناتج عن موجات المد العاتية هرعوا إلى الشوارع وتسلقوا الأشجار وصعدوا إلى أسطح المباني لا يدرون كيف يحتمون من خطر الفيضان. وطلبت الولايات من سكانها أن يبتعدوا عن المناطق الساحلية بمسافة كيلومترين. ووضعت وزارة الداخلية الجيش والبحرية والقوات الجوية على أهبة الاستعداد تحسبا

لموجات المد الجديدة. وعمت الفوضى جزيرتي نيكوبار واندامان في خليج البنغال بينما تواصل وقوع التوابع الزلزالية. وهزت أربعة زلازل بقوة أعلى من خمس درجات على مقياس ريختر الجزيرتين الممتدتين باتجاه جزيرة سومطرة الإندونيسية قرب مركز الزلزال المدمر.

وصرح حاكم اندامان للصحفيين: "لدينا معلومات علمية بأن مستويات المياه قد ترتفع عند الظهر. نأمل إلا يحدث هذا لكن علينا أن نكون مستعدين". وأطلق الحاكم التحذيرات قبل حوالي ١٥ دقيقة من الموعد المتوقع لبداية تلك الموجات في فترة الظهيرة. واندفع المئات من الرجال والنساء والأطفال في بورت بلير خارج المباني مذعورين من احتمال ارتفاع منسوب المياه.

وسيطرت حال من الفزع على سكان بلدة ناجاباتينام أكثر المناطق تضررا بولاية تاميل نادو حيث بلغ عدد ضحاياها أربعة آلاف شخص من إجمالي ستة آلاف شخص لقوا حتفهم بالولاية. وذكر تليفزيون نيودلهي أن المتاجر أغلقت واندفع موظفو الحكومة وعمال الإغاثة إلى الحافلات والشاحنات في دقائق معدودة ليتمكنوا من مغادرة المكان بأسرع ما يمكن (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر).

وقال المرصد الجيولوجي الأميركي إنه لا يعلم بوقوع أي هزة تابعة بالقوة الكافية لإحداث أمواج مد جديدة. وقال أحد خبراء الزلازل بالمرصد "إن الهزة التابعة يجب إلا تقل قوتها عن ٧,٥ درجات على مقياس ريختر لتحدث أمواج مد، وأنه لم ترصد هزات تزيد قوتها عن ٧,١ درجات منذ وقوع زلزال تسونامي".

وقال مسؤول في وزارة الداخلية الهندية: "أصدرنا تحذيرا لكافة المناطق التي تضررت من قبل. هذا إجراء وقائي يستند إلى بعض المعلومات التي تلقيناها". وغادر الآلاف من سكان سواحل جنوب الهند المنطقة أمس، وسط موجة من الذعر إثر إطلاق مسؤول في الولاية إنذارا بحدوث مد بحري. وكان السكان يصرخون: الموج قادم! (موقع "الأنوار أون لاين" ٢ يناير).

التأثيرات البيئية

البنية الأساسية

أحدث المد البحري الزلزالي الهائل دمارا كاسحا للبنية الأساسية في معظم المناطق المتضررة. فحينما وصلت سفينة تابعة للقوات البحرية الإندونيسية بعد عدة أيام من الكارثة، تحمل فرقا طبية وجنود بحرية إلى المدينة الساحلية ميولابو، وجدت أن أكثر من ٧٥ بالمائة من المدينة قد غرقت أراضيها، وأن أجزاء من الساحل الجنوبي الغربي لجزيرة سومطرة وجزر صغيرة أخرى مازالت معزولة تماما بسبب الزلزال والأمواج العاتية. وأفاد المتحدث باسم مكتب الرئاسة الإندونيسية، بأن المياه أغرقت الطرق وممرات الطائرات في المنطقة، كما دمرت الموانئ. وأوضح المتحدث أن شاحنة أُستعملت لنقل الوقود اللازم لسفن القوات البحرية التي تستخدم للوصول إلى المناطق المنكوبة من مدينة ميدان التي تبعد يوما كاملا عن تلك المناطق. وقال إن السلطات خصصت عشر مروحيات لأغراض الإغاثة لكنها لا تكفي لنقل الشاحنات الثقيلة، كما لا تصلح للهبوط في المناطق المغطاة بالمياه. وأشار إلى أن الهيئات الحكومية والشرطة والقواعد العسكرية فقدت الكثير من العاملين بها إضافة إلى تدمير المعدات الخاصة بها (موقع "بي بي سي" ٣١ ديسمبر).

وقد ذكرت صحيفة "يوميوري شيمبون" اليابانية أن شدة الأمواج العاتية التي ضربت منتجع "خاو لاك" في تايلاند بعد الزلزال تعادل في قوتها التدميرية خُمس قوة القنبلة الذرية التي أسقطت على مدينة هيروشيما اليابانية عام ١٩٤٥، ونقلت الصحيفة من علماء يابانيين قولهم أن ضغط المد البحري الذي ضرب تلك السواحل بلغت قوته مايتراوح بين ٣,٧ و٦,٧ طن على المتر المربع، وأشار الفريق العلمي الياباني إلى أن ارتفاع الأمواج تراوح بين٣,١ و١٠,٦ مترا وبسرعة وصلت إلى ثمانية أمتار في الثانية الواحدة (موقع "الأهرام: العالم" ١١ يناير) (قنبلة هيروشيما تعادل في طاقتها التدميرية نحو ٢٠ ألف طن من مادة TNT).

ويعزي بعض العلماء الأثار التدميرية الهائلة لزلزال جنوب آسيا إلى سببين، الأول قوته التي بلغت نحو ٩ درجات على مقياس ريختر، وثانيا لم يكن الزلزال على العمق المتوقع، حيث جاءت بورته أقل من ٥٠ كيلومترا من سطح القشرة الأرضية، حيث

حدث على عمق ٤٠ كيلومترا ، لذا فهو يعد من الزلازل القريبة من سطح الأرض، وبالتالي كان له تاثير سريع في انتشار موجات المد السريعة العالية التي وصل ارتفاعها عشرة أمتار (موقع "الأهرام: تحقيقات" ٣ يناير).

وقال وزير الخارجية الأمريكية خلال زيارته للمناطق المنكوبة بعد عدة أيام من الكارثة، أنه لم ير في حياته مثيلا لحجم وقوة الدمار الهائل الذي خلفته الكارثة في جنوب آسيا، على الرغم من مشاركته في الحروب ومعايشته للعديد من الأعاصير. وقال الوزير في إقليم آتشيه الإندونيسي أن رؤية الدمار الذي ألحقه تسونامي في الإقليم على شاشات التليفزيون وفي الصحف يختلف تماما عن رؤيته بصورة شخصية من خلال المروحية التي حلقت به فوق الإقليم. وأشار إلى أنه أصبح لديه تفهما أفضل لاحتياجات الإقليم والتحديات التي تواجه الحكومة الإندونيسية في غضون الأسابيع والشهور المقبلة. وأضاف بأن الوفد الأمريكي الذي يرافقه والذي يضم حاكم ولاية فلوريدا سيطلع الرئيس الأمريكي وأعضاء الكونجرس وبقية أعضاء الإدارة الأمريكية على حجم الدمار والضرر الذي أصاب الإقليم، وذلك حتى يتم تأكيد تنسيق جهود الإغاثة مع المجتمع الدولي لتقديم جميع المساعدات الممكنة للسلطات الإندونيسية (موقع "الأهرام: العالم" ٦ يناير).

وقد حذر خبراء في مجال الصحة من أن عملية إعادة إعمار البنية الأساسية الطبية وحدها في الدول المنكوبة قد تستغرق عدة سنوات، وهو ماسيجعل الملايين من الأشخاص في هذه المناطق عرضة للإصابة بالأمراض والأوبئة. وقالت منظمة الصحة العالمية أن ٦٠% من المراكز الطبية والمستشفيات في بعض المناطق دمرت بالكامل، وهو ما أدى أيضا إلى مقتل العديد من الأطباء والعاملين في الحقل الطبي، مؤكدة أن هناك مستشفى عسكريا في آتشيه كان يعمل به نحو مائة طبيب وممرض لم يبق منهم على قيد الحياة إلا عشرة أفراد فقط (موقع "الأهرام: العالم" ٨ يناير).

كما لحقت بمعظم المناطق المنكوبة خسائر اقتصادية جسيمة، ففي جزر المالديف مثلا، أكد متحدث باسم الحكومة أن كارثة زلزال آسيا الحقت أضرارا كبيرة بجميع سكان المالديف البالغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة، كما أدى إلى تراجع النمو الاقتصادي بواقع عقدين من الزمان. ويشير الخبراء الاقتصاديون إلى أن جزيرة فوكيت السياحية خسرت

بعد الكارثة حوالي عشرة ملايين دولار يوميا، نظرا لأن الكارثة وقعت خلال موسم انتعاش السياحة في تلك المناطق بالتحديد (موقع "الأهرام: العالم" ٦ يناير).

الطبيعة والحياة البرية

من التأثيرات الفادحة لتسونامي جنوب آسيا ، تداعيات تلك الكارثة على البيئة السياحية، فمن المتوقع أن يتسبب المد الضخم، الذي دمر مناطق واسعة في تلك المنطقة، في ضربة قاصمة لقطاع السياحة الذي يشهد حركة نشطة في مواسم الأعياد. فقد تسببت الأمواج التي أعقبت الزلزال في إغراق جزء كبير من جزر المالديف التي تستقطب السائحين في مثل هذا الوقت من العام لقضاء عطلة الأعياد. وتشكل عائدات السياحة أكثر من ٣٠% من موازنتها. كما ضرب الزلزال وتوابعه من الفيضانات أيضا جزيرة سومطرة الإندونيسية وجنوب الهند وسريلانكا وتايلاند التي تضم منتجعات سياحية تسهم بعائد مهم في خزينة البلاد. ويُتوقع أن تتكبد اقتصاديات آسيا خسائر قد تصل إلى مليارات الدولارات (موقع "الجزيرة" ٢٧ ديسمبر).

وحذر خبراء بيئيون بعد بضعة أسابيع من الكارثة من الآثار السلبية الهائلة التي خلفها تسونامي على البيئة في المناطق المنكوبة من إندونيسيا وغيرها من المناطق المنكوبة. وأشاروا إلى أن المياه المالحة التي غمرت الأراضي أتلفت حقول الأرز ودمرت الشواطئ والشعاب المرجانية، كما لوثت المياه الجوفية وهددت عددا من فصائل الحيوانات بالانقراض (موقع "الأهرام: العالم" ١٩ يناير).

وعن الحياة البرية ذهل مسؤولو الحياة البرية في سريلانكا لأنهم لم يعثروا على جثة حيوان واحد، بعد أسوأ موجة مد مرت عليهم وقتلت ٢٢ ألف شخص على سواحل سريلانكا المطلة على المحيط الهندي. وقد اجتاحت موجات المد العاتية مسافة ثلاثة كيلومترات من البر، ووصلت إلى حديقة يالا في جنوب شرق البلاد، وهي أكبر مجمع للحيوانات البرية والتي تضم مئات الأفيال وعددا من الفهود. وقال نائب مدير إدارة الحياة البرية "الغريب أننا لم نرصد أي حيوان نافق. لم تمت أي أفيال ولم نجد حتى أرنبا بريا. أعتقد أن الحيوانات يمكنها أن تتوقع الكوارث. لديها حاسة سادسة. إنها تعرف عندما يقع شيء" (موقع "ArabYnet" ٣٠ ديسمبر).

وحول التأثير على الثروات الطبيعية فقد تشمل تهدم قطاعات عريضة من الشعاب المرجانية الضحلة وأشجار المانجروف التي تمثل للشواطئ حائط صد أول ضد الأمواج العاتية، فضلا عن هلاك أعداد كبيرة من الكائنات الحية البحرية. وربما لخص مشهد نفوق عشرات الحيتان والدلافين، التي لا تعرف في حياتها سوى البحر وحرفتها مصارعة الأمواج، على شواطئ القارة الأسترالية، على بعد آلاف الأميال من مركز الزلزال، ربما لخص مقدار الخسارة التي أحاطت أيضا بالحياة البرية بالمنطقة. هذا عن الحيتان أضخم الكائنات، فما حال باقي الكائنات إذن! (موقع "المعرفة" ٣ يناير). وقد عكفت كثير من الدراسات على تقصي آثار الكارثة على الحياة البرية في البحر والبر.

وفي اهتمام ضمني بالحياة البرية، افتتح الرئيس الفرنسي وسكرتير عام منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونسكو" في أواخر يناير، مؤتمر التنوع البيولوجي، الذي شارك فيه نحو ١٢٠٠ عالم ومسؤول سياسي وخبير بيئي. وقد بحث المؤتمر سبل العمل من أجل عدم تكرار كارثة المد البحري في آسيا، وارتفاع معدلات انقراض الأنواع الحية وتدمير الأنظمة البيئية بمعدلات خطيرة على الرغم من تصديق ١٧٠ دولة على اتفاقية التنوع البيولوجي عام ١٩٩٢ (موقع "الأهرام: العالم" ٢٥ يناير)

قاع المحيط

أظهرت أول صور لقاع المحيط الهندي، بعد الهزة الأرضية القوية التي ولدت المد البحري تسونامي في جنوب آسيا، التقطتها سفينة بريطانية، وجود تصدع ضخم علاه الوحل يمتد لعدة أميال في قاع المحيط (موقع "الأهرام: الصفحة الأولى" ١٤ فبراير).

فقد نشر العلماء البريطانيون صورا لقاع المحيط في المنطقة بالقرب من مركز زلزال آسيا الضخم. وقد التقطت الصور سفينة الاستكشاف "إتش إم إس سكوت" التابعة للبحرية البريطانية. وتظهر الصور ثلاثية الأبعاد عدم انتظام قاع المحيط في المنطقة الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومترا من ساحل سومطرة، كما تبين حدوث انزلاقات أرضية ضخمة تحت الماء (شكل ٢٥). ويعتقد الباحثون أن هذه الصور ربما تساعد في تصميم نظام إنذار مبكر لمواجهة ظاهرة تسونامي في المنطقة. وقال تيم هينستوك، وهو أحد العلماء الموجودين على ظهر السفينة: "هناك عدد من المناطق التي تشبه الوديان

الكبيرة، لقد أمكننا رصد ترسبات ضخمة من الطين ربما يبلغ سمكها عدة أمتار وتوجد أدلة على حدوث نشاط زائد في منطقة الشق الأرضي".

وتظهر الصور بوضوح الحدود بين كل من الصدع التكتوني الهندي والبورمي، وهي المنطقة المسماة بقوس سوندا. ويظهر الصدع الهندي المستوي باللون الأرجواني حيث يتحول إلى اللون الأزرق بينما يختفي جزء من القشرة الأرضية تحت الصدع البورمي الأصغر. وقد أدت القوة التي تولدت عن هذه العملية إلى تخلخل الصخور السطحية والتي تظهر تجمعاتها في الصور باللونين الأخضر والأصفر. ويعتقد العلماء الذين شاركوا في الدراسة أن ظاهرة تسونامي حدثت عندما أدى الزلزال إلى ارتفاع مفاجئ لجزء من الصدع البورمي، والذي كان مستندا على طرف الصدع الهندي، مما أدى إلى حدوث إضطرابات مائية ضخمة على السطح. وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها عمل رسوم تفصيلية لمنطقة في قاع المحيط، ويعتقد العلماء أن عددا من شركات التنقيب عن النفط قامت بعمليات مسح جيولوجي في هذه المناطقة من قبل. وقد أظهرت الصور التي التقطت حتى الآن أن هناك بعض المناطق التي لم تتأثر بالزلزال بينما تأثر البعض الآخر.

وقال راسل واين، العالم في جيولوجيا المياه: "السؤال الكبير الآن هو لماذا اتجهت كل توابع الزلزال إلى الشمال من مركز الزلزال، بينما لم تتأثر المنطقة التي تقع جنوب مركز الزلزال، ولذا فإن واحدا من أهم الموضوعات التي ستركز عليها الدراسة هو لماذا حدث هذا وكيف يمكن الاستفادة منه". ويمكن أن تكون هذه المعلومات مفيدة في عملية إنشاء نظام الإنذار المبكر.

وكانت خلافات قد ثارت بين عدد من الحكومات المعنية، حول مكان مركز التنسيق، حيث تريد كل حكومة أن يوضع المركز في أراضيها، إلا أن الدراسة الحالية تركز على الأمر الأكثر أهمية وهو الأماكن المناسبة لوضع المجسات التي ستوفر المعلومات.

وبالنسبة لطاقم السفينة "إتش إم إس سكوت" تعتبر هذه المهمة فريدة في نوعها حيث كان الدور الرئيسي للسفينة هو رسم خرائط أعماق للمناطق المشتبه في وجود غواصات معادية بها. وترسل الغواصة موجات السونار على شكل نبضات إلى الأعماق حيث يؤدي الانعكاس القادم من الأسطح تحت الماء إلى رسم خرائط ثلاثية الأبعاد لقاع

المحيط. وكانت إتش إم إس سكوت في المنطقة الغربية من المحيط الهندي بالقرب من ساحل مدغشقر عندما وقع الزلزال الذي بلغت شدته نحو تسع درجات على مقياس ريختر.

وعلى الفور قررت وزارة الدفاع البريطانية إعادة توجيه السفينة إلى الشرق حيث رست في سنغافورة في أواخر يناير/كانون الثاني وذلك للتزود بالمؤن والتقاط علماء مدنيين تابعين للمركز البريطاني للمسح الجيولوجي ومركز ساوث هامبتون لدراسة المحيطات. وبعد الحصول على إذن من الحكومة الإندونيسية أبحرت إتش إم إس سكوت إلى مركز الزلزال بالقرب من جزيرة سومطرة.

وقال الكابتن جاري بروكس الضابط الإداري للسفينة إنه وطاقمه لا يعرفون شيئا تقريبا عن تأثيرات تسونامي، وأضاف: "لقد كنا معزولين تماما عما حدث لأننا بدأنا الإبحار في السابع والعشرين من ديسمبر/كانون الأول وفي البحر نعيش حياة منغلقة تقريبا، ولم نر أي من الصور المفزعة التي رآها العالم". "ونحن نعمل بشكل بعيد نسبيا عن الشاطئ لذا فلم نر فعليا أيا من آثار الدمار، نحن نعرف لماذا نحن هنا وما الذي نحاول تحقيقه في المستقبل، لكننا لا نعرف حقيقة مدى الدمار أو المشاكل التي عانى منها العالم". (موقع "بي بي سي" ١١ فبراير).

توابع الزلزال

تتابعت الزلازل الأرضية عقب الزلزال المدمر، وقال عالم الهزات الأرضية في معهد إدنبره بسكوتلاندا "لقد سجلنا أكثر من ٢٠ هزة ارتدادية بعضها كانت من القوة بحيث كان يمكن أن تحتسب زلزالا لوحدها" مؤكدا أن بعض الهزات بلغت قوتها ٣,٧ درجة على مقياس ريختر. وقال إنه "يمكن حصول زلزال كبير آخر على نفس هذا الخط الفاصل بين الصفيحتين التكتونيتين الهندية-الاسترالية والأوروبية-الآسيوية، ولكن من المستحيل تحديد متى وأين سيحدث ذلك" (موقع "JANA" ٢٧ ديسمبر).

وبعد بضعة أيام من الكارثة، أعلن علماء الزلازل أن شمال جزيرة سومطرة الإندونيسية، حيث لقي أكثر من ٤٥ ألف شخص حتفهم يوم المد المدمر، تعرض لسلسلة من الهزات الارتدادية القوية. وقد وقعت الهزة الأخيرة في الساعة الرابعة

بالتوقيت المحلي "٢١,٠٠ ت غ" وقدرت قوتها بـ ٥,٢ درجة على مقياس ريختر. وحدد مركزها في البحر إلى الشمال الغربي لمدينة ميدان. ووقعت هزتان أخريان أيضا بعد ثلاثة أيم أخرى وبلغت قوتهما ٥,١ و٥,٢ درجات، وقال مسؤول بالمعهد الجيوفيزيائي الإندونيسي "إنها ليست قوية بشكل كاف حتى تتسبب في حركة مد بحري" (موقع "إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية: أخبار العالم" ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤ وموقع "الوطن" ٣١ ديسمبر).

بعد بضعة أيام أخرى، ضرب زلزال آخر بقوة ٦,٥ درجات على مقياس ريختر جزر نيكوبار الهندية النائية. وقال خبير زلازل من دائرة الأرصاد الجوية التايلاندية: "لا نستطيع التنبؤ بما إذا كان الزلزال سيؤدي إلى مد بحري جديد، إلا أن سكان فوكيت شعروا به". وكانت جزيرة فوكيت السياحية التايلاندية قد دُمرت بسبب سلسلة الأمواج العاتية التي خلفت آلاف القتلى في دول آسيا. ووصف المسؤول الزلزال إنه "زلزال جديد" لأنه وقع على بعد نحو مائتي كيلومتر شمال مركز الزلزال المدمر الذي وقع قبالة الساحل الإندونيسي (موقع "المستقبل" ٢ يناير).

وقال المرصد الجيولوجي الأميركي أن منطقة جنوب آسيا ما زالت تتعرض لتوابع قوية للزلزال المدمر وأن خمس هزات بقوة ٥,٦ درجات بمقياس ريختر أو أكثر وقعت في يوم واحد. وأضاف المرصد في موقعه على الانترنت أن أحدث تلك التوابع وقوته ٥,٧ درجات وقع على مبعدة ٧٥ كيلومترا غربي عاصمة إقليم آتشيه في جزيرة سومطرة في حوالى الساعة الرابعة من صباح الخميس الماضي. ووقع أقوى أحدث خمسة توابع وقوته ٦,٢ درجات قبيل الساعة ١١,٣٠ من صباح الاربعاء الماضي بالتوقيت المحلي على مبعدة ٩٠ كيلومترا شمالي جزر نيكوبار. وقال المرصد إن حوالى ٧٠ هزة أرضية بقوة خمس درجات أو أكثر هزت المنطقة منذ يوم الأحد. وقال مسؤول بالمرصد أن من المتوقع أن تستمر المنطقة في التعرض لهزات قوية لأسابيع وأشهر، لكن من غير المرجح أن تشهد زلزالا ضخما مثل زلزال الأحد (موقع "الأنوار أون لاين" ٢ يناير).

وأعلن علماء رصد الزلازل في مركز علوم الأرض بستراسبورج تعرض جزيرة سومطرة الإندونيسية إلى هزة أرضية جديدة تقدر قوتها بـ ٦,٥ درجات على مقياس

ريختر لتصبح أقوى توابع الزلزال المدمر الذي بلغ نحو ٩ درجات.، وأكد العلماء أن الهزة وقعت تحت سطح البحر على بعد ٢١٥ ميلا من إقليم باندا آتشيه وفي نقطة قريبة من مركز الزلزال المدمر، واستبعدوا خطر ترتب موجات مد بحري على الهزة الاخيرة. وتأتي هذه الأنباء وسط ورود تقارير غير مؤكدة حول وقوع هزتين آخريين تتراوح قوتهما بين ٥ و٥,٢ درجات. ورغم أن هذه التوابع المستمرة بشكل يومي منذ زلزال الأحد لم تسفر عن خسائر تذكر، فإنها أصابت سكان الجزيرة بحالة من الفزع وزادت من فوضى الأوضاع هناك. وكانت جزر اندامان ونيكوبار قد تعرضت إلى هزتين جديدتين في ساعة مبكرة منذ صباح الأول من يناير وتراوحت قوة الهزتين ما بين ٥ و ٥,٢ درجات على مقياس ريختر ولم ترد تقارير عن وقوع أي خسائر مادية أو بشرية جديدة من جراء تلك التوابع (موقع "الأهرام: العالم" ٢ يناير).

وبعد نحو أسبوعين من الكارثة، ضرب زلزال جديد قوته ٦,٢ درجة بمقياس ريختر إقليم آتشيه الإندونيسي والجزر المتاخمة له في ساعة مبكرة من الصباح، وسادت حالة من الفزع بين سكان الإقليم. وسارع السكان في مدينة باندا آتشيه بالخروج من منازلهم وملاجئ الإيواء إلى الطرقات تحسبا لانهيار ماتبقى من مبان في المدينة، وهي الأكثر تضررا بالزلزال المدمر الأخير. وأعلن مسئول في مكتب الارصاد الإندونيسي إنه لم ترد أنباء عن إصابات بشرية أو أضرار مادية من جراء الهزة الأرضية الجديدة. وقال المسئول أن زلزال أمس بلغت قوته ٥,٧ درجة، في حين أعلن المعهد الأمريكي للمسح الجيولوجي أن قوته ٦,٢ درجة بمقياس ريختر، وأوضح بيان للمعهد أن مركز الزلزال يقع على بعد ٦٠ كيلو مترا تقريبا إلى الجنوب الغربي من باندا آتشيه عاصمة جزيرة سومطرة. وأكد البعض أن هذا الزلزال كان أقوى من الهزات التابعة التي وقعت بعد الزلزال الأصلي، كما أن مدته الزمنية كانت أطول، وأن قوة الهزة الأرضية الجديدة وطول مدتها أيقظا السكان فهرعوا إلى الشوارع طلبا للنجاة (موقع "الأهرام: العالم" ١١ يناير).

وبعد نحو ثلاثة أسابيع من الكارثة، حذرت هيئة الأرصاد اليابانية في وسط يناير سكان الجزر الواقعة على الساحل الشرقي لليابان من إمكانية تعرضهم إلى موجات مد عاتية على غرار أمواج تسونامي. وقد جاء التحذير بعد نحو ساعتين من وقوع زلزال

بقوة ٦,٨ درجات على مقياس ريختر على عمق عشرة كيلومترات تحت قاع المحيط الهادئ وعلى بعد ٢٠٠ متر من السواحل الشرقية لليابان (موقع "الأهرام: العالم" ٢٠ يناير).

وفي إندونيسيا، عاش سكان إقليم "سولاويسي" يوما من الفزع والذعر بعد أن تعرض إقليمهم إلى هزتين أرضيتين بلغت قوة كل منهما ٦,٣ درجات على مقياس ريختر، ودفعت أكثر من مائتي ألف إندونيسي إلى مغادرة منازلهم وقراهم والاحتماء بالتلال والمرتفعات القريبة، خشية أن تكون الهزات بمثابة تمهيد لتكرار كارثة المد البحري التي شهدتها بلادهم قبل شهر.

ولم تتسبب هذه الهزات في خسائر بشرية تذكر، فيما عدا مقتل مواطن إندونيسي وإصابة أربعة آخرين بجروح في انهيار منزل في مدينة بالو عاصمة إقليم سولاويسي الأوسط. وأعلنت وكالة الأرصاد الجوية في جاكرتا أن الهزتين أعقبتهما أربع توابع تراوحت قوتها بين ثلاث وأربع درجات. وأشارت إلى ورود تقارير حول تسبب الهزات وتوابعها في إلحاق أضرار بنحو ثمانية منازل وخمسة من المحال التجارية فضلا عن انهيار جدران إحدى الكنائس بالمدينة.

وأكد المسئولون الإندونيسيون أن الخسائر الحقيقية للهزات التي وقعت على بعد ١٦ كيلومترا جنوب بالو تمثلت في حالة الذعر الشديدة التي سيطرت على سكان سولاويسي الذين هرعوا بشكل فوضوي للاحتماء بالسلاسل الجبلية والمرتفعات المحيطة بمدنهم. وأوضح قائد شرطة الإقليم أن أكثر من مائتي ألف شخص قضوا يومهم في الخيام، رافضين العودة إلى منازلهم بعد انتشار شائعات باحتمال تكرار كارثة تسونامي على إثر ذلك الزلزال، إلا أن الحكومة الإندونيسية نفت صحة الشائعات التي ترددت حول تكرار كارثة تسونامي، مطالبة في الوقت نفسه المواطنين بالتزام الحذر واليقظة (موقع "الأهرام: العالم" ٢٥ يناير).

وعلى صعيد متصل، ذكر مكتب الأرصاد الجغرافية في إندونيسيا أن إقليم آتشيه تعرض لأكثر من ٤١٠ هزات أرضية من التوابع بعد الزلزال المدمر. وفي سريلانكا، ذكر مركز إدارة الكوارث أن ضحايا المد البحري قد ارتفع إلى ٣١ ألف قتيل.

ومن ناحية أخرى، ضرب زلزال متوسط بلغت قوته ٥,٣ درجة بمقياس ريختر الساحل الجنوبي لتركيا على البحرالمتوسط، حيث كان مركزه داخل المياه على بعد ٥٠ كيلومترا من مدينة كاش الواقعة في محافظة انطاليا. وقد أدى الزلزال إلى إصابة السكان في كاش بالذعر حيث هرعوا إلى الشوارع ونزح العديد منهم، غير أنه لم ترد تقارير عن وقوع إصابات بشرية أو خسائر مادية (موقع "الأهرام: العالم" ١ فبراير).

وفي اليونان، هز زلزال بلغت قوته ٥,٦ درجة بمقياس ريختر شرق البلاد ولكنه لم يسفر عن وقوع إصابات أو خسائر مادية. وفي اليابان ضرب العاصمة اليابانية طوكيو أمس زلزال قوته ٥,٨ درجة على مقياس ريختر ولم يسفر أيضا عن وقوع إصابات أو خسائر (موقع "الأهرام: العالم" ١ فبراير).

ثم ضرب أمس زلزالان بقوة ٥,٦ و٤,٢ درجة على مقياس ريختر إقليمي جاوه ولامبونج الإندونيسيين، وأوضح العلماء بهيئة الأرصاد الجوية والبحوث الجيوفيزيقية الإندونيسية أن الزلزالين كانا متتابعين (موقع "الأهرام: العالم" ٢ فبراير).

وعلى صعيد آخر، تسبب زلزال بلغت قوته ٥,٢ درجة بمقياس ريختر بباندونج عاصمة إقليم جاوه الإندونيسي، في إثارة حالة من الذعر والفزع بين السكان الذين توجهوا إلى الأماكن المرتفعة خوفا من حدوث موجات مد بحري مدمرة. موقع "الأهرام: العالم" ٣ فبراير).

وبعد أقل من شهرين من كارثة المد الهائل، ضرب زلزال عنيف بلغت قوته ٦,٩ درجات على مقياس ريختر جزيرة سولاويسي شرقي إندونيسيا واستمر الزلزال لمدة دقيقتين، مما أدى إلى إثارة حالة من الذعر بين السكان الذين فروا من منازلهم، والذين لا يزالون يعانون من ذكرى التسونامي القاتلة، إلى أراض مرتفعة خشية وقوع مد بحري جديد شبيه بتسونامي. وأوضحت وكالة الأرصاد الجوية الإندونيسية أن الزلزال وقع بالقرب من تحت سطح البحر ويقع مركزه على بعد ٢٢٤ كيلومترا إلى جنوب كنداري، كبرى مدن جنوب شرق سولاويسي، مشيرة إلى عدم ورود أنباء عن وقوع خسائر بشرية أو مادية.

وقد ارتفع منسوب مياه البحر عدة أمتار دون أن تكون هناك موجات مد عملاقة، وقد صرحت شرطة خفر السواحل الإندونيسية بأن السكان بدؤوا بالعودة إلى منازلهم، بعد

أن تمت طمأنتهم من عدم وجود خطر على حياتهم من الزلزال الجديد. ويأتي هذا الزلزال بعد ثلاثة أيام من زلزال آخر بلغت قوته ٦,٢ درجات على مقياس ريختر ضرب الجزيرة نفسها وبعد أقل من شهرين من الزلزال العنيف الذي وقع قبالة جزيرة سومطرة وتسبب في موجات مد بحري عملاقة خلفت قدرا هائلا من الدمار والقتلى. ولم تكن سولاويسي قد تأثرت بالتسونامي ولكن ذكراه لا تزال عالقة بأذهان جميع الإندونيسيين. وكان زلزال قوي قد ضرب سولاويسي في يوم كارثة تسونامي وقتل شخصا واحدا. وقالت إذاعة الشينتا بجاكرتا إن أناسا فروا من بيوتهم في مدينة باوباو جنوبي شرق سولاويسي خوفا من طوفان محتمل يأتي في أعقاب الهزة. وقال المسؤولون إنه ليس من المحتمل حدوث تسونامي جديد من جراء تلك الهزة التي يقع مركزها على بعد ٧٠ كيلومترا في عرض البحر.

وليس بعيدا عن إندونيسيا، ضرب زلزالان بلغت قوتهما ٥,٩ و٤,٨ درجات على مقياس ريختر شرقي جزيرة تايوان، دون أن يسفرا عن وقوع خسائر مادية أو بشرية. وأوضح المركز الوطني لرصد الزلازل في الجزيرة أن الهزة الأولى وقعت قبيل منتصف الليلة الماضية بقليل ومركزها على بعد ٤٣ كيلومترا شرق منطقة تايتونغ، في حين وقعت الهزة الثانية بعد ذلك بساعة ومركزها على بعد ٣٧,٢ كيلومترا إلى شرق منطقة هواليان (موقع "الجزيرة" وموقع "بي بي سي" ١٩ فبراير).

الجغرافيّة والأرض

لم تسلم خارطة المنطقة ولا جغرافيتها أيضا من التغيير. فبحسب تأكيدات علماء أميركيين، فإن الزلزال سيؤدي إلى تحرك عدد من الجزر الصغيرة في المحيط الهندي بعيدا عن مكانها الحالي. ويبدو أن هذه التقديرات صحيحة تماما، فالتقارير تشير إلى تحرك جزيرة سومطرة بالفعل عن موضعها المعهود باتجاه الجنوب الغربي بمقدار ٢٦ مترا، كما تزحزحت الجزر الأخرى المجاورة في نفس الاتجاه، وإن لم يكن بنفس القدر. من جهة أخرى قلص زلزال سومطرة من سرعة دوران الأرض حول نفسها وإن كان بنسبة ضئيلة جدا، ليقل بذلك طول اليوم بمقدار جزء من الثانية، في حين تأثر محور

الأرض لتتغير زاوية ميله بمقدار ٢,٥ سنتيمترا مقارنة بوضعيته السابقة (موقع "المعرفة" ٣ يناير).

وقد بدأ الخبراء في مجال المساحة بحوث ودراسات مكثفة ما إذا كانت أمواج المد البحري العنيفة قد أعادت رسم الأرخبيل الهندي، سواء عن طريق قسم الجزر أو إغراقها أو تحريكها من مواقعها الأصلية. كما يبحث العلماء مصير القبائل المتمركزة في هذا الإقليم. ويشرع العلماء حاليا في فحص حدود الأرخبيل الذي يضم نحو ٥٠٠ جزيرة استوائية تقريبا على مساحة ٨٣٠٠ كيلومتر مربع (موقع "الأهرام: العالم" ٦ يناير).

وقد قال باحثون استراليون، أن الأرض مازالت تتأرجح بعد مرور أسبوعين على الزلزال العنيف الذي هز قاع المحيط الهندي وسبب أمواج المد العاتية. وأوضح باحث في مجال علوم الأرض في جامعة استراليا الوطنية أن هذا التأرجح يشبه في شكله رنين جرس، ولكن دون إحداث صوت. وقال إن معدات مراقبة الجاذبية تلتقطه. وأضاف الباحث أن هذه ليست هزات من تلك التي تقذف بالمرء من فوق مقعده، لكنها من النوعية التي تستطيع المعدات الموجودة في شتى أنحاء العالم قياسها بشكل روتيني. وأشار إلى أن زلزال آسيا مازال يتسبب في تأرجح الأرض لأنه كان أقوى بعشرة أمثال أعنف الزلازل التي وقعت في الآونة الاخيرة. وقال مازلنا نستطيع رؤية إشارات على أن الأرض تتارجح نتيجة لهذا الزلزال بعد أسبوعين، ومما تبدو عليه الأمور فإنه من المرجح أن الأرض ستستمر في التأرجح لعدة أسابيع أخرى. يذكر أن علماء أمريكيين كانوا قد قالوا عقب الزلزال إنه ربما يكون قد زاد في سرعة دوران الأرض بشكل دائم، حيث جعل الأيام أقصر بمقدار جزء من الثانية كما ذكر، وتسبب في ترنح الأرض حول محورها (موقع "الأهرام: العالم" ١٠ يناير).

وقد نفي مركز الفضاء الدنماركي ما كان قد أعلنه عالم أمريكي عن أن الزلزال أسفر عن تحريك جزر سومطرة لأمتار، وأكد المركز أن الزلزال أسفر عن تحريك الجزر بمقدار ٢٠ سنتيمترا فقط. وكان عالم الجيولوجيا الأمريكي، كين هيودينت، قد صرح ثاني يوم للكارثة بأن جزر سومطرة تحركت بسبب قوة الزلزال لمسافة ٢٠ مترا في اتجاه الشمال الشرقي، بينما انزلقت الاجزاء الشمالية من بعض المناطق الإندونيسية لمسافة ٣٦ مترا في اتجاه الجنوب الغربي. إلا أن العلماء في مركز الفضاء الدنماركي

أكدوا أمس أن جزر سومطرة لم تتحرك بمقدار أكثر من ٢٠ سنتيمترا فقط، وأكد العلماء أن الزلزال أحدث تحركات أفقية تقدر بسبعة أمتار لشق يمتد لمسافة تتراوح بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلومتر غرب سومطرة. وأوضح العلماء أن هذا الشق حما الجزيرة من أن تقع بها تغيرات ضخمة لموقعها الجغرافي (موقع "الأهرام: العالم" ٢ فبراير).

ويرى بعض العلماء المصريين أنه عادة ما يصاحب الزلازل الكبيرة مثل زلزال آسيا تغير في شكل المنطقة من ناحية التركيب الجيولوجي، لأنه يعتمد على طول الفالق ونوعه. فالفالق الذي حدث في منطقة الزلزال من الفوالق العكسية التي يصحبها إزاحة رأسية وأفقية أيضا، مما يؤثر على ارتفاع وهبوط مناطق. وقد حدث ذلك في زلزال جزيرة شدوان بالبحر الأحمر في ٣١ مارس ١٩٦٩ في مصر والذي بلغت شدته ٩,٦ درجة وصاحبه ارتفاع بعض الجزر الصغيرة في البحر الأحمر نتيجة للحركة الرأسية للفالق، هذه التغيرات في شكل وتركيب جيولوجية المناطق أمر وارد في زلزال بقوة ٩ درجات مثل الزلزال الأخير.

ولا يرى بعض العلماء أن مثل هذا الزلزال الأخير يمكن أن يحدث تغييرا في سرعة دوران الأرض حول محورها، لأنه حدثت زلازل مدمرة بالكرة الأرضية من قبل على مدى ملايين السنين ولم تحدث مثل هذه التاثيرات. وأن ما حدث هو إزاحات لبعض الجزر بمسافة يقدرها العلماء حاليا بين ٢٠ و٣٠ كيلومترا نتيجة تحرك الصفائح التكتونية (موقع "الأهرام: تحقيقات" ٣ يناير).

مخاطر الألغام

أثر بيئي آخر قد يشكل خطرا إضافيا، يتمثل في الألغام الأرضية التى زرعت إبان الحرب الأهلية في سريلانكا، حيث قد تؤدي إلى المزيد من الضحايا سواء من أهالي المنطقة أو من فرق الإغاثة، حيث نَزعت الأمواج هذه الألغام وكذلك العلامات الإرشادية والتحذيرية المحيطة بها من أماكنها، لتزرعها في أماكن جديدة غير معلومة (موقع "المعرفة" ٣ يناير).

التأثيرات الاجتماعية

لا شك من توقع العديد من التداعيات الاجتماعية نتيجة المد الطوفاني المدمر الذي تسبب في هلاك مئات الآلاف من الضحايا من القتلى والمفقودين، والمصاحب بتغير مخيف في الحالة الصحية والنفسية للناجين من الكارثة، زد على ذلك انهيار البنية الأساسية واكتساح المنازل والمساكن، وما تلاها من تعرض للتشرد، وقصور حاد في المتطلبات الضرورية للحياة في عديد من المناطق المنكوبة، ونستعرض فيما يلي تداعيات اجتماعيات أعلنت خلال الشهر التالي لوقوع الكارثة.

.....

ضحايا موجة المد في تايلاند يتعرضون للسرقة: قال شهود عيان إن لصوصا متنكرين في زي رجال شرطة وعمال إنقاذ، يسطون على شاطئ "خاو لاك" في جنوب تايلاند، حيث أسفرت موجات المد العاتية عن مقتل آلاف الضحايا. ويفرغ اللصوص حقائب السياح، ويسرقون خزائن الفنادق وممتلكات القرويين على الشاطئ في شمال جزيرة "بوكيت"، في حين ينشغل أغلب رجال الشرطة في المنطقة بعمليات البحث عن الناجين والإغاثة في أكثر الأماكن تضررا في تايلاند.

ويلقي بعض السكان المحليين اللوم على صيادين من بورما، يعملون على العديد من مراكب الصيد مقابل دولار أو اثنين في اليوم. وقال مالك واحد من عشرات المنتجعات والفنادق على الشاطئ: "تضررنا من الكارثة الطبيعية وعمليات السطو. بعضهم ادعوا أنهم من رجال الشرطة ودخلوا بعض الفنادق وكسروا الخزائن الخاصة بالزوار. أُخذت الأموال من حقائب السياح وتركت حقائبهم مفتوحة وخالية". وقالت سيدة عجوز لتليفزيون بانكوك عبر هاتفها المحمول من "خاو لاك": "أرجوكم أرسلوا الشرطة إلى هنا. كل الأطعمة والمشروبات التي حصلت عليها من عمال الإغاثة سرقها الصيادون (موقع 'ArabYnet' ٣٠ ديسمبر).

.....

اللصوص والمجرمون يستهدفون ضحايا الزلزال: بالرغم من أن ضحايا الكارثة الطبيعية في آسيا لم يتعافوا بعد من أثر تلك الكارثة، إلا أن اللصوص والعصابات الاجرامية بدأت في استهدافهم. وقال مايك بيري خبير علم نفس الجريمة إن الظروف

التي يمر بها الضحايا الآن "فرصة ذهبية للمجرمين". وحتى الآن لم تقع سوى حوادث متفرقة من الجرائم، لكن هناك تقارير عن حدوث عمليات نهب للمنازل والمتاجر، بل والجثث، في العديد من الدول التي ضربتها الكارثة. كما أشارت تقارير إلى اغتصاب بعض الضحايا في معسكرات الإيواء.

وتقول تقارير أخرى أن أفراد العصابات يصادقون الأطفال الذين فقدوا أهلهم من أجل بيعهم فيما بعد. وقال الناطق باسم صندوق رعاية الطفولة والأمومة التابع للأمم المتحدة "يونيسيف" أن هناك حالة واحدة تم التأكد من صحتها، تم فيها تهريب طفل من إقليم آتشيه في إندونيسيا إلى مدينة ميدان القريبة من أجل بيعه فيما بعد. وأضاف أن هناك تقارير غير مؤكدة عن تهريب ٢٠ طفلا آخرين إلى ماليزيا، وتهريب مئات الأطفال إلى جاكرتا. وقال إنه في الوقت الذي يمكن أن يذهب بعض الأطفال لإناس خيّرين، فإن المنظمة تشعر بالقلق من أن يتم خطف بعض الأطفال من جانب عصابات منظمة تتخفى في هيئة منظمات غير حكومية أو أصدقاء للعائلة. وقد انتشرت رسالة نصية على الهواتف المحمولة في أنحاء كبيرة من القارة الآسيوية تعرض ٣٠٠ طفل للبيع. وقال إن اليونيسيف ستقيم نظاما لتسجيل الأطفال الذين فقدوا ذويهم في إقليم آتشيه (شكل ٢٤).

ولم تقتصر حالات خطف الأطفال على إقليم آتشيه الإندونيسي، حيث قالت تقارير إن طفلا سويديا في الثانية عشرة من عمره خطف من مستشفى في تايلاند، وقد وصل والد الطفل إلى تايلاند للبحث عنه. وقالت اليونيسيف إنه تبين كذب شخص ادّعى إنه قريب لأحد الأطفال في الهند. وفي سريلانكا حققت السلطات المختصة بحماية الأطفال هناك في تقارير بشأن الاعتداء على فتاتين في أحد معسكرات الإيواء. وتقرير آخر بشأن تعرض إحدى السيدات لاغتصاب جماعي. وقالت الشرطة في البلاد إنها لم تتلق أي شكوى من حدوث اغتصاب، لكن جماعة تدافع عن حقوق المرأة قالت إنها تلقت تقارير عن حوادث اغتصاب فردية وجماعية وتحرش.

ولم تكن الجثث بمأمن من التعرض للاعتداءات، حيث ذكرت تقارير إن اللصوص نزعوا المجوهرات من على أجساد الضحايا ومن منازلهم ومن المتاجر. ولجأ اللصوص إلى حيلة أخرى لسرقة المنازل، حيث كانوا يطلقون تحذيرات كاذبة بشأن حدوث المزيد

من الكوارث العملاقة مما يدفع الناس للهروب من منازلهم ومتاجرهم وتركها خاوية أمام اللصوص.

ولم يقتصر الأمر على الدول التي تعرضت للزلزال، ولكن محاولات الإثراء وصلت إلى الدول التي لها قتلى في الحادث. فقد قُتل أكثر من ألفي سويدي في الكارثة، وقالت السلطات هناك إنها لن تنشر أسماء الضحايا حتى لا تتعرض ممتلكاتهم للسرقة. بل إن البعض قام بالاحتيال على الأشخاص الذين يرغبون في التبرع للضحايا. كما تمت سرقة صندوق تبرعات من كاتدرائية ساليسبوري في انجلترا. وقالت الشرطة إن البعض بعث برسالة بريد الكتروني تطلب من البعض التبرع في حساب مالي تبين أنه في أوروبا (موقع "بي بي سي" ٤ يناير).

.....

أطفال إندونيسيا من تسونامي إلى سوق النخاسة: أعربت منظمة الأمم المتحدة للطفولة اليونيسيف عن مخاوفها من وجود مخططات للمتاجرة بالأطفال في إقليم آتشيه بإندونيسيا الذي تعرض للمد البحري مؤخرا. وأكد الناطق باسم اليونيسيف بإندونيسيا أن مكتب المنظمة بماليزيا تلقى رسالة قصيرة عبر الهاتف تفيد عرض ٣٠٠ يتيم من إقليم آتشيه تتراوح أعمارهم بين ثلاث وعشر سنوات للبيع. ووصف الوضع بـ "المروع"، مشيرا إلى أن بحوزة العصابات أطفالا، أو على الأقل شبكة تستطيع الحصول على الأطفال بسهولة، كما أكد أنه تم نقل مئات الأطفال إلى جاكرتا بدون معرفة الأسباب وراء ذلك.

وقد أوضح الناطق باسم وزارة الشؤون الاجتماعية الإندونيسية أن الحكومة تكافح عمليات الاتجار بالأطفال عبر منعهم مغادرة الإقليم بدون والديهم. وتقدر الحكومة الإندونيسية عدد اليتامى والمشردين والنائهين في إقليم آتشيه بحوالي ٣٥ ألف طفل منذ وقوع الزلزال والأمواج العاتية، إضافة إلى تسببها في مقتل حوالي ٩٤ ألف إندونيسي معظمهم من الإقليم (موقع "الجزيرة" ٥ يناير).

.....

تجار الرقيق يستدرجون أطفال تسونامي: الأطفال الآسيويون كانوا أكثر المتضررين من زلزال آسيا، وما أعقبه من موجات المد البحري التسونامي، فقد لقي ٥٠ ألف طفل

مصرعهم، وفقد ٣٥ ألفا آخرون أحد أبويهم، أو الاثنين معا، في الوقت الذي حذر فيه صندوق الأمم المتحدة لرعاية الأمومة والطفولة "اليونيسيف" من أن الأطفال الذين نجوا من الزلزال يواجهون خطر السقوط فريسة للعصابات الاجرامية العازمة على بيعهم في سوق الرقيق (موقع "الأهرام: الصفحة الأولى" ٦ يناير).

ووسط إجراءات مشددة في الدول المتضررة للتصدي لظاهرة الاتجار في الأطفال اليتامي الذين شردوا بفعل الكارثة، تزايدت التحذيرات من مخاطر تشرد آلاف الأطفال بعد الكارثة، وماسيتبع ذلك من نشاط متنام لعصابات الاتجار بهؤلاء الأطفال، إذ تقدر المنظمات الدولية عدد الأطفال الذين تيتموا بعد تسونامي بنحو ١٣ ألف طفل. وقد بدأت إندونيسيا في منع أي شخص يقل عمره عن ١٦ سنة من مغادرة البلاد تجنبا لسقوط الأطفال في يد تجار الرقيق. وإزاء ذلك ذكرت مصادر إعلامية في سريلانكا أن حكومة كولومبو فرضت حظرا على تبني الأطفال اليتامى من جراء الكارثة (موقع "الأهرام: العالم" ٨ يناير).

.....

السجن لرجل بعث رسائل إليكترونية كاذبة بشأن تسونامي: قضت محكمة بسجن كريستوفر بيرسون، ٤٠ عاما، بتهمة إرسال ٣٥ رسالة إليكترونية لأشخاص تخبرهم بوفاة أقارب لهم كانوا يقضون عطلاتهم في المنطقة التي ضربها المد البحري عقب زلزال المحيط الهندي. وكان بيرسون قد أرسل هذه الرسائل بعد أن شاهد مناشدات الأهالي على الموقع الإليكتروني لشبكة سكاي نيوز على الإنترنت طلبا لمعلومات عن أقاربهم المفقودين. وقال محامي بيرسون إن التوتر والقلق الذي صاحب رعايته لولده المريض قد أدى إلى انهياره عصبيا. وقال أحد ضحايا هذه الرسائل الإليكترونية الكاذبة: "إن المعاناة التي تسببت فيها هذه الرسائل لا توصف".

وقد انهار بيرسون، الذي ألقي القبض عليه عشية رأس السنة الجديدة، وانخرط في البكاء فور سماعه لوصف المحكمة للطريقة التي أعد بها عنوان بريده الزائف والطريقة التي أرسل بها رسائله. وتبين أن بيرسون جمع معلومات تفصيلية عن الأقارب الباحثين عن ذويهم من الموقع الإليكتروني لشبكة سكاي نيوز الإخبارية، حيث وضع هؤلاء

الأقارب طلباتهم عن أي معلومات عن ذويهم المفقودين. وبدت الرسائل التي أرسلها بيرسون وكأنها مرسلة من وزارة الخارجية البريطانية.

وقد اعترف بيرسون بارتكابه مخالفات يعاقب عليها القانون، وادعى أنه ارتكب هذه المخالفات تحت وطأة ما أسماه "بحالة طارئة من الجنون"، وطالب بتخفيف الحكم عليه ليتمكن من رعاية أسرته. وقال دفاع بيرسون إنه عانى لثلاث عشرة سنة بعد أن ولد ابنه ميتا عام ١٩٩١، كما توفي عمه قبل أيام من الاحتفال بعيد الميلاد، كما مرض ابن ثان له مرضا شديدا. وقال الدفاع أيضا إن بيرسون كان بالإضافة إلى رعاية ولده المصاب بالسكري يرعى والدته التي تعاني من سرطان الثدي ووالده الذي أصيب بجلطة وعمته التي أصيبت بالزهايمر. وقال الدفاع: "لقد تخيل أنه بإرسال هذه الرسائل يشجع هؤلاء الناس الذين ربما فقدوا ذويهم بسبب كارثة تسونامي على نسيان آلامهم". لكن المحكمة قالت إن "الجحيم العاطفي" الذي تسبب فيه بيرسون لهؤلاء الناس كان حدثا غير عادي، وأن الأفعال التي ارتكبها تبدو متعمدة.

وقال أحد الضحايا في شهادته أمام المحكمة: "المعاناة التي سببتها لي هذه الرسالة لا توصف، فلم أكن أعرف أين الحقيقة، لقد كان ذلك تصرفا قاسيا، وآمل ألا يتعرض من أرسل هذه الرسائل لنفس القدر من الألم الذي سببه للآخرين". وبسبب هذه الرسائل، اضطرت الشرطة الإنجليزية إلى تشكيل غرفة للعمليات، وقضت عشرة أيام تحاول الاتصال بالعائلات والأصدقاء الذين وقعوا ضحايا لهذه الرسائل، وهو ما تكلف نحو عشرة آلاف جنيه استرليني (موقع "بي بي سي" ٢٤ يناير).

.....

أزمة القابلات: دقت جمعية قابلات إندونيسيا ناقوس الخطر، بالإشارة إلى التأثير السلبي لمصرع قرابة ٣٠% من عضواتها المسجلات في موجة تسونامي. بينما تعاني الناجيات من الكارثة تأثير الصدمة، مع عدم القدرة على مزاولة العمل، مما يعرض حياة الكثير من المواليد الجدد للخطر (موقع "الأهرام: الصفحة الأولى" ٢٤ يناير).

.....

القبض على زوجين حاولا انتزاع طفل "المعجزة": أُلقي القبض على زوجين من سريلانكا، زعما أنهما والدا "الطفل ٨١" الذي نجا بمعجزة من كارثة التسونامي، وذلك

بعد محاولتهما انتزاعه من المستشفى. وكانت محكمة في سريلانكا قد أمرت في وقت سابق بإجراء فحص للحمض النووي DNA. وكان موروجوبيلاي جاياراجا وزوجته جونيثا قد اقتحما المستشفى لانتزاع الطفل، غير أنه أطلق سراحهما في وقت لاحق بعد دفع كفالة. وكانت تسع أسر قد ادعت أن الطفل لها، ولكن الشرطة تقول إن أسرة جاياراجا هي الأسرة الوحيدة التي ادعت بشكل رسمي أن الطفل لها (شكل ٢٢).

وكان الزوجان قد احتُجزا لفترة قصيرة عقب محاولة الاختطاف. وقضت محكمة بمثولهما أمام القضاء في اليوم التالي. وقال قائد الشرطة "رئيس المستشفى وعدد قليل من الأعضاء تقدموا بشكوى من محاولة الزوجين انتزاع الطفل". "هذا غير مسموح حيث أمرت المحكمة ببقاء الطفل في المستشفى لحين إجراء فحص الحمض النووي". وكان الطفل، الذي يعد الحالة رقم ٨١ التي يتم إدخالها المستشفى يوم كارثة التسونامي، قد عثر عليه حيا تحت أكوام من الأنقاض. وعقب إصدار المحكمة قرارها انفجر الزوجان جاياراجا في البكاء. وقالت الزوجة "لا توجد حاجة لإجراء فحص الحمض النووي. هذا هو ابننا. هذا ليس عدلا". وتوجه الزوجان وحشد من أنصارهما إلى المستشفى المحلي حيث يوجد الطفل.

وكان الزوجان قد أعلنا في وقت سابق أنهما متأكدان من أن الطفل البالغ من العمر أربعة أشهر هو ابنهما. وكانت محكمة قد قضت بأن يعاد الطفل إلى ذويه بمجرد أن يسمح له الوضع الصحي بذلك. وتقول الأنباء إن الأبوين زارا معبدا هندوسيا قبل توجههما إلى المحكمة. وقالت الأم: "لم نتمكن من النوم طيلة الليل. كنا نتحدث عن طفلنا." وأضافت: "لقد طلبنا من ربنا أن يعيد إلينا الطفل".

ويعتقد الكثيرون أن اهتمام وسائل الإعلام بالطفل أثار اهتماما واسعا إلى درجة أن بعض الأسر قالت إن الطفل لها. ويرغب الكثيرون في إنهاء محنة الطفل. وقال مسؤول بالشرطة "هذا الطفل مر بصعوبات كثيرة. لقد آن له أن يعود إلى منزله". وقد قتل أكثر من ٣٠ ألف طفل في سريلانكا بسبب كارثة تسونامي. ويعتقد أن الأطفال يشكلون ٤٠ بالمائة ممن قتلوا في الكارثة. ووفقا لمنظمة اليونيسف فإن التسونامي خلف نحو ألف يتيم في البلاد (موقع "بي بي سي" ٢ فبراير).

.....

يروج المخدرات من أجل ضحايا تسونامى: ألقت الشرطة التايلاندية القبض على رجل يروج عقاقير الهلوسة، وقال إن ٣٠% من عوائده ستذهب إلى ضحايا كارثة تسونامي جنوب تايلاند. واعترف نوبورن للشرطة إنه هجر عمله اليومي خلال الشهر الماضي وكرس وقته لترويج عقاقير الهلوسة التي كان يبيعها مثل "الكعك الساخن" على حد وصفه، منذ أن بدأ يخبر عملاءه أن ٣٠% من أرباحه سيتبرع بها إلى ضحايا كارثة تسونامي. وعلى الرغممن عمله الخيري فإن الشرطة وجهت إلى نوبورن الاتهام بحيازة وبيع مخدرات وهو اتهام عقوبته الإعدام في تايلاند (موقع "الوطن" ٦ فبراير).

.....

فيروس جديد يستغل مأساة تسونامى: أطلقت شركة سوفوس بلندن، المتخصصة في أمن الكمبيوتر، تحذيرا من فتح أى رسائل بريد إلكتروني تحث على التبرع لضحايا كارثة تسونامى، مشيرة إلى أن تلك الرسائل لا تعدو أن تكون وسيلة لنشر فيروس جديد. وقد وردت معلومات مفادها أن الفيروس ينتمى إلى نوع الدودة، حيث يظهر على شكل رسالة تظهر تحت عنوان "تبرع لضحايا أمواج المد، نرجو المساعدة"، داعية متلقيها لفتح مرفق، يظهر على شكل ملف تنفيذي اسمه تسونامي، وعند فتحه ينتقل الفيروس لمستخدمين آخرين على الإنترنت. وعلق مسؤولون في الشركة بأن هذا التصرف يدل على أن قراصنة الكمبيوتر قد وصلوا لمستوى جديد من الابتزاز، مشيرين إلى رسائل البريد الإلكتروني التى استهدفت سرقة الأموال مستغلة الكارثة، حيث تطلب من المتلقين إرسال بياناتهم، مدعية أنها ستقوم بمساعدتهم على تحويل أموال، فى مقابل الحصول على نسبة منها (موقع "الموسوعة العربية للكمبيوتر والانترنت" ٢٠ فبراير).

التأثيرات السياسية

كانت هناك بالتأكيد العديد من الجوانب والتداعيات السياسية لأحداث تسونامي جنوب آسيا المدمر، سواء على المستوى المحلي، أو على المستوى الإقليمي للمنطقة أو في التشابكات والعلاقات وردود الفعل الدولية. ويستعرض فيما يلي تلك التأثيرات.

أمواج المد البحري تؤجل قمة جنوب آسيا: أعلن وكيل وزارة الخارجية البنغالي تأجيل القمة التي كانت من المقرر أن تعقدها سبع دول بجنوب آسيا في التاسع إلى الحادي عشر من شهر يناير. وأكد أن القمة أرجأت إلى أجل غير مسمى بسبب الخسائر الكبيرة في الأرواح والممتلكات التي لحقت بثلاث دول أعضاء في رابطة التعاون الإقليمي. في غضون ذلك طالب الرئيس الفرنسي الحكومة بدعم تأجيل تسديد الديون المترقبة على الدول المنكوبة بالزلزال الأخير الذي ضرب جنوب شرق آسيا. وقد أعلن متحدث باسم الاتحاد الأوروبي أن المفوضية الأوروبية تعمل على عقد مؤتمر دولي للمانحين على وجه السرعة لتنسيق المساعدات للدول المنكوبة بالزلزال الأخير (موقع "إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية: أخبار العالم" ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

التوتر بين الدول المانحة: ساد التوتر بين الدول المانحة وظهر التوتر بشكل علني وفاضح حين صرح الرئيس الأميركي أمس الأول أن الولايات المتحدة واستراليا واليابان والهند ستترأس ائتلافا لتنسيق عمليات الإغاثة وهو دور تضطلع به عادة الأمم المتحدة . وبعد قليل علقت فرنسا التي اتهمها مسؤول أميركي بأنها "تتباخل" في توفير المساعدة، أنه إلى جانب مثل هذا الائتلاف للعمل الإنساني، يتحتم تشكيل ائتلاف دولي آخر لمكافحة الفقر. وعادت صحيفة نيويورك تايمز أمس إلى مسألة "البخل" لكنها انتقدت هذه المرة الولايات المتحدة، مشددة على أن مبلغ الخمسة والثلاثين مليون دولار من المساعدات التي أعلنتها ليست سوى قطرة في محيط البؤس. وعلى خلفية هذه التجاذبات السياسية وفي حين تعدت حصيلة الضحايا ١٢٣ ألفا معظمهم قضوا في إندونيسيا (٧٩٩٠٠) وسريلانكا (حوالي ٢٥ ألفا) والهند (١١٣٣٠) وتايلاند (٢٤٠٠)، برزت مشكلة كبرى إذ تبين أن المساعدة تصل بصعوبة بالغة وبشكل ضئيل جدا إلى ملايين الأشخاص الذين شردتهم الكارثة والمعرضين للأمراض والمجاعة.

ومن المحتمل أن يتوفى العديد من هؤلاء المشردين نتيجة تأخر المساعدة والأغذية والأدوية. وتواجه عملية نقل المساعدات مصاعب من جراء الدمار وتلف البنى الأساسية من طرقات ومطارات ومستشفيات ونتيجة عوامل أخرى. وتعي الأسرة الدولية يوما بعد يوم حجم الكارثة، وباتت الأموال التي يتم رصدها أكبر بكثير من المبالغ التي

قدمتها الدول الثرية في بادئ الأمر، والتي لم تكن تتجاوز في غالب الأحيان بضع مئات أو آلاف الدولارات أو اليورو، تضاف إليها عشرات الطائرات التي تنقل فرق إغاثة ومواد مختلفة من أغذية وثياب وتجهيزات لتطهير المياه وأدوية، غير أن الأمم المتحدة توقعت منذ غداة وقوع الكارثة أن تصل كلفة الدمار في الدول المنكوبة إلى مليارات الدولارات (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر).

.....

زيارة الرئيس الإندونيسي وإحلال السلام بالبلاد: توجه الرئيس الإندونيسي لتفقد الأوضاع في مدينة ماليبو أقرب مدن الإقليم باندا آتشيه إلى مركز الزلزال الذي أودى بحياة نحو مائة ألف من سكان إندونيسيا حتى الآن. واقتصرت جولته على تفقد أوضاع المدينة من الجو، حيث لم تتمكن طائرته من الهبوط في المدينة التي مازالت معزولة عن باقي مدن الإقليم المنكوب. ووسط حالة التشاؤم التي سادت البلاد بسبب الزلزال، اعتبر أحد زعماء حركة متمردي آتشيه الزلزال بمثابة فرصة لإحلال السلام في الإقليم، وقال من منفاه في السويد أن الأحداث المأساوية الأخيرة لفتت الأنظار إلى أزمة الإقليم وقضاياه.

.....

الولايات المتحدة وجهود الإغاثة: نفى وزير الخارجية الأمريكية ما تردد بشأن محاولة واشنطن إبعاد الأمم المتحدة عن قيادة الجهود الدولية لإغاثة المنكوبين، كما نفى ما ثار بشأن أن الولايات المتحدة قد زادت مساعداتها للدول المتضررة من ٣٥ مليون دولار إلى ٣٥٠ مليون دولار بسبب انتقادات للدول الغنية ووصفها بأنها شحيحة (موقع "الأهرام: العالم" ٢ يناير).

.....

تنكيس العلم الأمريكي ورد الفعل الإنساني: في واشنطن أمر الرئيس الأمريكي بتنكيس العلم الأمريكي لمدة خمسة أيام حدادا على أرواح الضحايا. ومن المقرر أن يصل وزير الخارجية الأمريكي وحاكم ولاية فلوريدا إلى المنطقة خلال ساعات لتقييم الاحتياجات الإنسانية للمنكوبين وحجم الكارثة وتقديم تقرير للرئيس الأمريكي بذلك (موقع "الأهرام: العالم" ٣ يناير). وأكد وزير الخارجية الأمريكية أن مساهمة بلاده في

جهود الإغاثة تتجاوز الحدود الثقافية والدينية، وتظهر أن الولايات المتحدة تهتم بالكرامة وبحاجة كل إنسان مهما كانت عقيدته. كما أكد أنه سيقترح على أعضاء نادي باريس للدول الدائنة إعادة جدولة سداد ديون إندونيسيا للتخفيف من الأعباء الملقاة على عاتقها (موقع "الأهرام: العالم" ٦ يناير).

.....

التوتر في الأقطار المتأثرة وجهود الإغاثة. تهدد أجواء التوتر المتصاعد بين الحكومة والمتمردين في أكثر دولتين تضررتا من جراء كارثة تسونامي بتقويض جهود الإغاثة فيهما. ففي سيريلانكا حذر نمور التاميل من عواقب وخيمة إذا لم ينسحب جنود الحكومة من مخيمات الإغاثة. كما يواصلون الاحتجاج على أن المعونات التي أرسلت للمناطق التي يسيطرون عليها قليلة وهو الشيء الذي تنفيه الحكومة.

وقد صرح متحدث باسم المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة بأنه من الأفضل أن تُدار مخيمات المدنيين من قبل مدنيين. وأضاف منسق المفوضية بسيريلانكا: "الجيش أداة خاطئة لإدارة تلك المخيمات. فليس لدى الجيش أي مقدرة على التفريق بين استخدام البنادق في ظروف الحرب وبين التعامل مع مدنيين". وقد غمر تسونامي الأجزاء الجنوبية والشمالية من السواحل السيريلانكية.

أما في إندونيسيا فقد تبادلت الحكومة والمتمردون الاتهامات بشن هجمات على الطرف الآخر. وتقول السلطات إن المقاتلين الانفصاليين بمنطقة آتشيه يستغلون كارثة السونامي ويثيرون مناوشات مع الجنود الإندونيسيين. ومن جانبها وجهت حركة آتشيه الحرة اتهامات مماثلة لجنود الحكومة.

وقد تراجعت الآمال في إندونيسيا بأن تمهد الكارثة الطريق لإيجاد حل للنزاع الانفصالي طويل الأمد بإقليم آتشيه. وقد تم إقرار وقف لإطلاق النار في أعقاب الكارثة لكنه يبدو هشا مع تصاعد الاتهامات بالقيام بأعمال عنف التي يتبادلها الجانبان. ويقول الجنود الإندونيسيون إنهم يجدون صعوبة في القيام بأعمال الإغاثة بسبب الاشتباكات التي تقع مع الانفصاليين بآتشيه. واتهم المتمردون من ناحيتهم الجيش باستغلال الكارثة ذريعة لتجديد أعمال القمع ضدها وقامت بالإبلاغ عن وقوع عدد من الضحايا. غير أنه لم يتم التأكد من أي من الاتهامين. وقد حدت المخاوف من احتمال أن يؤدي التوتر إلى

تصاعد أعمال العنف، بتحذير إندونيسيا من أن المعدات العسكرية التي منحت لها للتعامل مع الكارثة لا ينبغي أن تحول للاستخدام في القتال ضد المتمردين. (موقع "بي بي سي" ٧ يناير).

.....

الخارجية الأمريكية والأمم المتحدة في قلب الأحداث. اطلع وزير الخارجية الأمريكي على المناطق المنكوبة بجنوب سيريلانكا من مروحية، وتوقف ببلدة جالي التي أصيبت بأضرار بليغة من جراء الزلزال، والتي من المتوقع أن يتمركز بها أفراد قوات المارينز الأمريكية لأغراض الإغاثة (شكل ٢٦). وقد أعرب الوزير أثناء زيارته لتلك البلدة أن روح التعاون التي أعقبت السونامي ستخلق فرصا جديدة لحل الصراع الطويل بين الحكومة ونمور التاميل. غير أن هناك قول بأن من شأن تداعيات الكارثة أن تفاقم الانقسام العرقي في سريلانكا بدلا من أن تؤدي إلى العكس. وقد حذر أحد مسؤولي التمرد من حدوث قلاقل إذا ما تم نشر الجيش بشكل دائم في مخيمات الإغاثة. وأبدى الوزير خلال تفقده المناطق المنكوبة استعداد الولايات المتحدة لتقديم مساعدات مادية إضافية على مبلغ الـ ٣٥٠ مليون دولار الذي تعهدت به.

وبعدها عقد الوزير في كولومبو مباحثات مع الرئيسة السريلانكية تشاندريكا كوماراتيونجا. وأكد قبل مغادرته سيريلانكا أن وجود القوات الأمريكية بجنوب البلاد من أجل أغراض إنسانية بحتة، وأن الصراع بين الحكومة والمتمردين أمر على الطرفين أن يحلاه معا. وقال قبيل مغادرته سريلانكا متوجها إلى كينيا المحطة الأخيرة في جولته التي شملت أيضا إندونيسيا وتايلاند، إنه إذا لم يكن هذا المبلغ كافيا، فإنه واثق تماما من أن الرئيس الأمريكي سينظر في هذه المسالة لبحث مايجب أن تقدمه الولايات المتحدة من مساعدات إضافية.

كما وصل إلى سريلانكا أيضا وللغرض نفسه كل من الأمين العام للأمم المتحدة (شكل ٢٧) ورئيس البنك الدولي، وكان رئيس الوزراء الكوري الجنوبي قد وصل إلى سريلانكا في وقت سابق. وتفقد بعدها منطقة "هامبانتونا" المتضررة. وقال الأمين العام بعد عودته من جولته التي قام بها للمناطق المنكوبة بإقليم آتشيه وبلدة ماليبو المدمرة: "لم أر في حياتي أسوأ من مثل هذا الدمار الذي يتضح ميلا بعد الآخر. إنك لا تستطيع

غير أن تفكر فيما حدث للناس، والإنسان يتسائل: أين ذهب الناس؟ (موقع "بي بي سي" ٧ يناير وموقع "الأهرام: العالم" ٨ يناير).

.....

نمور التاميل يحذرون من عواقب منع الأمين العام للأمم المتحدة من زيارة مناطقهم: حذر ثوار نمور التاميل الحكومة السريلانكية، من أن منعها أمين عام المنظمة الدولية من السفر إلى المناطق التي يسيطرون عليها والتي تعرضت لموجات التسونامي، قد تكون له عواقب على السلام بين الطرفين. وانتقد قائد الجناح السياسي للنمور، الحظر على سفر الأمين العام إلى المناطق المنكوبة من الجزيرة والخاضعة لسيطرة الثوار. وكان الأخير قد عبر عن أمله في زيارة مناطق النمور في الجزيرة "في يوم من الأيام". ويذكر أن ما يزيد عن ٣٠ ألف شخص لقوا حتفهم في الكارثة.

وقال الأمين العام الذي دامت زيارته للبلاد أقل من ٢٤ ساعة: "أنا آمل في العودة وزيارة كل مناطق البلاد، ليس للاحتفال بإعادة بناء المناطق المنكوبة فقط، بل أيضا للاحتفال بالسلام". "إنه موقف صعب لكني أظن أن البلاد إن تعاونت في عمليات الإغاثة وإعادة البناء، فسترسخ الثقة اللازمة للعمل من أجل السلام".

وقد راح ما يزيد عن ١٥٠ ألف شخص ضحية للتسونامي الذي ضرب شواطئ المحيط الهندي، كما كانت له عواقب على مليون شخص آخرين، لكن الأمم المتحدة عبرت عن تفاؤلها بشأن الوضع الغذائي قائلة إن "لا أحد سيموت جوعا بفضل عمليات المساعدة المكثفة". وأكد مدير برنامج الأمم المتحدة للغذاء أن المؤن وصلت إلى كل من أصابته الفاجعة تقريبا.

وقال نمور التاميل مؤخرا إن الأمين العام قَبِل دعوة لزيارة زعيمهم فيلوبيلاي براباكاران في إطار زيارته لسريلانكا، لكن الحكومة منعته رغم تطلعه للمجيء. وقال قائد الجناح السياسي للنمور "إنه من المفاجئ أن نسري رغبة الحكومة حتى ضد رغبة الأمين العام للأمم المتحدة"، مضيفا أن ذلك يذكره بأيام كانت الحكومة تمنع فيها الصحافيين والمسؤولين من الزيارة. "وهذا مؤشر واضح على التمييز الذي تتعامل به حكومة سريلانكا لما يتعلق الأمر بشعب التاميل الذي عانى أشياء مفجعة في تاريخه. لكن هذا من أكثر الأشياء إحباطا".

وقد أكد أحد زعماء الثوار أن ما خلفته أمواج التسونامي في البلاد أسوأ مما عرفته خلال ٢٠ سنة من الحرب الأهلية. وقال زعيم البحرية التاميلية إن على الحكومة وضع السياسة جانبا ومساعدة الضحايا، مضيفا أن ترحيل السكان من المناطق الساحلية مشكل كبير يتطلب تدخل جهات أجنبية. واشتكى الثوار من قلة المساعدات التي تصل إلى منطقتهم شمال شرق البلاد، الشيء الذي أنكرته الحكومة. كما حذروا من عواقب وخيمة إن لم تسحب الحكومة جنودها من المخيمات التي تأوي المدنيين التاميل (موقع "بي بي سي" ٩ يناير).

.....

ارتفاع شعبية الرئيس الأمريكي بسبب معالجته للكارثة: أظهر استطلاع للرأي بالتعاون مع مركز جالوب لاستطلاعات الرأي ارتفاع شعبية الرئيس الأمريكي بسبب أسلوب تعامله مع كارثة زلزال جنوب آسيا. وارتفعت شعبيته ٣ نقاط لتصل إلى ٥٢%، ورحب٧٥% بمعالجته لآثار الزلزال، وأكد معظم المشاركين بالاستطلاع أن الولايات المتحدة تشارك بكم عادل من المساعدات المادية لضحايا الزلزال (موقع "الأهرام: العالم" ١٢ يناير).

.....

موقف تجاه القوات الأجنبية والإغاثة والصحافة: حددت السلطات الإندونيسية فترة ثلاثة أشهر كحد أقصى لبقاء القوات الأجنبية المشاركة في عمليات إغاثة منكوبي كارثة المد الزلزالي في إقليم آتشيه، مؤكدة أنها لن تتردد في طرد عمال الإغاثة والصحفيين الذين لن يلتزموا بإخطارها بأي تحركات لهم خارج عاصمة الإقليم باندا آتشيه أو كبرى مدنه ميلابو. وأكد نائب رئيس إندونيسيا، أن ثلاثة أشهر تعد فترة كافية حتى تنهي القوات الاجنبية مهمتها في آتشيه ثم تسارع بمغادرة البلاد. وشدد على أن جاكرتا قادرة على تولي مسئولية أعمال الإغاثة وجهود إعادة الإعمار على المدى البعيد وبصفة منفردة.

وقد حذرت الحكومة الإندونيسية من أن أيا من الصحفيين الأجانب أو عمال الإغاثة الدوليين سوف يكونون عرضه للطرد الفوري من البلاد في حالة مغادرتهم مدينة ميولابو أو العاصمة باندا آتشيه إلى خارج مناطق آتشيه بدون إخطار الحكومة

بتحركاتهم أو أسبابها. وفي تفسيره لهذه التصريحات الحكومية، جدد رئيس عمليات الإغاثة في باندا آتشيه، الإشارة إلى تحذيرات جاكرتا السابقة حول عدم قدرتها على توفير الحماية اللازمة للأجانب خارج نطاق ميلابو او باندا آتشيه وأكدت انهم هدف سهل لتهديدات أمنية مختلفة، أهمها عناصر حركة آتشيه الانفصالية، ولكن تعد هذه هي المرة الأولى التي تهدد فيها سلطات جاكرتا بطرد الأجانب الذين ينتقلون إلى مناطق مختلفة من إقليم آتشيه.

وفي أول تعليق من جانبهم، أكد المتحدثون باسم بعض فرق الإغاثة الدولية أنهم كانوا يتوقعون فرض مثل هذه القيود، ولكنهم أعربوا عن مخاوفهم من أن تضيف هذه الاجراءات الجديدة إلى حجم الصعوبات التي تواجه مهمة الوصول بالمساعدات لمئات الالاف من المنكوبين في إقليم آتشيه. وبرغم صدق مخاوف الحكومة الإندونيسية من تعرض القوات والفرق الأجنبية لمخاطر الاختطاف او القتل، فإن البعض فسر الاجراءات الأخيرة بأنها محاولة لاحتواء حالة التوجس التي تسيطر على سكان الإقليم إزاء هذا الوجود الأجنبي المكثف والمفاجئ، خاصة مع تزايد المد القومي داخل الإقليم الذي يشهد حركة انفصالية منذ سنوات، يذكر أن كارثة تسونامي التي وقعت، جاءت لترفع الحظر الذي فرضته الحكومة الإندونيسية لسنوات على دخول الصحفيين والأجانب إلى الإقليم.

وفي تصريحات منفصلة شكلت حلقة جديدة في مسلسل غياب الوفاق بين إندونيسيا ووكالات الإغاثة، أكد مسئولون إندونيسيون أن جاكرتا تدرس حاليا رفض بعض عروض المساعدات الأجنبية وشحنات مواد الاغاثة، خاصة أن قبولها سوف يكلف الحكومة نحو ٣٥٠ مليون دولار كمصاريف لنقل وتوزيع هذه المساعدات إلى المناطق المنكوبة، وأشار المسئولون إلى رغبة إندونيسية في الانفراد تدريجيا بعمليات الإغاثة. جاءت هذه التصريحات قبل ساعات قليلة من الزيارة التي قام بها وزير خارجية أسبانيا، إلى جاكرتا لاجراء محادثات مع الرئيس الإندونيسي بشأن المساعدات العسكرية التي من المفترض أن تقدمها أسبانيا إلى إندونيسيا (موقع "الأهرام: العالم" ١٣ يناير).

.....

متمردو آتشيه يعرضون مجددا وقف إطلاق النار: عرض المتمردون في إقليم آتشيه مجددا وقف إطلاق النار للمساعدة في جهود إعادة بناء المنطقة التي قتل فيها عشرات

الألوف بفعل موجات المد العاتية. وأعلن زعماء "حركة آتشيه الحرة الانفصالية" في العاصمة السويدية وقفا لإطلاق النار من طرف واحد مع قوات الحكومة الإندونيسية في أعقاب موجات المد الزلزالية المدمرة قبل أكثر من ثلاثة أسابيع. وكان أغلب من قتلوا في موجات المد في إندونيسيا الذين يزيد عددهم على مائة ألف، من أهالي إقليم آتشيه، حيث يخوض المتمردون قتالا ضاريا ضد الحكومة من أجل استقلال الإقليم الغربي الغني بالنفط والغاز. وقد شهد الصراع عمليات قتل متعمدة لغير المقاتلين وعمليات اختطاف وابتزاز وانتهاكات وحشية لحقوق الإنسان. وقام الجانبان بمبادرات تصالحية بعد موجات المد ولكنهما تبادلا الاتهام بعد ذلك بالمسؤولية عن وقوع عدة اشتباكات مما يهدد توزيع المعونات الإنسانية.

كما حذرت الحكومة الإندونيسية موظفي المعونة من تجاوز المدن الرئيسية في المنطقة خشية تعرضهم للهجوم، فيما نفى المتمردون أي نية لمهاجمة موظفي الإغاثة الإنسانية. وفي العاشر من يناير/كانون الثاني طلب الرئيس الإندونيسي من ست دول- من بينها الولايات المتحدة وبريطانيا- أن تقدم له المشورة بخصوص سبل وضع نهاية للقتال في آتشيه (موقع "الجزيرة" ١٣ يناير).

.....

مساعد وزير الدفاع الأمريكي في المنطقة: يقوم مساعد وزير الدفاع الأميركي بجولة آسيوية تقوده إلى المناطق التي تضررت من كارثة تسونامي. وقلل مساعد الوزير من أهمية دعوة إندونيسيا للجنود الأجانب الذين يوزعون المعونات في مناطق باندا آتشيه الكبرى وميلابوه للرحيل، وقال إن القوات الأميركية التي يقدر عددها هناك بنحو ١٥ ألف شخص قوبلت بترحيب كبير من قبل الإندونيسيين وإنها ستنهي مهامها الإنسانية قبل شهر مارس. وتأتي جولته للمنطقة في إطار تحرك الولايات المتحدة سياسيا، إذ يعتبر الرئيس الأمريكي أن المساعدات الأميركية لمنكوبي تسونامي تشكل نجاحا في العلاقات العامة من شأنه أن يقوض الجهات التي تحاول تشويه صورة أميركا (موقع "الجزيرة" ١٤ يناير).

.....

تحسين صورة أمريكا: أقر الرئيس الأمريكي بأن صورة الولايات المتحدة في العالم الاسلامي ليست جيدة، لكنه قال إن المساعدات التي تقدمها واشنطن حاليا لمنكوبي تسونامي في آسيا قد تسهم في تحسين تلك الصورة (موقع "الأهرام: العالم" ١٥ يناير).

.....

توقيت رحيل القوات الأجنبية: صرح وزير الدفاع الإندونيسي أمس بأن حكومته لم تحدد موعدا نهائيا لانسحاب القوات الأجنبية من المناطق المنكوبة، وأوضح أن جاكرتا تتطلع إلى إمكانية اضطلاعها بالعبء الأكبر من جهود الإغاثة بحلول نهاية مارس المقبل، ولم تضع إطارا زمنيا نهائيا لرحيل القوات الأجنبية، وأكد إمكانية بقائها بعد هذا التاريخ. وصدر هذا التصريح بعد استقبال الوزير لنائب وزير الدفاع الأمريكي. وكان الأخير قد تعهد في بانكوك منذ يومين بالعمل على إنهاء المهام الإنسانية لوحدات مشاة البحرية "مارينز" في إقليم آتشيه قبل نهاية مارس المقبل احتراما لمطالب الحكومة الإندونيسية في هذا الصدد (موقع "الأهرام: العالم" ١٧ يناير).

.....

الاستفادة من درس تسونامي: في افتتاح مؤتمر كوبي حول كارثة تسونامي، حث الأمين العام للأمم المتحدة دول العالم على الاستفادة من درس تسونامي الذي قتل أكثر من ١٧٥ ألف شخص في جنوب آسيا وشرد ملايين آخرين. واوضح الأمين العام أن قليلا من الاستثمارات لمصلحة احتواء الآثار الناجمة عن الكوارث الطبيعية يمكنه إنقاذ حياة الكثيرين وتلافي حدوث خسائر مادية فادحة (موقع "الأهرام: العالم" ١٩ يناير).

.....

سقوط الحظر على دخول الأجانب: سبق ولأن فرضت السلطات الإندونيسية حظرا شاملا على دخول الأجانب إلى أراضي إقليم آتشيه منذ فترة طويلة، بسبب نشاط المسلمين الانفصاليين التابعين لحركة آتشيه الحرة. وبعد كارثة تسونامي، يستقبل الإقليم آلاف الأجانب من كل جنسية، ويمثل ذلك مصدر حساسية سياسية نسبية للحكومة منذ ٢٦ ديسمبر الماضي (موقع "الأهرام: الصفحة الأولى" ٢٠ يناير).

.....

الجيش الإندونيسي يقتل ١٢٠ انفصاليا بإقليم آتشيه: قال مصدر عسكري إندونيسي إن ١٢٠ انفصاليا على الأقل قتلوا بإقليم آتشيه خلال الأسبوعين الماضيين بالرغم من وقف إطلاق النار غير الرسمي بينهما منذ وقوع كارثة تسونامي. وقال رئيس هيئة أركان الجيش رياميزارد رياكودو -المعروف عنه مواقفه المتصلبة والمعارضة لإجراء أي تحرك باتجاه السلام مع الانفصاليين- إن الانفصاليين قاموا بسرقة ونهب المساعدات الإنسانية بالإقليم. وتابع رياكودو "أجبرنا على قتل ١٢٠ منهم والاستيلاء على أسلحتهم" مهددا إياهم قائلا "إذا كانوا لا يريدون مصالحة، فسنشن حربا عليهم".

وكانت مجموعات حقوق الإنسان اتهمت الجيش الإندونيسي بمسؤوليته عن عمليات الإعدام والخطف والتعذيب والعقاب الجماعي أثناء قيامه بنزع سلاح القرويين. يذكر أن انفصاليي آتشيه يناضلون منذ ثلاثة عقود لنيل استقلالهم عن الحكومة المركزية، ويقول الجيش إنه قتل حوالي ٢٥٠٠ منهم منذ انسحابهم من محادثات السلام في مايو/أيار ٢٠٠٣ (موقع "الجزيرة" ٢٠ يناير).

.....

قلق من خطر تسييس المساعدات: أعربت وزيرة التنمية الدولية النرويجية خلال زيارة لسريلانكا عن قلقها من خطر تسييس المساعدات التي تقدم لمنكوبي تسونامي في الجزيرة. ويتهم متمردو نمور التاميل في سريلانكا الحكومة بالحيلولة دون وصول المساعدات إلى المناطق التي يسيطر عليها المتمردون، وهو ما تنفيه الحكومة. يذكر أن النرويج تلعب دور الوسيط بين طرفي النزاع بين الحكومة السريلانكية ومتمردي نمور التاميل (موقع "الأهرام: العالم" ٢٤ يناير).

.....

المحادثات حول آتشيه: علي صعيد محادثات السلام التي تجري حاليا بين الحكومة الإندونيسية ومتمردي إقليم باندا آتشيه الانفصالي، توجه وفد إندونيسي رفيع المستوى إلى فنلندا للاجتماع مع قادة المتمردين في مباحثات تستضيفها فنلندا، وتعد الأولى بين الطرفين منذ ٢٠ شهرا. وذكر مسئولون إندونيسيون أن وزير الخارجية الإندونيسية تخلف عن المحادثات بعد أن كان من المقرر أن يحضرها (موقع "الأهرام: العالم" ٢٧ يناير).

ثم اختتم وفدا الحكومة الإندونيسية ومتمردي آتشيه مباحثاتهما بالعاصمة الفنلندية قبل يوم من الموعد المقرر لها، بوعد على مواصلتها مستقبلا. وقال الرئيس الفنلندي السابق مارتي أهتيساري الذي يتوسط في المفاوضات، إن الجولة القادمة ستعقد في وقت قريب لا يتجاوز أشهرا. وأوضح رئيس وزراء حركة آتشيه الحرة أن الجانبين ركزا على القضايا الإنسانية ووقف إطلاق النار للسماح بانسياب المساعدات الإنسانية في إقليم آتشيه المدمرة الشهر الماضي.

وأكد مصدر آخر من الحركة أن المحادثات التي بدأت اقتصرت على تنسيق المساعدات، ولم تشمل قضايا سياسية معقدة. وكان وسطاء من مبادرة إدارة الأزمات التي يقودها الوسيط أهتيساري، ذكروا في وقت سابق أن المحادثات ستتواصل بشأن القضايا الإنسانية قبل التطرق إلى قضايا أخرى. وذكر نائب الرئيس الإندونيسي أن المناقشات شهدت بداية صعبة، لكنه شدد على أن الطرفين لا يزالان مستعدين لمواصلة المشاورات.

وقد أحيطت المفاوضات بتكتم كبير، وهي الأولى منذ ٢٠ شهرا بين جاكرتا وحركة آتشيه الحرة. ورفض الوفدان التعليق عليها مشيرين إلى أن الإعلان عن ذلك سيكون في ختام المباحثات. وهدفت هذه المحادثات أولا إلى إضفاء طابع رسمي على وقف إطلاق النار أعلنه الجيش وحركة آتشيه كل على حدة قبل شهر غداة أمواج المد البحري التي أدت إلى مقتل أو فقدان نحو ٢٣٠ ألف شخص في إندونيسيا غالبيتهم في منطقة آتشيه. وأسفر النزاع في آتشيه إلى سقوط أكثر من ١٢ ألف قتيل منذ عام ١٩٧٦ (موقع "الجزيرة" ٣٠ يناير).

.....

تأكيد على تحسين صورة أمريكا: خلال مؤتمر نظمته مؤسسة أمريكا الجديدة، إحدى المنظمات غير الحكومية الأمريكية، أكد على أن ملايين الدولارات التي أنفقتها الإدارة الأمريكية لمساعدة الدول الآسيوية المنكوبة بموجات المد البحري تسونامي بالإضافة إلى التقدم الذي ساعدت الإدارة الأمريكية في إحرازه على صعيد النزاع العربي الاسرائيلي ساعدا في تحسين صورة أمريكا لدى بعض المسلمين (موقع "الأهرام: العالم" ١٢ فبراير).

.....

رئيس وزراء تايلاند.. انتصار ساحق ولكن!: تولى تاكسين شينواترا منصبه كرئيس لوزراء تايلاند منذ أربع سنوات تقريبا، وقد أبدى العديد من المراقبين مخاوفهم من فرص النجاح المتاحة له لأسباب عديدة. ولكن النجاح الساحق الذي استطاع أن يحققه للمرة الثانية، في سابقة لم تحدث من قبل في الحياة السياسية في تايلاند، أثبتت أن هذه الشكوك والمخاوف لم تكن في محلها، فوصل معدل النمو الاقتصادي إلى ٦% سنويا، في الوقت الذي لم يتخل فيه عن الفقراء. فالتزم بخطته الثلاثية التي تقوم على توفير الرعاية الصحية الزهيدة، وإسقاط جزء من ديون الفلاحين الفقراء لدى الحكومة، فضلا عن تقديم القروض الصغيرة بشروط ميسرة لصغار المستثمرين والمزارعين. وربما كان نجاحه في إدارة الأزمة الحادة التي واجهت بلاده بعد كارثة تسونامي سببا آخر في تدعيم صورته، الأمر الذي أكسبه شعبية اسطورية انعكست في نجاح حزبه في الحصول على نسبة كبيرة من مقاعد البرلمان ربما تصل إلى ٣٧٥ مقعدا من مجموع المقاعد التي يصل عددها إلى ٥٠٠ مقعد في الانتخابات التي جرت مؤخرا. وهو الوضع الذي سيمكنه من تشكيل حكومته الجديدة دون الحاجة للدخول في ائتلافات مع أحزاب أخرى (موقع "الأهرام: تقارير المراسلين" ١٣ فبراير).

.....

شخصيات رئاسية في جولة آسيوية: زار ملك السويد كارل وزوجته الملكة سيلفيا المناطق المتضررة من تسونامي في تايلاند الأيام الماضية. وقد وجه الملك وقرينته الشكر للسكان لمساعدتهم الاسكندنافيين الناجين من الكارثة، وعرضا تقديم المساعدة. وكانت كارثة تسونامي قد أسفرت عن مقتل ٥٣٠٠ شخص في تايلاند من بينهم ١٧٠٠ أجنبي من ٣٦ دولة.

وقد وصل جورج بوش الأب وبيل كلينتون الرئيسان السابقان للولايات المتحدة إلى تايلاند، في مستهل جولة يقومان بها في المناطق التي تضررت بالتسونامي. فقد طلب البيت الأبيض من كل من الرئيسين السابقين أن يقوما بحملة لجمع التبرعات من أجل الضحايا. وبدأ الرئيسان السابقان جولتهما بزيارة لقرية صغيرة تدعى بان نام كين

شمالي بوكيت (شكل ٢٨). ومن المعتزم مواصلة رحلتهما بعد ذلك إلى المناطق المتضررة في إندونيسيا وسريلانكا والماليف.

وقال كلينتون في بداية الجولة إنه يتطلع إلى رؤية ما يتم على الأرض وتقديم الشكر للعاملين في نشاطات الإغاثة. وتعتبر هذه فرصة لكي يطّلع كلا الزعيمين بشكل مباشر على حجم الدمار الذي أصاب تلك المجتمعات ومتابعة عودة الحياة فيها إلى طبيعتها. وفي تايلاند يشاهدا أعمال إعادة البناء والإعمار في تجمعات محلية صغيرة من بينها كيفية إعادة بناء أساطيل زوارق الصيد وكسب المواطنين لقوت يومهم تحت تلك الظروف. ومن المتوقع أن يقدم كلينتون وبوش التعازي لأسر من فقدوا أرواحهم وأن يشاهدا على الطبيعة الجهود المبذولة للتعرف على هويات القتلى خلال الفترة التي أعقبت التسونامي.

ويقوم الرئيسان السابقان بزيارة أكثر الأماكن تضررا وهو إقليم آتشيه شرقي إندونيسيا. وينظر لهذه الجولة على أنها محاولة للتعرف على حجم الأضرار التي أصابت دول المنطقة وتقييم إمكانية المساعدة التي يمكن للولايات المتحدة أن تقدمها. يذكر أن الشعب الأمريكي قدم مئات الملايين من الدولارات كمساعدات لمتضرري التسونامي. وسيرَى الزعيمان إذا ما كانت هناك مهام جديدة يمكن القيام بها وسيقدمان توصياتهما إلى الإدارة الأمريكية حول كيفية إنفاق أموال المساعدات (موقع "بي بي سي" ١٩ فبراير).

وقد تفقد الرئيسان الأمريكيان السابقان أجزاء من مناطق جنوب سريلانكا التي دمرتها موجات المد العاتية. وزارا عمليات مراكز تنقية المياه والاستشارات النفسية في مدينة ماتارا. واجتمع الاثنان في وقت سابق في العاصمة كولومبو مع الرئيسة السريلانكية. وتعد سريلانكا آخر محطة من جولة لتقصي الحقائق في الدول المتضررة من تسونامي. وعند وصول الرئيسين إلى كولومبو، أعادت سريلانكا افتتاح خط حديدي بالجنوب، حيث دمر التسونامي المنطقة وأودى بحياة ٣٠ ألف شخص في سريلانكا.

وقال الرئيس الأسبق بوش الأب خلال زيارة لقرية أوْدَى تسونامي بنصف سكانها، أثناء تقديم طفلة لصورة لقرية خلال ضرب موجة المد البحري لها، كهدية له، إنه شديد التأثر. وقال كلينتون إن العالم يجب ألا ينسى الضحايا بعد هذه الضجة الإعلامية. وأكد

الرئيسان السابقان الحاجة الماسة لمساعدات قيمتها أربعة مليارات دولار، بالإضافة إلى سبعة مليار دولار تم جمعها فعلا من الحكومات والهيئات والأشخاص في شتى أنحاء العالم، وحثّا العالم على التبرع لمواجهة تبعات الكارثة، كما أكدا على أهمية التأكد من إنفاق الأموال في موضعها (موقع "بي بي سي" ٢١ فبراير).

الفصل الرابع: تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ والتجاوب العالمي

. الأمم المتحدة

. الإنقاذ والإغاثة

. المساعدات

. البنك الدولي

. الديون الخارجية

. التبرعات

. التعاطف الإنساني

. إعادة الإعمار

. بداية تجاوز الأزمة

الفصل الرابع

تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ والتجاوب العالمي

تجاوب العالم بطريقة غير مسبوقة مع أحداث كارثة جنوب آسيا الأخيرة بمختلف الصور والأشكال. وباتت الحواجز السياسية والجغرافية باهتة أمام تدفق مواد الغوث وأطقم الإنقاذ والرعاية الطبية، بجانب تقديم الإعانات والمساعدات والتعاطف مع الدول المتضررة إزاء ديونها الخارجية. ونستعرض في هذا الفصل دور الأمم المتحدة التاريخي في الأحداث، وجهود الإغاثة والمساعدات والتبرعات، وصورا من التعاطف الإنساني، وكذلك بداية جهود إعادة الإعمار، وآخر الأحداث التي تبعث الأمل في نفوس الناجين من بعد ألم وحزن ومعاناة.

الأمم المتحدة

بعد بضعة أيام من الكارثة، طلبت الأمم المتحدة من الدول المانحة مساعدات عاجلة تقدر بـ ١٣٠ مليون دولار. وقد وجّهت الامم المتحدة نداء إلى الدول المانحة لجمع ذلك المبلغ لاغاثة المنكوبين في سريلانكا واندونيسيا وجزر المالديف جراء المد البحري الهائل. ورحّب مساعد الأمين العام للامم المتحدة للشؤون الانسانية بالتزام بلدان العالم حتى الآن بتقديم ٢٢٠ مليون دولار لمساعدة البلدان المنكوبة وإن كانت لا تلبي الحاجات الكبيرة التي تنتظرها المناطق التي ضربها المد البحري (موقع "أخبار العالم: إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية" ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

وأعلنت الأمم المتحدة أيضا، أن ما يتراوح بين ٣٠ و٥٠ ألف صومالي في البلدان الساحلية التي ضربتها الأمواج الناجمة عن زلزال آسيا، في حاجة إلى معونات إغاثة عاجلة. وأضاف برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة في بيان، أن جهود توصيل إمدادات غذائية إلى "هافون"، وهي إحدى أكثر البلدات الساحلية تضررا من الموجات، قد

تعطلت، لأن الأمواج اكتسحت الطريق المؤدي إلى البلدة، وأن الأمراض بدأت تتفشى. وتابع البيان: "تشير تقديرات أولية إلى أن ما يتراوح بين ٣٠ و٥٠ ألف شخص تضرروا في حاجة لمساعدات إغاثة فورية"، مشيرا إلى منطقة أرض الصومال الساحلية شمال شرق الصومال (موقع "ArabYnet" ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

وبعد أسبوع من الكارثة: نقلت قوة متعددة الجنسيات، من موظفي الإغاثة والطائرات والسفن العسكرية، المساعدات للمناطق المنكوبة بجنوب آسيا، ولكن الامدادات المطلوبة بشدة تكدست في المطارات والمخازن، بعد أن حال دمار الطرق والشاحنات وخطوط الهاتف دون توصيلها. ذلك في الوقت الذي أكدت فيه الأمم المتحدة أن أكثر من مليون شخص في اندونيسيا و٧٠٠ الف في سريلانكا يحتاجون إلى مساعدات دولية لعدة أشهر، وأن عملية إعادة الاعمار في المناطق المنكوبة قد تستغرق مابين ٥ و١٠ أعوام.

وذكرت المنظمة الدولية في أحدث تقرير لها عن عمليات الإغاثة أن الفيضانات الجديدة الناجمة عن الأمطار الغزيرة في بعض المناطق تعرقل جهود الإغاثة وتفاقم الأوضاع الصحية السيئه للمشردين، وسط تحذيرات من تفشي أوبئة مثل الكوليرا بسبب نقص مياه الشرب النظيفة وانتشار الجثث المتحللة ("الأهرام: العالم" ٣ يناير ٢٠٠٥).

.....

بضعة أيام أخرى، وأفادت الأمم المتحدة بأنها متفائلة من أن الناجين من كارثة تسونامي لن يموتوا بسبب المجاعة التي قد تتهددهم. وقال رئيس برنامج الغذاء العالمي التابع للمنظمة الدولية إنه يتوقع وصول المساعدات الغذائية إلى معظم الناجين من الكارثة في غضون سبعة أيام. وقد تسببت الكارثة في مقتل أكثر من ١٥٠ ألف شخص في مختلف أنحاء آسيا. وحذرت الأمم المتحدة من احتمال ارتفاع حصيلة القتلى نتيجة الجوع والمرض. لكن لم يتم الإعلان بعد عن حالات تفشى رئيسية للمرض حتى الآن. وهناك معلومات بأنه تم احتواء المرض وأن الناس يتعافون في عدد من معسكرات اللاجئين في سريلانكا.

وقال رئيس برنامج الغذاء العالمي أن المساعدات وصلت إلى "كل شخص تقريبا تضرر من الكارثة". وأضاف "من خلال شركائنا والعديد من المنظمات الخيرية غير الحكومية وجدنا طرقا للحصول على الطعام لكل شخص بحاجة إليه". وأشار إلى أن المنظمة قدمت الطعام إلى نحو ٧٥٠ ألف شخص في سريلانكا ونحو ١٥٠ آخرين في اندونيسيا، وفي إقليم آتشيه قبل كل شئ الذي يعد أكثر منطقة تضررت من الزلزال وظاهرة المد البحري.

وقال رئيس برنامج الغذاء أيضا: "سيزيد هذا العدد ليتعدى ٣٠٠ ألف شخص خلال الأيام القليلة المقبلة وربما إلى ٤٠٠ ألف خلال الأيام الخمسة أو الستة القادمة". وأضاف: "وظيفتنا تتمثل في توصيل الطعام للناس لإنقاذ حياتهم ولمواجهة قضايا التغذية الخاصة التي تتعلق بالنساء الحوامل وحاضنات الأطفال وبالنسبة للأطفال أيضا". وأوضح أنه "شعر بالتفاؤل من أن المنظمة ستجد ما تريده بما يقدر بـــ ٢٨٠ مليون دولار تمويلا للطعام خلال الأشهر الستة المقبلة لإطعام مليوني شخص".

ومن المتوقع أن يتضاعف توزيع الطعام في إندونيسيا التي تعد أكثر الدول تأثرا بالزلزال بعد افتتاح المطار الإنساني الذي يعد محورا لحركة الطائرات في سوبانج بالقرب من العاصمة الماليزية بعد بضعة أيام. وتستغرق الرحلة للوصول إلى إقليم آتشيه الأكثر تضررا من العاصمة الإندونيسية ضعف المسافة التي تستغرقها الرحلة من سوبانج (موقع "بي بي سي" ٨ يناير).

.....

وأمام هول كارثة تسونامي وحجم الخسائر التي خلفتها، والذي بدأ يظهر مع الوقت، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة أن المنظمة الدولية ستعين مبعوثا خاصا يقود جهود الإغاثة والإعمار في الدول المطلة على المحيط الهندي التي ضربها المد الزلزالي. وقال إن الجهات الدولية المانحة طلبت من المنظمة تعيين منسق للمساعدات المقدمة لضحايا تسونامي خلال اجتماع عقد في العاصمة الإندونيسية الأسبوع الماضي. وعبّر عن أمله في إعلان المبعوث الأممي بحلول نهاية الأسبوع القادم دون أن يكشف عن المرشّح لهذا المنصب (موقع "الجزيرة" ١٤ يناير).

.....

وفي أواخر يناير، وخلال دفن إندونيسيا لما يزيد عن مائة ألف من ضحايا كارثة المد البحري، قال منسق مساعدات الطوارئ التابع للأمم المتحدة إن الاستجابة السريعة للتصدي لآثار هذه الكارثة غير المسبوقة منعت حدوث موجة ثانية من الوفيات نتيجة الأمراض وسوء التغذية. وأضاف "نحن نعتقد أننا نجحنا في تجنب هذه الموجة الثانية من الموت رغم عدم وجود طرق وفي ظل وجود عدد قليل من المطارات ورداءة الطقس". ولكن المسؤول الأممي أكد أيضا أن "كثيرين مازالوا يعيشون في مخيمات وأن الخدمات الصحية والرعاية الطبية مازالت غير مستقرة وإن لم تظهر بعد أي أوبئة" (موقع "الجزيرة" ٢٧ يناير).

الإغاثة والإنقاذ

بعد بضعة أيام من الكارثة، أعلن أن البنية التحتية المهدمة تعوق جهود إغاثة منكوبي زلزال آسيا بإقليم آتشيه الإندونيسي. وصرح متحدث باسم حكومة إندونيسيا بأن نحو ٥٠٠ ألف شخص مشردون في الإقليم ويحتاجون إلى مساعدات عاجلة. وقد بلغ العدد الرسمي لضحايا زلزال آسيا في إندونيسيا نحو ثمانين ألف قتيل، إلا أن وزارة الصحة الإندونيسية رجحت أن يكون عدد الضحايا أكثر من مائة ألف قتيل. وأعلنت الحكومة الإندونيسية أنها ستستضيف مؤتمرا دوليا لبحث سبل مواجهة الكارثة.

وأفادت معلومات من العاصمة الإقليمية لإقليم باندا آتشيه، أن كابوسا لوجستيا ينتظر عملية الإغاثة التي بدأت تتبلور، وأن الأطباء الأجانب وصلوا إلى المستشفى الرئيسي بالمدينة، إلا أن هناك نقصا حادا في المعدات والمواد الطبية الأساسية، وقد تفشت الأوبئة بين الجرحى، كما أن المواد الغذائية والوقود ومياه الشرب النظيفة غير كافية، علاوة على تدمير جميع العيادات والمكاتب الحكومية والقواعد العسكرية ومقتل أغلب من يعملون بتلك الجهات الحكومية.

وقد أعربت الأمم المتحدة عن قلقها إزاء الأوضاع في إقليم آتشيه الذي يقع بالقرب من مركز الزلزال المدمر. وأكد مسؤول من منظمة الصحة العالمية أن المواد الإغاثية متوافرة لكن المشكلة في توزيعها على الأماكن الأكثر حاجة لها. وذكرت منسقة الإغاثة بالأمم المتحدة، أن منظمات الإغاثة تقيم مكاتب متنقلة بالمناطق المنكوبة ليتمكن عمال

الإغاثة التابعون لكل مكتب من العمل بشكل مستقل. وأوضحت الأمم المتحدة أنها ستقيم قاعدة لموظفي الإغاثة على الفور (موقع "بي بي سي" ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

وحول مشكلات الإغاثة أيضا، أكد مسئولين إندونيسيين أن الوصول إلى ماليبو براً سيبقى مستحيلا لمدة ثلاثة اسابيع على الأقل، خاصة مع تحطم الجسور وتراكم تلال الرمال التي جرفتها موجات المد والجزر متسببة في إغلاق كل الطرق البرية المؤدية إلى المدينة، وواصلت الطائرات العسكرية الاندونيسية إسقاط المواد الغذائية والمعونات الطبية على المدينة التي وصلت حصيلة قتلاها إلى ١٠ آلاف ومائتي شخص.

وكانت وسائل الإعلام الهندية والعالمية قد نقلت انتقادات سكان الجزر المنكوبة لأسلوب معالجة الحكومة الهندية للأزمة، مؤكدة أن الحكومة تعاني من حالة بيروقراطية مزمنة حالت دون سرعة تحذير السكان وتوفير المساعدات اللازمة عقب وقوع الكارثة. كما أكد السكان المنكوبين أنهم قضوا أياما بدون طعام أو مياه شرب، وحتى بعد نقل الناجين إلى معسكرات إيواء، لم تتحسن الأحوال على حد وصفهم، حيث اتسمت المساعدات الطبية والغذائية بالضعف والتأخير. في الوقت نفسه، ضرب زلزال مفاجئ عشرة مخيمات على الأقل تضم آلاف الناجين والمشردين بعد موجات المد البحري في شرق سريلانكا، بعد أن هطلت أمطار غزيرة في هذه المناطق، الأمر الذي أدى إلى إعاقة عمليات الإغاثة وإجلاء أكثر من ألفي شخص ("الأهرام: العالم" ٢ يناير ٢٠٠٥).

.....

وقد تواصلت الجهود الدولية لتقديم المعونات الطارئة للمنكوبين في شتي مناطق جنوب آسيا، واقترب اجمالي المساعدات التي تعهدت دول العالم بتقديمها من ملياري دولار، بعد أن رفعت اليابان قيمة مساعداتها من ٣٠ مليون دولار إلى ٥٠٠ مليون، وزادت الولايات المتحدة إسهاماتها من ٣٥ مليون دولار إلى ٣٥٠ مليونا. جاء ذلك في الوقت الذي تصاعدت فيه تحذيرات للمسئولين الدوليين من عقبات عدة تعوق وصول المساعدات. وتواجه عمليات الإغاثة الطارئة- التي ربما تكون الأضخم في التاريخ- موانئ يسدها الحطام وإمدادات كهرباء متقطعة وطرقا جرفتها المياه ومدنا مهدمة.

وحذرت الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة من أن الإمدادات الطارئة قد تحتاج إلى أسبوعين حتى تصل إلى الناجين في إقليم آتشيه، وحذر المسئولون من أن الناجين في جزيرة سومطرة معرضون لخطر الموت خلال أيام ما لم يتم تقديم المياه النظيفة والطعام والأدوية إليهم على الفور. وبدأت طائرات هليكوبتر أمريكية في نقل إمدادات الإغاثة إلى المناطق المنكوبة في إندونيسيا. وذكر متحدث عسكري أمريكي أن الطائرات التابعة لمجموعة حاملة الطائرات الأمريكية إبراهام لينكولن بدأت مهامها في إقليم آتشيه حيث يواجه الناجون من الكارثة مخاطر الجوع والمرض. وأضاف أن عددا من الناجين الجائعين هاجموا إحدى طائرات المساعدات على الساحل الغربي للإقليم للاستيلاء على الطعام ("الأهرام: العالم" ٢ يناير).

.....

وفي الوقت الذي يسابق فيه عمال الإغاثة الزمن من أجل توصيل المساعدات وانتشال الجثث المتعفنة ودفنها خشيه تفشي الأمراض، عرقلت الأمطار الغزيرة والفيضانات الجديدة تسليم مساعدات الاغاثة إلى القرى الآسيوية المتضررة من أمواج المد البحري المدمرة. واستمر توافد القوافل الدولية التي تحمل أطنان المساعدات الإنسانية إلى أكثر المناطق تضررا في جنوب آسيا، بينما كثفت منظمات الإغاثة جهودها للتغلب على الصعوبات المرتبطة بالأمطار الغزيرة والفيضانات الجديدة. وقد أشاعت الأمطار التي هطلت على مدى أيام الارتياح في نفوس الناجين التواقين إلى المياه النظيفة لتجنب الإصابة بأمراض مثل الكوليرا.

وفي إندونيسيا، أعلن المسئولون أن جهود البحث عن ناجين من كارثة المد البحري الذي أعقب زلزال الأسبوع الماضي المدمر، سوف تتوقف قريبا في جزيرة سومطرة لتضاؤل الأمل في إمكانية بقاء أحياء تحت الانقاض بعد مرور هذه الفترة. ووصلت إلى سواحل قرية ميولابو أمس أربع فرقاطات تابعة للبحرية الإندونيسية تنقل إمدادات غذائية ودوائية إلى الناجين.

وفي مدينة باندا آتشيه عاصمة إقليم آتشيه، بدأت الأبعاد الكاملة للكارثة في الاتضاح بعد أن بدأت المياه في الانحسار تدريجيا. وكانت مياه البحر قد غمرت المدينة بالكامل تقريبا بعد أن أحدثت خرابا هائلا فيها. وتحركت فرق للنظافة والتطهير عبر طرقات

المدينة ترافقها أعداد من الجنود لتحديد المناطق التي يتعين البدء في إزالة الركام منها. واعترف أعضاء في هذه الفرق بصعوبه المهمة من جراء الخراب الشامل هناك.

وصرح وزير الشئون الاجتماعية الإندونيسي بأن بلدة كالانج الواقعة على بعد نحو ١٥٠ كيلومترا إلى الجنوب من باندا آتشيه لن تكون صالحة للسكنى من جراء الدمار الهائل الذي لحق بها، فضلا عن مقتل ٧٠% على الأقل من تعداد سكانها الأصلي وهو عشرة الآف نسمة. وقال أن الناجين من سكان البلدة سوف ينقلون إلى مخيمات إيواء في عاصمة الإقليم والمناطق المحيطة.

وقد استعانت تايلاند بالأفيال للمساعدة في رفع الأشياء الثقيلة، وبالسجناء للمشاركة في مهمة جمع الآف الجثث المتناثرة على شواطئها، وعرضت عليهم خصم يومين من أحكام السجن الصادرة عليهم مقابل كل يوم يعملونه. وقد ضربت سواحل جزر اندامان ونيكوبار هزات أرضيه تراوحت قوتها بين ٥ درجات و٥,٩ درجة على مقياس ريختر وذلك في الوقت الذي حاولت فيه المروحيات العسكرية الهندية إلقاء المساعدات ومواد الإغاثة للناجين في تلك الجزيرة.

وقال وزير الداخلية الهندي، إن الهند تقوم بأكبر عمليه إغاثة في تاريخها، وأضاف: إن القوات العاملة تحاول الوصول لكل القرى التي ضربتها الأمواج، مؤكدا أنه مازال لديه أمل في الوصول لعدد أكبر من الناجين، وأشارت وزارة الداخلية في نيودلهي إلى أنه تم نقل ٤٧ مليون طن من المواد الغذائية و٤١ مليون طن من مياه الشرب و٤٤ مليون طن من الأدوية. وأقامت الحكومة الهندية معسكرات إغاثة في بورت بلير حيث لجأ ما يقرب من ١٢ ألف شخص. وأكد الجيش الهندي أن طائرات الإغاثة تمكنت من إسقاط إمدادات من الطعام والمياه على جزر اندامان ونيكوبار (شكل ٣٠).

وفي باريس أعلنت وزيرة الدفاع الفرنسية أن فرنسا سترسل حاملة الطائرات جان دارك إلى المناطق المتضررة لتقديم المساعدات الطبية العاجلة. وذكرت مصادر حكومية يابانية أمس أن اليابان تعتزم إرسال فرق من القوات البحرية والجوية والبرية إلى تايلاند للمشاركة في جهود الإنقاذ مع القوات الأمريكية.

وفي لندن، برر رئيس الوزراء البريطاني مواصلته عطلته بعد الكارثة التي ضربت آسيا، موضحا أنه كان على اتصال كل ساعة تقريبا مع المسئولين الرئيسيين في

حكومته. ومن جانبها وجهت منظمة المؤتمر الإسلامي نداء عاجلا إلى جميع الدول الأعضاء والمنظمات الإنسانية على مستوى العالم الإسلامي والمؤسسات والاجهزة التابعة للمنظمة لإغاثة المتضررين والمحتاجين في جميع البلدان المنكوبة ("الأهرام: العالم" ٣ يناير).

.....

وقد أعربت الأمم المتحدة عن تفاؤلها بشأن جهود الإغاثة الضخمة برغم وجود صعوبات في توصيل المساعدات إلى بعض المناطق، خاصه إقليم آتشيه الإندونيسي. وأشارت إلى الحاجة إلى توفير مساعدات غذائية وطبية لنحو ١,٨ مليون شخص في البلاد المنكوبة. وأضافت أن المساعدات يمكن أن تصل خلال ٣ أيام إلى ٧٠٠ الف شخص في سريلانكا، بينما سيستغرق وصولها إلى مليون شخص في إندونيسيا وقتا أطول. وتواصل طائرات الهليكوبتر الأمريكية إلقاء صناديق الغذاء وزجاجات المياه حول مدينة باندا آتشيه المدمرة. وقد بدأت المفوضية العليا لشئون اللاجئين نقل٤٠٠ طن من الإمدادات العاجلة من الدنمارك ودبي إلى إقليم آتشيه ("الأهرام: العالم" ٤ يناير).

.....

واستمرت عمليات تدفق المساعدات على مئات الآلاف من الناجين في سريلانكا، ولكن المسئولين أكدوا أنه في بعض الحالات يتم توصيل مساعدات خاطئة، الأمر الذي يعكس غياب التنسيق والحاجة إلى تحسين عمليات التوزيع. كما أكدت منظمة "وورلد فيجن" الاسترالية للإغاثة أن المساعدات الدولية للدول المنكوبة غير كافية، مشيرة إلى أن المنطقة بحاجة إلى خطة أشبه بخطة مارشال، التي تم وضعها لإعادة إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. وقد وصف المدير التنفيذي للمنظمة الوضع في سريلانكا بأنه كارثة أشبه بالوضع في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ("الأهرام: العالم" ٤ يناير).

.....

وفي محاولة لتسريع عمليات إغاثة منكوبي زلزال جنوب آسيا والذي أسفر بجانب الأعداد الهائلة من القتلى عن إصابة نصف مليون شخص وتشريد الملايين، عقد رؤساء دول وحكومات ووزراء خارجية ٢٦ دولة علاوة على ممثلين لمنظمات الإغاثة الدولية

مؤتمرا دوليا في ٤ يناير بالعاصمة الإندونيسية لبحث سبل منع تكرار مثل هذه الكارثة، ومعالجة أثارها بأسرع مايمكن.

ويشارك في هذا المؤتمر الدولي الذي يجري بناء على مبادرة من الرئيس الإندونيسي، الأمين العام للأمم المتحدة، ووزير الخارجية الأمريكي، ورئيس الوزراء الاسترالي، ورئيس الوزراء الصيني، ورئيس الوزراء الياباني، ورؤساء الدول والحكومات في الدول المتضررة من الكارثة وفي مقدمتها إندونيسيا وسريلانكا وتايلاند والهند وجزر المالديف، علاوة على ممثلين للعديد من الدول الأوروبية والآسيوية الأخرى.

وصرح الرئيس الإندونيسي بأن المؤتمر لا ينعقد من أجل إندونيسيا فقط بل من أجل جميع الدول التي أضيرت من الزلزال، معربا عن أمله في أن يسفر عن نتائج ملموسة بشأن وضع آلية لمساعدة الدول المحتاجة. ومن جانبها أعلنت قيادة القوات الأمريكية في المحيط الهادئ أن الولايات المتحدة تعتزم مضاعفة عدد الطائرات المروحية المنتشرة في جنوب آسيا لنقل المساعدات للناجين إلى ٩٠ طائرة. كما أعلن مسئول أمريكي أن الولايات المتحدة تستعد لإرسال السفينة المستشفي "يو.إس.إن.إس.ميرسي" إلى المنطقة للمساعدة في الجهود الطبية ("الأهرام: العالم" ٤ يناير).

.....

وأفادت تقديرات برنامج الغذاء العالمي أن المساعدات الغذائية لم تصل سوى لربع الناجين من الكارثي، مشيرى إلى أن مليونا ونصف المليون شخص مازالوا بحاجة إلى الغذاء في المناطق المنكوبة. وقال مدير البرنامج التابع للأمم المتحدة في آسيا بأن هذه حالة طوارئ معقدة تتطلب استجابة لم يسبق لها مثيل. وأضاف أن العمليات الأولية لتوزيع المساعدات قد تستمر نحو ٦ اشهر وتتكلف نحو ٢٥٠ مليون دولار. وقد أرسل برنامج الغذاء العالمي مواد غذائية تشمل أنواعا من البسكويت الغني بالبروتين والأرز والبقول والأسماك المعلبة إلى نحو ٤٦٤ ألف شخص على ساحل المحيط الهندي ("الأهرام: العالم" ٦ يناير).

.....

وقد طالب قادة ٢٦ دولة وممثلو منظمات دولية في ختام المؤتمر الاستثنائي الذي عقد في جاكرتا لإغاثة ضحايا المد البحري العاتي، بتعيين ممثل خاص للأمين العام للأمم المتحدة لتنسيق جهود الإغاثة الدولية، في الوقت الذي أعلن فيه وزير الخارجية الأمريكية أمام المؤتمر أن جهود التحالف الرباعي بين الولايات المتحدة واليابان والهند واستراليا، سيتم إدماجها في عمليات إغاثة تقودها الأمم المتحدة ("الأهرام: الصفحة الأولى" ٧ يناير).

.....

وقد أصدر مدير عام وكالة الدفاع اليابانية أمرا بإرسال نحو ألف جندي من قوات الدفاع الذاتي اليابانية إلى الدول الآسيوية المتضررة للمساعدة في عمليات الإغاثة وإعادة الإعمار. وتعد هذه أكبر قوة ترسلها اليابان للمشاركة في جهود إغاثة في الخارج منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. وسوف تزود البعثة بمساعدات طبية لمنع انتشار الأوبئة، ومن المقرر أن يبدأ المسئول الياباني جوله فورية تشمل عده دول آسيوية من بينها إندونيسيا. وقد أقامت الحكومة الإندونيسية أربعة وعشرين معسكرا للإيواء لإغاثة أكثر من نصف مليون مشرد ممن يفتقدون بشدة مياه الشرب النقية ويواجهون خطر انتشار الأمراض والاوبئة ("الأهرام: العالم" ٨ يناير).

.....

وتواصلت جهود إغاثة الناجين في المناطق المنكوبة، وأكدت وكالات الإغاثة أن المساعدات الطارئة لم تصل إلى بعض المناطق رغم مرور أسبوعين على الكارثة. وأشارت إلى عدم وجود ضمانات لوصول المساعدات لجميع المناطق فضلا عن كفايتها، وأضافت أنها لاتزال غير قادرة على الوصول إلى بعض المناطق في إقليم آتشيه الإندونيسي على الأخص. وأوضحت مديرة عمليات الإغاثة بالمنظمة الدولية للهجرة أن المشكلة تكمن في أن لا أحد يعرف بالضبط عدد المشردين في هذه المناطق وما هو حجم احتياجاتهم.

وذكر بعض المسئولين في منظمات الإغاثة إن زيارات الشخصيات العالمية المهمة لإقليم آتشيه الأكثر تضررا في إندونيسيا تسبب مشكلات في حركة المرور داخل المطار الرئيسي بالإقليم وتعطل وصول المساعدات الطارئة للمحتاجين. وأوضح متحدث باسم

فريق الإغاثة الباكستاني أن زيارتي كل من الأمين العام للأمم المتحدة ووزير الخارجية الأمريكية على سبيل المثال تسببتا في إغلاق مطار باندا آتشيه الوحيد لفترة وجيزه لدواع أمنية مما عطل وصول طائرات المساعدات الدولية.

اما في سريلانكا فقد أعلنت الأمم المتحدة في وقت سابق أن مسئولي الإغاثة على وشك توصيل الطعام لكل الناجين خلال يومين. وأكد مسئول بارز في مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية أن كميات الطعام الكافية أصبحت في متناول المحتاجين في المالديف وكذلك الصومال وتايلاند والمناطق المتضررة بالهند ("الأهرام: العالم" ١٠ يناير).

.....

وبعد أسبوعين من الكارثة، عُثر على رجل سريلانكي مسن تحت الأنقاض وهو على قيد الحياة بعد تدمير طوفان تسونامي لبلدته في سريلانكا. وقالت الصنداي تايمز في كولومبو إنه عثر على المسن سيريسينا في اليوم السابق وهو في شبه غيبوبة تحت أنقاض متجر في بلدة جال الساحلية بسريلانكا. وأضافت أن الرجل كان يعاني من سوء التغذية والجفاف وبداية التهاب رئوي. وأشارت إلى أنه كان مذهولا جدا لدرجة أنه لم يتمكن من شرح كيفية بقائه حيا. وكان رجال الإنقاذ قد فقدوا الأمل في وجود أحياء بعد أن لم يعثروا خلال أيام إلا على جثث منتفخة ومتعفنة تحت جبال من الركام هي كل ما تبقى من بلدات ساحلية ومنتجعات سريلانكية (موقع "الجزيرة" ١١ يناير).

.....

وفي نفس الوقت أُعلن عن إرسال مأكولات إسلامية من الصين إلى متضررى الكارثة، حيث أرسلت الصين حوالى سبعة أطنان من المأكولات الإسلامية إلى المناطق المتضررة من تسونامي، ضمن مواد إغاثة أخرى، حسبما علم من شركة يو شنغ تشاى للمأكولات الإسلامية المحدودة. فنظرا لأن كثير من الضحايا من المسلمين في المناطق المتضررة، اهتمت الحكومة الصينية اهتماما خاصا بأن تقدم أطعمة إسلامية للمناطق المتضررة، وقد تم إرسال حوالى سبعة أطنان أو ٣١٢٠٠ كرتونة من الأطعمة الإسلامية إلى تلك المناطق. وقال أحد العمال بالشركة: "إننا نعمل ليلا ونهارا لإنتاج ما

يكفي من الطعام الإسلامي العالي الجودة لضحايا تسونامي في المناطق المتضررة. وهذا أبسط شيء يمكننا أن نقدمه إليهم" (موقع "شبكة الصين" ١١ يناير).

.....

وفي تطور لاحق، أمر الجيش الاندونيسي منتسبي فرق الإغاثة من الأجانب بوجوب الحصول على موافقته من أجل التنقل خارج مدينة باندا آتشيه عاصمة إقليم آتشيه ومدينة ميولابو. وقال أحد مساعدي الرئيسة السريلانكية إنها تنوي تبنّي أحد الأطفال اليتامى من طائفة التاميل كتعبير عن حسن النوايا تجاه هذه الطائفة. وقد افتتحت الشرطة الدولية "إنتربول" ما يعتقد أنه أكبر مركز للتعرف على هويات الضحايا في التاريخ، في منتجع فوكيت المنكوب في تايلاند (موقع "بي بي سي" ١٢ يناير).

.....

وأعلنت السلطات الإندونيسية اعتزامها تسيير دوريات عسكرية لمصاحبة الصحفيين وفرق الإغاثة الدولية في حاله توسيع نطاق عملها خارج حدود مدينتي باندا آتشيه وميولابوه أكبر مدينتين في إقليم آتشيه اكثر المناطق المنكوبة بكارثة المد البحري. ويعد القرار هو الأخير في سلسله القيود التي بدأت الحكومة الإندونيسية في فرضها قبل يومين وشملت حظر تحرك الصحفيين وعمال الإغاثة خارج حدود باندا آتشيه وميولابوه إلا بعد الحصول على موافقة جاكرتا وهددت بالطرد الفوري لمن لا يلتزم بهذه القوعد الجديدة.

ومن جانبها حاولت الحكومة الإندونيسية تهدئة ردود الفعل الغاضبة على قراراتها الأخيرة، فقد أكد وزير الإعلام الإندونيسي عدم وجود أي دوافع سياسية وراء تلك القرارات موضحا إنها اتخذت لأغراض أمنية بحتة لضمان سلامة العناصر الأجنبية في الإقليم الذي يشهد أزمه تمرد ودعاوي انفصالية منذ عام ١٩٧٩.

وفي حين تعرض إقليم آتشيه في اليوم السابق إلى هزة أرضية جديدة بلغت قوتها ٥,١ درجة بمقياس ريختر، أعلنت سلطات باندا آتشيه أنها لاتزال تعثر على آلاف الجثث يوميا تحت الأنقاض، وان سوء أحوال الطرق ونقص وسائل المواصلات تعرقل جهود نقل هذه الجثث إلى المستشفيات والمقابر الجماعية ("الأهرام" ١٤ يناير).

.....

كما أعلن متحدث باسم المفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، أن المنظمة بدأت في نقل مواد وأغطية وخيام إيواء لنحو ١٠٠ ألف لاجئ. وأوضح أن مخيمات الإيواء ستظل عاملة لمدة لا تقل عن ستة أشهر ريثما تنتهي الوكالات الدولية والحكومية المحلية من بناء مساكن للمتضررين من الكارثة في آتشيه ("الأهرام: العالم" ١٦ يناير).

.....

وفي طوكيو، أعلن متحدث باسم قوات الدفاع الذاتي اليابانية عن وصول طليعة قوة يابانية قوامها نحو ألف جندي إلى إقليم آتشيه للمشاركة في جهود الإغاثة هناك. وتوقع المتحدث بقاء الجنود اليابانيين لمده ثلاثة أشهر تقريبا. وتنتشر وحدات عسكرية أجنبية في باندا آتشيه عاصمة إقليم آتشيه وجزيرة سومطرة، بهدف تقديم العون للناجين من الكارثة، والعمل على منع تفشي الأوبئة بينهم.

وعلى الصعيد الإنساني، عثر فريق تليفزيوني تابع لشبكة سكاي نيوز البريطانية على طفل مشرد عمره سبعة أعوام بعد أن قضى ثلاثة أسابيع على أحد شواطئ باندا آتشيه دون أن يشعر بوجوده أحد. وقال الصبي بأنه كان يشرب الماء من بركة عكرة واعتاد أكل المكرونة الجافة التي وجد كميات منها فنجا من الموت المحقق ("الأهرام: العالم" ١٧ يناير).

.....

وفي باندا آتشيه، أعلن مسئول في برنامج الغذاء العالمي في إقليم آتشيه، أنه برغم مرور أكثر من ٣ أسابيع على اندلاع كارثة تسونامي، فإن عمال الإغاثة مازالوا يكتشفون جيوبا تضم ناجين من الكارثة ("الأهرام: العالم" ١٩ يناير).

.....

ووسط الجهود المكثفة المبذولة لإغاثة المنكوبين في جنوب شرق آسيا، حذرت وكالات الإغاثة الدولية في إندونيسيا، من الانسحاب المبكر للقوات الأمريكية من عمليات الإغاثة، وأشارت إلى أن إعلان واشنطن بدء انسحاب قواتها من المناطق الأكثر تضررا سيلقي بمزيد من المسئوليات علي عاتق الوكالات الدولية، مؤكدة أن هذه القوات تقدم

المعدات والموارد الاساسية في جهود الإنقاذ. وأشارت إلى أن انسحابها سيلقي مسئولية كبيرة على عاتق الوكالات الدولية.

ويأتي الانسحاب الأمريكي في الوقت الذي انهارت فيه الهدنة غير الرسمية لوقف إطلاق النار بين الانفصاليين والقوات الحكومية في إندونيسيا، واشار الجيش الإندونيسي إلى أنه قتل نحو ١٢٠ شخصا يشتبه في أنهم عناصر انفصالية في أثناء محاولتهم عرقلة جهود الإغاثة. كما اعربت ممثلة إندونيسيا في صندوق السكان التابع للأمم المتحدة عن مخاوفها من ارتفاع معدلات العنف ضد المرأة في معسكرات إيواء اللاجئين من ضحايا كارثة آسيا. وأشارت إلى أن المنظمة الدولية تبذل كل جهد ممكن لحماية السيدات والأطفال في هذه المعسكرات.

كما أعلنت الأمم المتحدة أن عمليات الإغاثة في الدول المنكوبة ستدخل مرحلتها الثانية، والتي تتضمن مشروعات طويلة المدى لاعادة إعمار البنية الاساسية في هذه المناطق وتوفير المزيد من فرص العمل بدلا من تقديم مساعدات طارئة فقط. وأكدت المنسق الخاص للأمم المتحدة لعمليات الإغاثة أن المرحلة الثانية تهدف إلى استعادة الناجين لحياتهم العادية ومنع تفشي الأمراض في المنطقة ("الأهرام: العالم" ٢٢ يناير).

.....

وبعد نحو شهر من الكارثة، أنقذت البحرية الهندية رجلا نجا من المد العاتي، حيث عُثر على مايكل مانجال في جزيرة نائية من جزر اندمان ونيكوبار الهندية، وقد سحبته الأمواج أولا إلى عمق البحر ثم قذفته على شاطئ تعيّش فيه على ثمار جوز الهند. وحالة مانجال الصحية جيدة فهو يعاني من إرهاق وإصابات طفيفة، وينتمي الرجل لقبيلة من قبائل جزيرة نيكوبار. وقالت البحرية الهندية إنهم عثروا على مانجال على جزيرة بيلو بانجا الصغيرة، عندما استخدم بعض ملابسه كراية للفت الانتباه. وقال الرجل لمنقذيه إنه جلس أياما فوق شجرة وكان خائفا من "أن يبتلعه المحيط". وقد قتلت الكارثة ١,٨٩٤ شخصا في جزيرتي اندمان ونيكوبار في حين يبقى ٥,٥٠٠ شخص في عداد المفقودين (موقع "بي بي سي" ٢٣ يناير).

.....

وعلى الوضع السياسي بإندونيسيا، صرح رئيس أركان الجيش الإندونيسي بأن قواته قتلت٢٠٨ عناصر من متمردي آتشيه، من بينهم ثلاثة فتحوا النيران على جنود أثناء قيامهم بإصلاح أحد الكباري التي دمرها تسونامي. ويعد هذا التطور مؤشرا على عدم الالتزام بالاتفاق غير الرسمي حول وقف إطلاق النار بين الحكومة الإندونيسية ومتمردي آتشيه، فضلا عن أنه يمثل تهديدا لسلامة عمال الإغاثة في المنطقة المنكوبة. وفي هذا الصدد قال رئيس الأركان: نحن مضطرون لإطلاق النار على هؤلاء المتمردين، لأنهم يهددون أمن المنطقة.

وفي الوقت نفسه، صرح أحد المسئولين الإندونيسيين بأن ممثلي الحكومة الإندونيسية ومتمردي آتشيه سيجتمعون خلال الأسبوع الحالي لبحث التوصل إلى اتفاق رسمي حول وقف إطلاق النار. وأشار كمصدر مطلع على المحادثات بين الجانبين، إلى أنه سيتم عقد الاجتماع في العاصمه الفنلندية هلسنكي على الأرجح. وفي غضون ذلك، حذر متحدث باسم برنامج الغذاء العالمي من عدم وصول الإمدادات الغذائية الكافية لأكثر من ٢٠٠ ألف لاجئ في إقليم آتشيه، رغم عمليات الإغاثة الضخمة الجارية في المناطق المنكوبة. وأضاف أن البرنامج تمكن من توصيل المساعدات الغذائية إلى أكثر من ٤٠٠ ألف شخص في الإقليم، إلا أن الآلاف مازالوا في حاجة إلى اهتمام عاجل.

ومن جانبه، ذكر وزير الرعاية الاجتماعية الإندونيسي أن مرحلة الإغاثة الطارئة في آتشيه أوشكت على الانتهاء. وأشار إلى أنه في المرحلة المقبلة سيزيد الاعتماد على موظفي الإغاثة المدنيين أكثر من الجيوش الأجنبية. وتتناقض تصريحات الوزير الإندونيسي بذلك مع تصريحات لمسئولي الأمم المتحدة الذين أكدوا أن طائرات الهليكوبتر التابعة للبحرية الأمريكية مازالت وسيلة أساسية للوصول إلى الناجين المعزولين ("الأهرام: العالم" ٢٤ يناير).

.....

وكانت ثلاث سفن حربية يابانية على متنها ٩٥٠ جنديا قد وصلت إلى شواطئ باندا آتشيه- امتدادا لطليعة القوات التي أُرسلت منذ نحو أسبوع- في مهمة سلام مؤقتة للمساعدة في عمليات الإغاثة هناك، وذلك في أكبر انتشار عسكري ياباني منذ الحرب العالمية الثانية. وأكدت الخارجية اليابانيه في بيان لها أن لجنة تقصي سوف تصل باندا

آتشيه مطلع فبراير المقبل للوقوف على مدى تعاون السلطات المحلية والسكان مع الجنود اليابانيين ("الأهرام: العالم" ٢٥ يناير).

.....

وعلى صعيد الوضع الإنساني، أكد برنامج الغذاء العالمي أن ما يقرب من ٨٠٠ ألف شخص سيحتاجون إلى مساعدات غذائية خلال الأمد القصير، وحذر مسئول برنامج الغذاء العالمي عن إقليم آتشيه من تفجر كارثة سوء تغذية في الإقليم بسبب الاحتياج إلى المواد الغذائية الأساسية. وأوضح أن عمال الإغاثة يواجهون أكبر التحديات في إقليم آتشيه وذلك بسبب عدم قدرتهم على الوصول بالمواد الغذائية اللازمة للعديد من الناجين في مناطق أصبح من المستحيل الوصول إليها بعد أن دمرت أمواج المد كل الطرق والكباري ("الأهرام: العالم" ٢ فبراير).

.....

وفي الهند، قال مسؤولون بالشرطة الهندية، إنهم عثروا على تسعة ناجين على جزيرة كامبل باي الهندية النائية، بعد أن قضوا ٣٨ يوما هائمين في القرى المدمرة بفعل زلزال آسيا. والناجون التسعة هم خمسة رجال وامرأتان وفتاتان، وهم أحدث الناجين من الكارثة. وقال مسؤول الشرطة: "لقد كانوا جالسين في الغابة عندما رأيناهم، ولم يكن منهم إلا أن جروا باتجاهنا دون قول أي شيء". وقال الناجون لرجال الشرطة إن موجات المد جرفتهم إلى البحر ثم ألقتهم إلى الشاطئ مرة أخرى بعد يومين. وكان المسئول يقود فريقا من رجال الشرطة للبحث عن جثث الضحايا في الجزيرة المنكوبة. وقال: "عندما جاءت موجات المد العاتية تسلقوا أحد التلال، وظلوا يمشون حتى ضلوا طريقهم وأخذوا يهيمون في الأدغال ويستريحون حين يشعرون بالإنهاك ثم يواصلون السير". وأضاف "لقد انتقلوا من الجانب الغربي للجزيرة إلى الجانب الشرقي حيث أنقذناهم" (موقع "بي بي سي" ٢ فبراير).

.....

وقد قررت الأمم المتحدة توظيف ٣٠ ألف شخص من الناجين من موجات المد البحري المدمر في آسيا للمساعدة في الجهود الدولية التي تقوم بها المنظمة في الدول المتضررة. وذكرت متحدثة باسم برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة أنه تم تعيين ١٠٠

شخص للمساعدة في إزالة أنقاض المباني والسيارات المدمرة في إقليم آتشيه بإندونيسيا، وسيتم تعيين الباقين تباعا في جميع المناطق المنكوبة. ومن ناحية أخرى، غادرت منذ يومين حاملة الطائرات الأمريكية ابراهام لينكولن إندونيسيا وذلك في إطار تقليص جهود الإغاثة في البلاد ("الأهرام: العالم" ٥ فبراير).

المساعدات

عقب الكارثة المدمرة، باتت الحكومات والمنظمات غير الحكومية العديدة، التي بدأت حملات لجمع الأموال في العالم، ترسل مساعدات إلى المناطق المنكوبة بملايين وعشرات الملايين من الدولارات. وتأتي أكبر المساهمات من كبرى دول العالم وبينها السويد (٥٥ مليون يورو) واليابان (٢٩ مليون يورو) والولايات المتحدة (٢٥,٥ مليون يورو) وفرنسا (٢٢,١ مليون يورو) وكندا (٢١,٥ مليون يورو) وبريطانيا (٢١,٣ مليون يورو) والاتحاد الأوروبي (٢٠ مليون يورو) واستراليا (٢٠ مليون يورو). كما ساهمت في هذا المجهود، ولو بقدر أقل بكثير، دول تعاني من مصاعب اقتصادية كبرى مثل رومانيا وكمبوديا، وقد قدمت كل منهما ٣٠ ألف يورو. (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

ثم قررت الحكومة اليابانية مضاعفة قيمة مساعداتها العاجلة للدول المتضررة من موجات المد العاتية إلى ٥٠٠ مليون دولار بدلا من ٣٠ مليونا فقط. وصرح رئيس الوزراء الياباني بأن اليابان ستقدم أيضا الخبراء والمعلومات المتوافرة لديها واللازمة في مواجهة الكوارث الطبيعية.

وفي واشنطن أعلن الرئيس الأمريكي أن الولايات المتحدة ستزيد مساعداتها للضحايا من ٣٥ مليون دولار إلى ٣٥٠ مليونا. وقال إن التقديرات الأولية للفرق الأمريكية على الأرض تشير إلى أن المساعدات سوف تتزايد خلال الأيام المقبلة. وأشار إلى أنه تم تشكيل مركز قيادة إقليمي في تايلاند، وقال: إنه تم وضع أكثر من ٢٠ طائرة تحت تصرفه من أجل تقويم الخسائر وتقديم المساعدات الطارئة ("الأهرام: العالم" ٢ يناير ٢٠٠٥).

.....

واعلن منسق المساعدات العاجلة للأمم المتحدة أن هناك حاجة لتوفير مساعدات غذائية تلبي حاجة ١,٨ مليون شخص، وأن المساعدات التي أعلن عنها تتجاوز المليارى دولار، وأشار إلى أن ذلك يبرهن على درجه من التضامن لا سابق لها، لكن ذلك لم يمنع نداءات دولية لوضع خطه تضارع خطة مارشال لإغاثة المناطق المنكوبة بشكل أفضل ("الأهرام: العالم" ٤ يناير).

.....

ومع اقتراب المؤتمر الذي سيعقد في العاصمة الإندونيسية لمساعدة متضرري موجات المد البحري، تزايدت التحذيرات من أن تباطؤ المساعدات قد يزيد من حصيلة ضحايا تسونامي. فيما

قدرت منظمة الصحة العالمية عدد الجرحى الذين سقطوا نتيجة المد البحري بنحو نصف مليون شخص إضافة إلى حصيلة القتلى التي اقتربت من ١٥٠ ألفا، فقد أعربت عن تخوفها من حصول كارثة صحية ما لم يتم تأمين مياه الشرب والإسعافات بسرعة. كما حذر منسق جهود الإغاثة التابعة للمنظمة من وفاة عشرات الآلاف من المشردين في الساحل الغربي لجزيرة سومطرة الإندونيسية قبل وصول مساعدات كافية إلى الدول المنكوبة.

من جهتها دعت منظمة "أوكسفام" الإنسانية الدولية إلى عدم تكرار أخطاء الماضي في مجال المساعدات الإنسانية، عندما لم يتمكن المانحون من تقديم مساعدة بالسرعة الكافية خلال أزمات إنسانية سابقة في أفغانستان وليبيريا وغيرها. ومع ترحيب مديرة المنظمة في رسالة موجهة إلى الدول المشاركة في مؤتمر جاكرتا بالمساعدات الموعودة، فقد أوصت بالعمل على ترجمة الوعود إلى واقع، مذكرة بأن الأمم المتحدة تلقت وعودا بـــ ٣٢,٦ مليون دولار بعد الزلزال الذي ضرب مدينة بم الايرانية. إلا أنه لم يتم فعلا تقديم سوى ١٧,٧ مليونا فقط.

وفي الوقت الذي تتواصل فيه عمليات الإغاثة الميدانية في الدول المتضررة، قام وزير الخارجية الأميركي بزيارة تايلاند، حيث تفقد عمليات الإغاثة في جزيرة فوكيت المنكوبة، ووعد بالتعاون مع تايلاند على وضع أنظمة إنذار لتفادي تكرار الكارثة، وأكد

التزام واشنطن بتقديم المساعدة المالية التي وعدت بها. كما وصل وزير خارجية استراليا إلى جاكرتا لتقييم عمليات الإغاثة المشتركة التي تقدمها حكومته بالتعاون مع الحكومة الإندونيسية للمتضررين وعلى الأخص في إقليم آتشه.

وفي خطوة لافتة أعلن مصدر حكومي ألماني أن الحكومة ستقدم نصف مليار يورو (٦٦٨ مليون دولار) للدول المتضررة بعد أن كانت وعدت بمساعدة طارئة بقيمة عشرين مليون يورو. وفي حال المصادقة عليه اليوم، فسيكون المبلغ الأكبر الذي تقدمه دولة حتى الآن للدول المتضررة من الكارثة متقدمة بذلك على اليابان التي تعهدت بتقديم ٥٠٠ مليون دولار، واستراليا (٣٨٥ مليون دولار) ثم الولايات المتحدة (٣٥٠ مليون دولار) والمملكة المتحدة (٩٦ مليون دولار) وكندا (٦٦ مليون دولار) (موقع "الجزيرة" ٥ يناير).

.....

وتوقع مساعد الأمين العام للامم المتحدة للشئون الإنسانية أن ترفع الدول المانحة المشاركة في مؤتمر الإغاثة بجاكرتا من تبرعاتها لمكافحة أثار تسونامي المدمر. وقد اعترف بافتقار الأمم المتحدة لآلية جاهزة للتعامل مع مثل هذه الكارث، ولكنه شدد على أن المنظمه الدولية حشدت جميع آلياتها الموجودة للتعامل مع الموقف ("الأهرام: العالم" ٦ يناير).

.....

وأعرب رؤساء دول وحكومات ٢٦ دولة، تضم دول رابطة جنوب شرق آسيا "الآسيان" إضافة إلى الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة في ختام أعمال القمة الاستثنائية لإغاثة ضحايا زلزال وأمواج تسونامي، عن قلقهم العميق وتضامنهم القوي مع الدول المتضررة. واعترف البيان الختامي للقمه بدور الأمم المتحدة الكبير في مساعدة الدول المتضررة، وأكد ضرورة تنسيق الجهود بصورة أفضل لضمان فعالية واستمرار المساعدات. وطالب البيان أيضا بتعيين ممثل خاص للسكرتير العام للأمم المتحدة لتولي مهمة تعبئة المجتمع الدولي لدعم برامج الإغاثة الدولية الطارئة في الدول التي أضيرت من الكارثة الطبيعية وعقد مؤتمر دولي للتعهد بمواصلة جهود

الإغاثة الإنسانية وبحث فرص التوصل إلى ترتيبات دائمة على المستوى العالمي لجهود الإغاثة الإنسانية العاجلة.

وكانت القمة قد بدأت أعمالها بتقرير مفصل قدمه الأمين العام للأمم المتحدة عن الاحتياجات الضرورية للدول المتضررة. وأكد الأمين العام أن الأمم المتحدة تحتاج إلى ٩٧٩ مليون دولار خلال الأشهر الستة المقبلة لتلبية الاحتياجات الإنسانية العاجلة لحوالي خمسة ملايين شخص في إندونيسيا وجزر المالديف وميانمار وسيشل والصومال وسريلانكا.

وسيخصص من المبلغ الذي طلبه الأمين العام ٢٢٩ مليونا للمواد الغذائية و٢٢٢ مليونا لإيواء المشردين والاحتياجات غير الغذائية و١٢٢ مليون دولار للصحة و٦١ مليونا للمياه والرعاية الصحية. وأشار الأمين العام إلى أن ماتعرضت له آسيا مؤخرا يعد أخطر كارثة طبيعية تواجهها الأمم المتحدة منذ إنشائها قبل ٦٠ عاما. وتوقع أن يتجاوز عدد قتلى الكارثة ١٥٠ ألفا مشيرا إلى أن العدد الدقيق للقتلى سيكون من الصعب تحديده. وأكد أن الأمم المتحدة ستتولى قيادة جهود تنسيق المساعدات الإنسانية في المناطق المنكوبة. ونوّه إلى أن مجموعة الإغاثة التي كانت تقودها الولايات المتحدة وتتكون أيضا من استراليا واليابان والهند ستقدم دعما لوجيستيا لجهود الأمم المتحدة.

وأعلن وزير الخارجية الأمريكية أن عمليات الإغاثة التي تقودها بلاده ستُدمج في العمليات التي تقودها المنظمة الدولية. وقال في كلمته أمام المؤتمر أن الولايات المتحدة تعهدت بتقديم ٣٥٠ مليون دولار لمساعدة ضحايا الكارثة، وأشار إلى احتمال زيادة المبلغ، إلا أنه لم يحدد حجم الزيادة. وأضاف أن بلاده ستدعم جهود الإغاثة بسفن وطائرات هليكوبتر و١٣ ألف جندي أمريكي.

وقد بلغت قيمة المساعدات الدولية التي وعدت الدول أو الهيئات الدولية بتقديمها إلى منكوبي الزلزال وأمواج تسونامي أربعة مليارات دولار، بعد أن وعد البنك الدولي والبنك الآسيوي للتنمية بتقديم ٥٠٠ مليون دولار ورفع الاتحاد الأوروبي مساهمته إلى ٤٦١ مليون دولار. كما رفعت إيطاليا مساهمتها إلى ٧٠ مليون يورو.

كما سيعقد وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي في بروكسل اليوم اجتماعا مع وزراء التنمية والصحة الأوروبيين لبحث سبل الاستجابة لنداء الأمين العام للأمم المتحدة بتقديم

٩٧٩ مليون دولار خلال ستة أشهر. ومن جانبه، دعا الرئيس الإندونيسي إلى تعيين ممثل خاص لتنسيق مساعدات الوكالات الدولية لضحايا المد البحري. وقال إن أكثر من عشرين دولة ساهمت حتى الآن في المساعدات من خلال تقديم أموال وإمدادات وأدوية ومواد غذائية ووسائل مساعدة أخرى. وأضاف أنه رغم ذلك فإن جهود الإغاثة في حاجة إلى المزيد من الدعم ("الأهرام: العالم" ٧ يناير).

.....

وقرر البنك الآسيوي للتنمية زيادة حجم تعهداته المالية لثلاث دول تضررت من الزلزال هي: إندونيسيا وسريلانكا والمالديف إلى ٥٠٠ مليون دولار بدلا من ٢٢٥ مليونا كان قد أقرها البنك سابقا، وذلك في شكل قروض وضمانات لقروض. وقد صرح وزير الخارجية البريطاني الذي زار تايلاند بأن سريلانكا وإندونيسيا وجزر المالديف في حاجة إلى مساعدات عاجلة، ولكن تايلاند ليست في حاجة إلى ذلك لأنها ماضية في عملية إعادة إعمار وتطهير المناطق المنكوبة بسرعه فائقة على حد قوله ("الأهرام: العالم" ٨ يناير).

.....

كما أكد رئيس الوزراء الياباني استعداد اليابان لتقديم مساعدات إضافية لإعادة إعمار المناطق المنكوبة، موضحا أن المعونات اليابانية العاجلة، التي تصل إلى ٥٠٠ مليون دولار، سوف يجري تحويل نصف قيمتها مباشرة إلى الدول المتضررة، بحيث تحصل إندونيسيا على ١٣٠ مليونا، و٨٠ مليونا لسريلانكا، و٢٠ مليونا لتايلاند، و١٦ مليونا للمالديف، أما النصف الآخر فسوف يقدم من خلال المنظمات الدولية ("الأهرام: العالم" ٨ يناير).

.....

وفي السابع من يناير، اتفق وزراء الخارجية والصحة والتنمية بالدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي خلال اجتماع طارئ في بروكسل، على النظر في الطلب المقدم من الأمم المتحدة والخاص بإرسال سفن وطائرات مروحية لمساعدة الولايات المتحدة في جهود الإغاثة بجنوب آسيا. ومن جانبه قال وزير خارجية لوكسمبورج التي تتولى

رئاسة الاتحاد الأوروبي حاليا أنه يتعين على الاتحاد أن يتصرف بطريقة تتناسب وكرم شعوبه وأن يتحقق من كفاية واستمرارية جهود الإغاثة المقدمة لدول جنوب آسيا.

وفي نيويورك أعلنت الأمم المتحدة أن مسئولي الإغاثة أحرزوا تقدما في توصيل المساعدات الغذائية للناجين في أكثر المناطق تضررا من موجات المد العاتية. وأوضح مسئول بارز في مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية أنه تم إحراز تقدم في مساعدة أكثر المناطق عزلة في إندونيسيا. وأضاف أنه خلال يومين ستكون جهود الإغاثة الدولية قد سلمت شحنة مبدئية من الطعام والامدادات الطارئة لكل محتاج في سريلانكا ("الأهرام: العالم" ٩ يناير).

.....

وفي ١٢ يناير، أعلن أن منظمة الأمم المتحدة ستستضيف اليوم مؤتمرا موسعا للدول المانحة لمصلحة الدول الآسيوية المنكوبة من جراء كارثة المد البحري تسونامي، وسط مطالبة مسئولي المنظمة الدولية بوضع الدول المانحة جدولا زمنيا محددا لتنفيذ تعهداتها السخية إزاء المناطق المنكوبة، وحذروا من أن عدم الوفاء بها سيكون له عواقب وخيمة. وأكد الرئيس الأمريكي التزام إدارته وبلاده بمساندة الدول المتضررة من تسونامي على المدى الطويل، موضحا أن مرحله التعافي من الأثار المختلفة لكارثة تسونامي سوف تستغرق سنوات طويلة وتتطلب الكثير من الصبر والعمل الجاد.

وكانت المتحدثة باسم منظمة الأمم المتحدة، قد أكدت أن مؤتمر الدول المانحة الذي يبدأ أعماله خلال ساعات في جنيف بمشاركة ٢٥٠ مندوبا عن نحو ٨١ دولة وعدد من هيئات الإغاثة الدولية، يركز على وضع آلية محددة لكيفية استغلال التبرعات والمنح المادية التي تتراوح بين ٤ و٦ مليارات دولار، والاتفاق على وسيلة للتنسيق بين الدول المانحة المختلفة لضمان وصول المساعدات إلى مستحقيها وعدم اقتصارها على الإغاثة ودون إعادة تاهيل البنية التحتية في الدول المنكوبة وإعادة إعمار المجتمعات المتضررة.

ويأتي مؤتمر جنيف بعد نحو خمسة أيام من أعمال مؤتمر المانحين الذي عقد في العاصمة الإندونيسية برئاسة الأمين العام للامم المتحدة الذي وجه خلاله نداء لجمع مليار دولار كمساعدات عاجلة لصالح الدول الآسيوية السبع المنكوبة، وبرغم أن

تعهدات الدول المانحة تجاوزت هذا المبلغ نحو أربع مرات أو أكثر، فإن أحدث تقارير الأمم المتحدة يؤكد أن المنظمة حصلت على ضمانات من بعض الدول المانحة بدفع ٢,٦٩ مليار دولار فقط، كما أن هذه الدول لم تحدد بعد موعدا لدفع هذه المبالغ.

وكان العديد من هيئات الإغاثة والمنظمات الدولية قد استشهد بتجارب قديمة، محذرا من فتور الاهتمام الدولي بكارثة تسونامي مع مرور الوقت، وإهمال الدول المانحة لتعهداتها السخية فور اختفاء صور الكارثة من الصفحات الأولى للصحف. وأشارت المتحدثة باسم المنظمة إلى اعتزام الأمم المتحدة تنظيم مؤتمر أخر مستقبلا لتركيز المساعدات والتبرعات الخاصة بعمليات إعادة الإعمار في الدول المنكوبة وجهود التنمية طويلة المدى.

وقد أطلقت الأمم المتحدة نداء لكي تشمل موجة التبرعات الدولية التي أعقبت تسونامي في آسيا، غيرها من المناطق المنكوبة في العالم، محذرة من أن تسقط أفريقيا وقضاياها الإنسانية من ذاكرة المجتمع الدولي وسط هذه الحملة غير المسبوقة لمساعدة ضحايا تسونامي. وأكد منسق جهود الإغاثة بالأمم المتحدة خلال مؤتمر صحفي سبق بدء أعمال المؤتمر، ضرورة تذكير العالم بدعوة الأمم المتحدة في نوفمبر الماضي لجمع ١,٧ مليار دولار لاحتواء ١٤ أزمة إنسانية بينها ١٢ أزمة في أفريقيا وحدها خلال عام ٢٠٠٥، وأوضح أن الأمم المتحدة لم تحصل حتى الآن سوى على ثلث المبلغ الذي طالبت به لتلبية الاحتياجات الملحة لنحو ٢٦ مليون شخص.

وعلى الصعيد نفسه، أكد الرئيس الامريكي منذ يومين، خلال اجتماع مع مسئولي الوكالة الأمريكي للمساعدات الخارجية وعدد من وكالات الإغاثة الأمريكية، التزام الولايات المتحد بتعهداتها إزاء مساعدة ودعم الدول الآسيوية المنكوبة، مطالبا في الوقت نفسه المؤسسات الأمريكية والأمريكيين بتحقيق التوازن بين اهتمامهم بكارثة تسونامي وواجبهم في تلبية احتياجات المناطق المنكوبة في شتى أنحاء العالم ومعالجة الأزمات الإنسانية المختلفة داخل الأراضي الأمريكية.

ومع ارتفاع حصيلة قتلى الدول السبع المنكوبة من جراء تسونامي إلى أكثر من ١٥٧ ألف شخص، أعربت الأمم المتحدة عن اعتقادها باحتمال ارتفاعه إلى نحو مائتي ألف قتيل. وقد تواصلت تعهدات الدول المانحة، حيث رفعت كندا حجم مساعداتها إلى

٣٥٠ مليون دولار يتم دفعها خلال السنوات الخمس المقبلة، كما تعهدت اليابان بدفع ٤٠ مليون دولارا إضافية تدفعهم لصالح الدول المنكوبة عبر البنك الدولي وبنك التنمية الآسيوي. وتتصدر طوكيو بالفعل قائمة الدول المانحة بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار. وفي كوالالمبور، أعلنت منظمة المؤتمر الإسلامي أنها جمعت تبرعات لمصلحة ضحايا الكارثة بلغت حتى الآن نحو ١١٨ مليون دولار، ومن المقرر توصيل هذه الأموال إلى مستحقيها عبر الأمم المتحدة ("الأهرام: العالم" ١٢ يناير).

.....

وعبّر منسق جهود الإغاثة بالأمم المتحدة للصحفيين، عقب اجتماع عقد في جنيف، عن سروره برد المجتمع الدولي السريع، وقال إن الحكومات المانحة وعدت بصرف المبالغ التي تعهدت بتقديمها لمساعدة الضحايا خلال الأشهر الستة المقبلة. ولكنه حذر من أن على الدول الدائنة عدم التغاضي عن الأزمات الإنسانية المستفحلة في أرجاء أخرى من العالم. وقال إن هذه هي المرة الأولى التي تتمكن الأمم المتحدة فيها من جمع هذا الكم من المبالغ في وقت قياسي، واصفا حملة جمع التبرعات بأنها كانت "جهدا استثنائيا." وسيناقش اجتماع نادي باريس في العاصمة الفرنسية اليوم تجميد الديون المستحقة على الدول المتضررة من التسونامي.

وقد أعلنت اليابان، وهي أكبر الدول المانحة، عن نيتها صرف مبلغ ٢٥٠ مليون دولار نقدا خلال الأيام القليلة المقبلة، وهو مبلغ يمثل نصف ما تعهدت به طوكيو لمساعدة الضحايا. وكان منسق جهود الإغاثة بالأمم المتحدة قد حث المانحين في وقت سابق على الإسراع بصرف المبالغ التي تعهدوا بها، وقال إن عُشر المبالغ الموعودة قد وصلت فعلا إلى مستحقيها (موقع "بي بي سي" ١٢ يناير).

.....

ومع تجاوز حصيلة ضحايا كارثة الزلزال والمد البحري تسونامي ١٥٩ ألف قتيل، تواصلت الجهود الدولية لمسح دموع المنكوبين، والتخفيف من معاناتهم، سواء بأعمال الإغاثة والانقاذ، أو بتقديم التبرعات المالية، أو خفض أعباء الديون الثقيلة من على كاهلهم. وقد رحب الأمين العام للأمم المتحدة، بتعهد الدول المانحة في جنيف منذ يومين بتقديم ٧١٥ مليون دولار، بينما استعد أعضاء نادي باريس لحكومات الدول الدائنة،

لتجميد أقساط ديون قيمتها خمسة مليارات دولار من إجمالي مديونية الدول الآسيوية المتضررة المستحقة للدول الدائنة البالغة ٣٥٦ مليار دولار ("الأهرام" الصفحة الأولى" ١٣ يناير).

.....

وفي هذا السياق، أكد منسق جهود الإغاثة بالأمم المتحدة، أن المنظمة الدولية تلقت ضمانات وتأكيدات من الدول والحكومات المتبرعة لضحايا تسونامي بدفع ٧١٧ مليون دولار حتى الآن، وهو مايشكل نسبه ٧٣% من مبلغ المليار دولار الذي دعا الأمين العام للمنظمة قبل أسبوع في إندونيسيا إلى توفيره لدعم جهود الإغاثة والإعمار في الدول الآسيوية السبع المتضررة. جاءت تصريحات منسق جهود الإغاثة عقب الاجتماع الذي شارك فيه وفود من ٨١ دولة وبإشراف الأمم المتحدة في جنيف منذ يومين، بهدف ضمان جدية تعهدات الدول التي وعدت بدفع مايتراوح ما بين ٤ و٦ مليارات دولار ولكنها لم تحدد جدولا زمنيا لدفع هذه التبرعات السخية مما أثار المخاوف من عدم جديتها أو عدم وفاء الدول المتبرعة بها.

وقد رحب الأمين العام للأمم المتحدة بالتعهدات السخية التي قدمها المجتمعون في جنيف، وأكد ان هذه التبرعات سوف تصل إلى مستحقيها، وسوف يتم الاستفادة منها بشكل جيد، كما أكد أن اجتماع أمس الأول برهن على ثقة المجتمع الدولي في الدور الذي تطلبه المنظمة الدولية.

ومن باريس، أعرب الرئيس الامريكي عن تضامنه وتضامن الشعب الأمريكي مع ضحايا المد البحري في آسيا، وذكّر أن الولايات المتحدة قدمت مساعدة قدرها ٣٥٠ مليون دولار، كما هنأ الافراد والدول والمنظمات الدولية التي منحت الأموال والأجهزة ووسائل المواصلات وتوفد المتخصصين لمساعدة ضحايا الكارثه، وأكد ان الشعب الأمريكي الذي عانى هو أيضا من العديد من الكوارث الطبيعية سوف يفعل كل ما بوسعه لمساعدة شعوب آسيا لمواجهة المشاكل العديدة التي تنتظرهم. جاء ذلك في مقال للرئيس الامريكي وزعه البيت الأبيض على عدد من الصحف الدولية والأوروبية، في مقدمتها صحيفة لوباريزيان ("الأهرام" الصفحة الأولى" ١٣ يناير).

.....

وفي سياق متصل، وصلت اليوم ثلاث مروحيات فرنسية إلى مطار باندا آتشه، الذي تتمركز فيه مروحيات أميركية وطائرات شحن. ونقلت هذه المروحيات فريقا من ٢٠ عنصرا من الدفاع المدني الفرنسي وحوالي ١,٥ طن من المساعدات (موقع "الجزيرة" ١٤ يناير).

.....

وفي منتصف يناير، وافق مجلس الوزراء الإيطالي على منح الدول الآسيوية المنكوبة من جراء كارثة تسونامي مبلغ ١٥١ مليون يورو، منها ٧٠ مليونا من جانب الدولة ونحو ٣٨ مليونا من حصيلة خصم الديون الإيطالية، للدول المتضررة بالإضافة إلى ٤٣ مليونا حصيلة تبرعات الشعب الإيطالي. وفي الوقت ذاته صرح وزير الداخلية الإيطالي أن عدد ضحايا الكارثة من الإيطاليين قد بلغ ١٨ شخصا فضلا عن نحو ٢١٤ في عداد المفقودين وأنه تم إرسال ٥١ خبيرا لتحاليل الحمض النووي إلى الدول المنكوبة من أجل التعرف على جثث السائحين الإيطاليين ("الأهرام: العالم" ١٦ يناير).

.....

وصرح رئيس إدارة النشاط الدولي في وزارة الطوارئ الروسية، بأن روسيا قد أرسلت ٥٠٠ طن من المساعدات الإنسانية من خلال ٢٠ رحلة طيران، قيمتها ٨ ملايين دولارا، وبلغت مساعدات روسيا للمناطق المتضررة من تسونامي في جنوب آسيا نحو ٢٢ مليون دولار. وقد اشتملت المساعدات على مولدات الطاقة الكهربائية ومحطات تنقية المياه والخيم الكبيرة والمواد والمعدات وغيرها من المواد الضرورية إلى المناطق المتضررة في سيريلانكا وتايلاند وإندونسيا. وسترسل ١٦ طائرة أخرى إلى البلاد المتضررة تضم مستشفى ميدانيا مع فريق من الأطباء المتخصصين في طب الكوارث ورقابة الأوبئة التابع لوزارة الصحة الروسية ("الأهرام: العالم" ١٦ يناير).

.....

وحول المساعدات من كندا والمملكة العربية السعودية، جاء في تقارير مراسلي الأهرام: هكذا تحولت كارثة تسونامي إلى قضية قومية في كندا، أطرافها الرأي العام ووسائل الإعلام والمعارَضة والحكومة. الكل ينتقد الكل، والحكومة تلهث في سباق مع الزمن بالمبادرات لكي تثبت أن هناك موقفا كنديا إنسانيا متعاطفا مع من المَنّت بهم

الكارثة. لم تعد الأزمة مجرد مساعدات يقدمها البشر العاديون في كندا إلى الكثير من المنظمات الأهلية غير الحكومية التي تعمل هناك من اللحظة الأولى في جزيرة بوكيت بتايلاند، أو في الأماكن المنكوبة في سريلانكا، أو إعلان الحكومة رصد ٨٠ مليون دولار بدلا من ٤٠ مليون دولار، وإنما حالة عامة من التعاطف اجتاحت المجتمع الكندي مع ضحايا تسونامي وفرصه للحكومة لكي تقدم وجها إنسانيا لكندا على الساحة الدولية.

أولا: مضاعفة المعونات إلى ٨٠ مليون دولار، وإرسال فريق محترف تابع للجيش الكندي خاص بمعالجة الكوارث إلى الدول المتضررة. ثانيا: تشجيع الكنديين على تقديم التبرعات من خلال القنوات المعروفة وأهمها الجمعيات الأهلية غير الحكومية التي تعمل على المستوى الدولي والتي انتقلت إلى جنوب آسيا لتقديم يد العون، مثل يونيسيف كندا، وأوكسفام كندا، ورلد فيجن كندا، وكير كندا، وأطباء بلا حدود، ومنظمة الإغاثة الكندية من أجل السلام في سريلانكا وغيرها الكثير.

ثالثا: يبدأ رئيس الوزراء نفسه جولة في تايلاند وسريلانكا خلال الأسبوع الحالي لتفقد الأماكن المنكوبة على الطبيعة، وكان من المقرر أن يزور الهند والصين واليابان لمدة ٩ أيام في زيارة كانت مقرره سلفا قبل كارثة تسونامي، إلا أنه قرر إلغاءها وقصرها على تايلاند وسريلانكا باعتبارها أكثر الدول التي أضيرت من تسونامي. رابعا: في مساعيها لتخفيف الأزمة، قررت كندا إلغاء الديون عن الدول التي تضررت وقال رئيس الوزراء إن بلاده سوف توجد في جنوب آسيا تقدم يد العون لشعوبها اليوم وغدا وكلما تطلب الأمر.

في هذا السياق، قالت نائب رئيس منظمة كير كندا: "إن الكنديين العاديين هم الذين دفعوا حكومتهم إلى اتخاذ هذا الموقف، وهذا يعني أن الكنديين العاديين مهتمون بما يحدث في العالم، كما أنهم مهتمون بتقديم المساعدات، ومشاركة الآخرين بما لديهم من ثروات". هذا بالإضافة إلى ان الكنديين اختاروا العمل الإنساني على الصعيد العالمي باعتباره أحد الروافد الرئيسية للسياسة الخارجية وعملوا على تدعيمه، ودفعوا حكوماتهم الواحده تلو الأخرى إلى اتخاذ هذا المجرى من خلال الاهتمام بتدعيم قضايا حقوق الإنسان على المستوى الدولي.

والارتباط الكندي بالكارثة كان واضحا، إذ جاءت التقديرات المبكرة لتقول أن هناك نحو ١٤٦ كنديا مفقودين في الأماكن التي ضربها تسونامي، بل إن البعض أكد فقدان نحو ٢٨٥ كنديا في هذه الأماكن، إلا أن مدير مركز الأزمات قال إن هناك ٦ قتلى كنديين مؤكَدين، أربعة في تايلاند وواحد في سريلانكا وآخر في الهند، وأن هناك ٣٧ مفقودا، ومعظم هؤلاء كانوا ممن يقضون إجازات الكريسماس والعام الجديد في الأماكن الدافئة، ملتمسين قطع شتاء كندا القارس والطويل، إلى قضاء أسبوع من الإجازة في منطقة دافئة كالكاريبي أو في المكسيك كحلم يسعى الجميع إلى تحقيقه بادخار ما يمكن طوال العالم، ومن سوء حظ من ذهب إلى جنوب آسيا في ذلك العام أن وقع في مصيدة تسونامي، وهو مادفع الحكومة إلى إرسال فرقة المساعدات الكندية في مجال الكوارث وتدعى "دارت" وهي تابعة للجيش الكندي إلى جنوب آسيا.

وهكذا مع تصاعد الأحداث قررت الحكومة زيادة مبلغ المساعدات لكارثة تسونامي إلى ٤٢٥ مليون دولار خلال السنوات الخمس المقبلة، وذلك حتى تتمكن من مجاراة كرم الأفراد الكنديين الذين قدموا ١٥٠ مليون دولار حتى الآن للمناطق المتضررة. ومبلغ المساعدات، الذي تم زيادته من ٨٠ مليون دولار لنحو ٢٦٥ مليون دولار، في شكل مساعدات عاجلة، بخلاف ١٦٠ مليون دولار عبارة عن مساعدات طويلة الأجل تقدم من خلال الوكالة الكندية للتنمية الدولية "سيدا".

وحث رئيس الوزراء بقيه دول العالم أن تحذو حذو كندا بتقديم المساعدات للدول المنكوبة. وبهذا التطور أصبحت كندا تحتل نفس المكانة التي تحتلها الولايات المتحدة في مجال تقديم المساعدات للدول المتضررة بتسونامي. جدير بالذكر أن أحد أثرياء كندا وزوجته "كروم بيندوف وايفا" قدّما ٥ ملايين دولار مساعدة للصليب الأحمر الكندي.

وحول مساعدات العالم الإسلامي لضحايا تسونامي، كان هناك تساؤلا للعديدين، والسؤال تم توجيهه إلى الدول العربية الاسلامية وبالتحديد للمملكة العربية السعودية، وهو ما تصدى له سفير خادم الحرمين الشريفين في كندا وعميد السلك الدبلوماسي العربي الدكتور محمد الحسيني، الذي تحدث للصحف الكندية وأرسل لها بيانا يعدد فيه حجم مساهمات المملكة لضحايا تسونامي. إذ قال أن المملكة أعلنت عن المساهمة بما قيمته ٣٠ مليون دولار أمريكي لضحايا الكارثة، وفي ٦ يناير بدأت الحكومة السعودية

حملة تبرعات عامة أسفرت عن جمع ١٣٣ مليون دولار أمريكي من الأفراد أي ما قيمته ١٦٧ مليون دولار كندي، كما أن الهلال الأحمر السعودي يعمل حاليا في المناطق المتضررة.

وأضاف بأن المملكة خصصت خطوط طيران مباشرة لتقديم المساعدات الغذائية والطبية والأدوية والخيام بنحو ألف طن لإندونيسيا وسريلانكا وتايلاند، وأشار السيد السفير إلى أن المملكة التزمت بالمشاركة مع الجهود الدولية في مجال إعادة بناء وتعمير المناطق التي أصابتها الكارثة، كما أنها شاركت في دعم البناء من خلال مشروعات الصندوق السعودي للتنمية، وأسهم بنك التنمية الإسلامي ومقره جدّة بمبلغ ١٠ ملايين دولار وتعهد بتقديم المزيد من مشروعات التنمية في الدول المتضررة ("الأهرام: تقارير المراسلين" ١٧ يناير).

.....

وطالبت مصر بزيادة الدعم المالي والتقني الدولي والشراكة الاقتصادية والاستثمارية للدول النامية المكونة من جزر صغيرة لبناء القدرات المؤسسية والبشرية لتحقيق التنمية المستدامة في هذه الجزر والتخفيف من أثار الكوارث الطبيعية الناتجة عن تغيرات المناخ. وقد جاء ذلك خلال كلمه مصر التي القاها السيد وزير الدولة لشئون البيئة في ختام مؤتمر موريشيوس العالمي، موضحا أن المجتمع الدولي لم ينجح حتى الآن في مواجهة تحديات الفقر وتدهور البيئة وندرة المياه والموارد المطلوبة ونقل التكنولوجيا اللازمة لتفعيل ما تم الاتفاق عليه على المستوى العالمي والدولي من خلال الاتفاقيات والمؤتمرات البيئية العالمية. وأشار الوزير إلى أن كارثة زلزال جنوب شرق آسيا وفيضان تسونامي كشفت عن حجم المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها الدول النامية المكونة من جزر صغيرة ("الأهرام: مصر" ٢٢ يناير).

.....

وحول مساعدات النمسا، جاء بتقارير المراسلين بالأهرام: فيما يتعلق برد الفعل النمساوي إزاء الكارثة، يلاحظ مايلي: ان أهم ما يثير الإعجاب بصورة خاصة ذلك السيل الهائل من تبرعات الأشخاص والمنظمات الخاصة لمشاريع محددة في المناطق المنكوبة. فمنظمة الصليب الأحمر النمساوية تقوم بالعمل على ضمان وصول المساعدات

إلى مستحقيها، وفيما يتعلق بتبرعات المؤسسات العامة، فإن الأمر مختلف، خاصة عندما يتعلق بالدفع من قبل حكومة إلى حكومات أخرى. ففي هذه الحالة، يجب البحث عن شركاء يمكن التباحث معهم، حيث أن التجارب مع الأنظمة المحلية تبعث على الشك.

المثال الآخر هو إندونيسيا، التي فقدت أكثر من ١٠٠ ألف ضحية وفيها أكثر من ٤٠٠ ألف لاجئ، فبالنسبة للحكومة المركزية في جاكرتا تعتبر منطقة آتشيه منطقة حرب أهلية، حيث يحارب السكان المسلمون المتشددون هناك الحكومة المركزية المعتدلة نسبيا، والآن على الحكومة أن تفتح هذا الإقليم أمام المساعدات الأجنبية وأمام الصحفيين. وبكلمات أخرى، فإن عملية تقديم المساعدات تحتاج في جميع الأحوال إلى السلام. وفي الهند وسريلانكا يوجد أيضا توتر، وتعد عمليات توزيع المساعدات من أكبر التحديات التي تواجه هذه الحكومات.

وقد أعلنت النمسا أنها ستقدم ٥٠ مليون يورو، وسيتم توزيع هذا المبلغ على مشاريع محددة يبلغ عددها اثني عشر مشروعا في جنوب شرق آسيا، وستقوم النمسا بمتابعة العمل في هذه المشاريع حتى لا يضيع أي يورو، كما صرح المنسق الأعلى للمساعدات النمساوية وزير الداخلية السابق آرسنت شتراسر. وستقدم الحكومة الاتحادية مبلغ ٣٤ مليون يورو، بينما تقدم حكومات المقاطعات مبلغ عشرة ملايين يورو، أما الستة ملايين الأخرى فستقدمها البلديات المختلفة.

وكان للضغط الكبير الذي مارسه الرأي العام أثر كبير على الحكومة، فقررت رفع المساعدات لضحايا الكارثة من ٨ ملايين إلى ٥٠ مليون يورو. وستصرف هذه المبالغ على إعادة بناء المدارس، فمثلا ستقوم بلديه فيينا بإعادة بناء إحدى المدارس في العاصمة السريلانكية، وستقوم مقاطعة بورجنلاند ببذل مساع للمصالحة بين الطوائف المختلفة في سريلانكا، أما مقاطعة كيرنتن فتريد حماية الأطفال وستشاركها مقاطعات تيرول وشتاير مارك بدعم قرى الأطفال المنكوبة. كذلك ستركز المساعدات النمساوية على حمايه المرأة، حيث ستقدم المساعدات لبناء المراكز الصحية التي تركز اهتمامها على رعاية الأمومة والتخطيط العائلي ومكافحه الإيدز. أما مقاطعتا سالزبورج وفورارلبرج فستوجه مساعداتهما إلى عمليات إعادة بناء قرى صيادي الأسماك في الهند وسريلانكا، كما تقدم النمسا مساعداتها لعمليات الإنقاذ التي تقوم بها الأمم المتحدة

لإنقاذ الشعاب المرجانية والغابات الساحلية، كذلك ستقدم بذورا للزراعة ومساعدات بيطرية للمناطق المنكوبة. كما تشارك مقاطعة النمسا العليا ووزارة الدفاع في عمليات إزالة الألغام في سريلانكا بعد الحرب الأهلية لما لها من أهمية كبيرة في حماية السكان.

ويقوم حاليا نحو ٧٧ جنديا نمساويا بتأمين المياه الصالحة للشرب في سريلانكا لأربعين ألف شخص من السكان. أما النقابات المهنية فتركز اهتمامها على عمليات التدريب والتأهيل المهني، بينما ستقوم وزارة المواصلات النمساوية بالتعاون مع مؤسسة الخطوط الحديدية وبناء الطرق في النمسا بإعادة بناء الطرق والسكك الحديدية، كما أن هناك خططا للتدريب والتأهيل في مجالات السياحة والصحة.

وقد ألقت الكوارث في آسيا بظلالها على السياحة في النمسا، حيث طالب زعيم المعارضة رئيس الحزب الاشتراكي الفريد جوسينباور بإلغاء حفل أوبرا فيينا السنوي الشهير، لأنه من غير المناسب إقامته نظرا للعدد الكبير لضحايا تسونامي. لكن بعض المراقبين يطالبون بإلغاء هذا الحفل كل عام، نظرا للحالة السائدة من العوز والفقر والعذاب في هذا العالم. فقبل عده أسابيع كان الناس في دارفور محور الاهتمام، وفي بعض الدول الأفريقية تسقط أجيال بكاملها بسبب مرض الإيدز، والضربات في العراق التي ينتج عنها عدد كبير من الضحايا أصبحت من الحوادث اليومية.

وقبل عام أدت الهزة الأرضية في إيران إلى موت عشرات الآلاف، ومع ذلك لم ينتقد أحد حفل الأوبرا. ويضيف هؤلاء المراقبون أنه بالإضافة إلى عدد الضحايا النمساويين في كارثة المد البحري في آسيا، فإنه في النمسا يموت يوميا أكثر من شخصين في حوادث السير وأكثر من أربعة حوادث انتحار بسبب فقدان الأمل في إيجاد حل لما يواجهونه من مشكلات. ويوضح هؤلاء المراقبون أن ضحايا الحادي عشر من سبتمبر اهتمت بهم وسائل الإعلام أكثر من العدد الذي يموت يوميا جوعا في أفريقيا، وكارثة المد البحري الأخيرة في آسيا أدت إلى صدمة أكبر من الآلام اليومية التي نسمع عنها في مناطق أخرى من العالم، فتأثر الإنسان بما يحدث أصبح يتعلق بقيمته الإعلامية، هذا بالإضافة إلى المبدأ الإعلامي السائد الذي يقول أن الأخبار السيئة فقط هي الأخبار الجيدة. لذلك يطالب هؤلاء المراقبون جوسينباور بأن يقدم اقتراحات بناءة من أجل تخفيف العذاب في هذا العالم، وأن يتبرع لضحايا الطوفان، وبعد ذلك يمكن أن يرتدي

الاسموكن ويذهب إلى حفل الأوبرا مرتاح البال ويبادر إلى الرقص! ("الأهرام: تقارير المراسلين" ٢٥ يناير).

.....

وقد أعلنت الحكومة الإندونيسية أنها بصدد إعلان بيان شهري مفصل حول حجم الأموال التي تتلقاها في شكل مساعدات أجنبية لضحايا تسونامي، مع توضيح مجالات صرف هذه الأموال، ويأتي هذا الإعلان كمحاولة لتهدئة المخاوف المثارة حول إمكانية وقوف الموظفين الفاسدين دون وصول المساعدات التي تقدر بالملايين إلى مستحقيها.

ويصل نصيب إندونيسيا، أكثر الدول تضررا من كارثة تسونامي، من المساعدات الدولية إلى أكثر من أربعة مليارات دولار في شكل مساعدات ومنح وقروض. ومن جانبها أعلنت السلطات الماليزية اعتزامها إغلاق باب التبرعات لضحايا تسونامي مع نهاية شهر يناير الحالي. وأعلن نائب رئيس الوزراء الماليزي أن صندوق الإغاثة الوطني الماليزي قد تلقى خلال الشهور الماضية ما يعادل ٢١ مليون دولار أمريكي، مؤكدا كفاية هذا المبلغ لمعالجة الآثار المترتبة على تسونامي في بلاده.

وفي الوقت نفسه، مازالت المساعدات الدولية تتدفق على الدول المنكوبة. فقد أعلنت مصادر من داخل الكونجرس الأمريكي، أن الإدارة الأمريكية تعتزم مضاعفة مساعدتها للدول الآسيوية المتضررة إلى ٦٥٠ مليون دولار بعد أن كانت ٣٥٠ مليون دولار فقط ("الأهرام: العالم" ٢٦ يناير).

.....

وقد أعلنت منظمة "أوكسفام" الخيرية البريطانية أن الدول المانحة لم تقدم حتى الآن سوى نصف المبالغ التي تعهدت بدفعها للدول المتضررة من كارثه تسونامي. وأضافت في تقرير لها أنه يجب بذل مزيد من الجهد للحفاظ على نوعية وكمية المساعدات المقدمة للدول المنكوبة. وانتقد تقرير اوكسفام انعدام خبرة بعض منظمات الإغاثة التي تقوم بتوزيع المساعدات في منطقة جنوب آسيا، مشددا على ضرورة تعاونها مع المجتمعات المحلية وبصورة أكثر التحاما. وطالب التقرير المنظمات أن تستفسر من المواطنين عن احتياجاتهم قبل الإسراع بتقديم مساعدات قد يكونون في غنى عنها.

ومن جهه أخرى، اعرب رئيس منظمة الصليب الأحمر الفرنسية، عن سعادته البالغة لأن الأموال التي جمعتها المنظمة خلال شهر واحد من وقوع كارثة تسونامي تزيد على أكثر من نصف الأموال التي جمعتها خلال ٨٦ عاما هو عمر نشاط المنظمة. وأضاف، وهو وزير صحة سابق في فرنسا، أنه منذ تأسيس الصليب الأحمر عام ١٩١٩ بلغ حجم التبرعات التي جمعها حتى الآن مليارا و٥٥٠ مليون يورو. وأوضح أن ماتم جمعه لضحايا كارثة الزلزال الأخير في آسيا بلغ ٩١٠ ملايين يورو منها ٦٤ مليونا من فرنسا وحدها ("الأهرام: العالم" ٢٧ يناير).

البنك الدولي

بعد عدة أيام من الكارثة، أعلنت الأمم المتحدة أن البنك الدولي سيصرف ٢٥٠ مليون دولار لمساعدة المتضررين من المد البحري في آسيا. وجاء هذا الإعلان على لسان رئيس البنك الدولي خلال لقاء بالأمين العام للأمم المتحدة (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

وفي منتصف يناير، صرح أحد خبراء البنك الدولي في مجال إدارة الأخطار، من كوبي باليابان، بأنه في الوقت الذي بدأت فيه فعاليات مؤتمر الأمم المتحدة الدولي للحد من الكوارث، فإن كارثة موجات المد العاتية التي أحدثها زلزال ٢٦ ديسمبر/كانون الأول المدمر، تعد فرصة نادرة لإعادة النظر في الاتجاه العالمي نحو الكوارث الطبيعية والتنمية وسبل إدارة الأزمات.

وأضافت رئيس وحدة إدارة الأخطار بالبنك الدولي، أنه في الوقت الذي يتعذر فيه إيقاف أمواج تاسونامي والأعاصير، ثمة فرصة كبيرة لتخفيف وطأتهما تتمثل في التأهب لمثل هذه الكوارث من خلال إشراك المجتمعات على نحو صحيح، ووضع أنظمة بناء وتصميم منشآت ساحلية أفضل وتحسين طرق إدارة الشعب المرجانية وأشجار المانجروف. واستطردت قائلة: "نعلم جيدا أن الوقاية تؤتي ثمارها عندما يتعلق الأمر بإدارة الأخطار، فعلى سبيل المثال، لم تأل جزر ساموا التي تقع جنوب المحيط الهادئ جهدا في استثمار الوقت والمال للحد من الأخطار بعد أن ضربها إعصاران عاتيان في

مطلع التسعينات من القرن الماضي. ومن ثمّ، عندما تعرضت الجزر لإعصار آخر مدمر عام ٢٠٠٤، كانت قد قطعت شوطا في مرحلة التأهب ولم تحدث أية خسائر في الأرواح. إلا أن ذلك لا ينفي حقيقة تكبد الدولة خسائر مادية تقدر بثلاثين مليون دولار أمريكي. ولكن الخسارة كانت ستتضاعف من ٥-٨ مرات ما لم تكن الدولة قد اتخذت إجراءات إدارة الأخطار اللازمة".

وأضافت: "وفي الدول النامية، تكون المعاناة من أثر الكوارث الطبيعية أشد وطأة، حيث أن أكثر من ٩٥% من إجمالي الخسائر في الأرواح الناجمة عن الكوارث تكون في الدول النامية، ويمكن أن يصل حجم الخسائر المادية التي تتكبدها هذه الدول إلى ٢٠ مرة ضعف ما تتكبده الدول الصناعية "كنسبة من إجمالي الناتج المحلي".

والجدير بالإشارة في هذا الصدد، أن البنك الدولي قام منذ عام ١٩٨٠ بتمويل أكثر من مائة وخمسين مشروعا لإعادة الإعمار في فترات ما بعد الكوارث، والتي تصل قيمتها إلى ١٤ مليار دولار أمريكي. وقد صرح رئيس البنك الدولي، أثناء عودته من جولة تفقد فيها الدول المتضررة من أمواج تسونامي، بأن البنك على استعداد لتوفير أكثر من مليار دولار، ربما مليار ونصف دولار، لمجهودات إعادة الإعمار طويلة الأجل بالدول المنكوبة.

واستمرت رئيس وحدة إدارة الأخطار بالبنك الدولي في حديثها قائلة: "لقد بدأت الوكالات والحكومات المانحة تدرك أن التأهب للكوارث والتكيف مع التغيرات المناخية لابد وأن يكون لهما الأولوية القصوى في مساعدات التنمية، ولا سيما في المناطق المنخفضة والأكثر عرضة لهذه الكوارث مثل جزر المحيط الهادئ". "إن مساعدات التنمية ليست بحاجة إلى مخاطبة الوقاية من الكوارث على نحو أفضل فحسب، وإنما هناك حاجة أيضا إلى حوافز أفضل لحفز الدول على الاستثمار في هذا المجال". "فالتنمية التي تفتقر إلى التخطيط السليم والجيد قد تحوّل الظواهر الطبيعية المتكررة إلى كوارث إنسانية واقتصادية"، "والسماح بكثافة سكانية في السهول المعرضة للانغمار بمياه الفيضان أو بوجود قوانين بناء رديئة في مناطق الزلازل من شأنه التسبب في كوارث وخسائر مماثلة تماما للظواهر الطبيعية".

ويساهم البنك الدولي في مساعدة الدول على تخفيف المعاناة الإنسانية والحد من الخسائر الاقتصادية التي تسببها الكوارث الطبيعية والتقنية، وذلك من خلال مساعدة الدول الفقيرة على الاستجابة على نحو أكثر فاعلية وكذا دمج سبل الوقاية من الكوارث وتخفيف آثارها في التنمية (موقع "البنك الدولي" ١٧ يناير ٢٠٠٥).

.....

وفي بادرة للبنك الدولي بتمويل بناء المناطق المتضررة من تسونامى، أعلن البنك أنه سيقدم ٦٦٠ مليون دولار إلى كل من إندونيسيا وسيريلانكا والمالديف تحت مظلة المرحلة الأولى من برنامجه الخاص بمساندة إعادة بناء المناطق التي تضررت من جراء كارثة تسونامى بحوض المحيط الهندي. وذكر البنك أن المساعدة الفنية لتلك الدول الثلاث التي طلبت العون من البنك يتوقع أن تتزايد بمضي الوقت، مضيفا أنه يتعاون مع كل حكومات الدول المتضررة وشركائه من المجتمع الداعم للتنمية لتسريع عملية إعادة البناء في تلك المناطق.

وصرح رئيس البنك الدولي بأن هناك العديد من التحديات التي يجب أن تواجه بوحدة الغرض، وهى تتضمن مسائل مثل إشراك الأفراد على مستوى المجتمع وإعادة التوطين والمساءلة الحسابية بشأن المبالغ الضخمة التي تدفقت للمساعدة (موقع "البنك الدولي: مركز الإعلام والمعلومات" ٢٠ فبراير ٢٠٠٥).

الديون الخارجية

بعد أيام قليلة من الكارثة، أجرى رئيس الوزراء الإيطالي اتصالات هاتفية مكثفة مع القيادات السياسية للاتحاد الأوروبي، بهدف النظر في إمكان تخفيض أو إلغاء الديون الخارجية لجميع البلدان المنكوبة.

وقد أعلنت واشنطن أنها تؤيد اتخاذ اجراءات لتخفيف ديون البلدان المنكوبة، وفي مقدمتها من حيث حجم الديون إندونيسيا (١٣٠,٨ مليار دولار من الديون) والهند (٨٢,٩ مليار) وتايلاند (٥٨,٢ مليار). من جهتها، اقترحت ألمانيا وفرنسا فترة سماح في تسديد ديون الدول التي تعاني من أكبر قدر من الدمار، وخصوصا إندونيسيا. ومن المحتمل بحث هذا الموضوع في ١٢ يناير خلال اجتماع نادي باريس، وهي الهيئة التي

تضم ١٩ دولة تمثل كبار الدائنين (موقع "الوطن: صوت عمان في العالم" ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

وفي لندن ذكرت صحيفة فاينانشيال تايمز أن بريطانيا التي تتولى رئاسة مجموعة الثماني والتي تضم الدول الصناعية الكبرى تسعى إلى التوصل إلى اتفاق داخل المجموعة قبل منتصف الشهر الحالي حول مسألة خفض ديون الدول الآسيوية المنكوبة ("الأهرام: العالم" ٤ يناير ٢٠٠٥). وفي برلين أعرب المستشار الألماني جيرهارد شرودر عن اعتقاده بأن مجموعة الدول الصناعيه السبع الكبرى ستتمكن من التوصل إلى اتفاق على برنامج لخفض ديون الدول المنكوبة. وأعلن أن حكومته أقرت في اجتماعها أمس تخصيص ٥٠٠ مليون يورو لمساعدة منكوبي زلزال آسيا.

وفي طوكيو قال وزير الخارجية الياباني أن بلاده مستعده لمنح الدول المتضررة إعفاءا موقتا من سداد الديون. وفي مدريد أكدت وزاره الاقتصاد الأسبانية أن أسبانيا تؤيد السماح للدول المنكوبة بتجميد سداد الديون المستحقة عليها بما في ذلك ٥١٣ مليون يورو تدين بها هذه الدول لها ("الأهرام: العالم" ٦ يناير ٢٠٠٥).

.....

وقد أيدت الدول الكبرى تجميد ديون الدول المتضررة من تسونامي بعد عدة أيام من الكارثة، حيث أعلنت الدول الصناعية السبع الكبرى عن اتفاق لتجميد فوائد ديون الدول التي تأثرت بكارثة المد البحري. وكشف وزير الخزانة البريطاني، حيث ترأس بريطانيا المجموعة، عن الاتفاق قبل اجتماع دول نادي باريس الدائنة في الثاني عشر من يناير/كانون الثاني. وقال إنه ينبغي ضمان أن تلك الدول لن تعاني لسداد تكاليف إعادة إعمار مادمره التسونامي بسبب اضطرارها لسداد ديونها الخارجية وفوائدها، لذلك فإن مجموعة الدول الصناعية السبع الكبرى قد تقترح تجميد سداد هذه الديون .

وسيقتصر الأمر على إلغاء فوائد الديون وليس إلغاء الديون نفسها، وهو ماسيوفر نحو خمسة مليارات دولار من فوائد الديون على هذه الدول. ويبلغ مجموع الديون على الدول التي تضررت من الكارثة نحو ٢٧٢ مليار دولار. وتبلغ ديون إندونيسيا، أكثر الدول التي تضررت، ٤٨ مليار دولار لدول نادي باريس ويجب عليها دفع ٤,١ مليار

دولار كفوائد وأقساط للديون خلال عام ٢٠٠٥. وقالت بريطانيا إنها ترغب في تجميد فوري للديون وتقترح إلغاء ديون سريلانكا، من بين دول أخرى، كاملة على سبيل المثال.

وقد قدمت دول العالم ما يزيد عن ٤ مليارات دولار فيما تعهدت منظمات خاصة وجمعيات غير حكومية وشركات بتقديم نحو مليار دولار. وأعلنت الكويت منذ أيام إنها ستقوم بإعادة جدولة ديون الدول التي تضررت من الكارثة البشرية (موقع "بي بي سي" ٨ يناير). ومن جانبه أكد رئيس وزراء لوكسمبورج الذي تتولى بلاده رئاسة الاتحاد الأوروبي حاليا أنه شخصيا يؤيد إعفاء الدول المنكوبة بشكل كامل من الديون ("الأهرام: العالم" ١٠ يناير).

.....

وبعد أسبوعين من الكارثة، اعتزم مسؤولو مالية الدول الأعضاء في نادي باريس للدول الدائنة، مناقشة مسألة تجميد ديون الدول المتضررة من كارثة تسونامي. وقال وزير المالية الفرنسي إن إندونيسيا وسيريلانكا وسيشلز هي الدول الثلاث التي يُرجح أن يقبل تجميد ديونها. وقد نال هذا الاقتراح بالفعل موافقة عدة دول بارزة في نادي باريس، لكن لم تحسم بعد مسألة الشروط المنظمة لأي صفقة.

ولا تُبدِ كل الدول استعدادها للقبول بتجميد ديونها، إما لأن مديونيتها منخفضة، أو لأنها قلقة بشأن تأثير ذلك على رصيد الائتمان الذي يتحكم في الديون التي يمكن أن تطلبها مستقبلا. ويقول المحللون إن تعليق ديون الدول من الممكن أن يؤدي إلى تقليل رصيد ائتمانها، مما يجعل أمر استدانة أموال في المستقبل مكلفا وصعبا للغاية. وقد نادت منظمات الإغاثة والجهات المساندة للدول المتضررة بإعفاء تلك الدول من ديونها تماما وليس تأجيلها فقط. وقال وزير المالية الفرنسي إن تايلاند واحدة من الدول التي أشارت إلى أنها تفضل الاستمرار في سداد ديونها. كما ذكرت الهند أنها ستعتمد على مصادرها الخاصة وليس على الإعانات الدولية. وفي تلك الأثناء، ناشدت إندونيسيا، وهي أكثر الدول تضررا من كارثة التسونامي، العالم بمد يد العون لها.

وتبلغ دفعات الديون المستحقة على الدول المتضررة من الكارثة والتي يتعين تسديدها لدول نادي باريس هذا العام نحو خمسة مليارات دولار. ويأتي هذا الاجتماع

بعد أن قال مسؤول الأمم المتحدة لتنسيق جهود الإغاثة لمتضرري زلزال الكارثة، إنه قد حصل بالفعل على تعهدات مؤكدة من الدول الدائنة بالتبرع بـ ٧١٧ مليون دولار حتى الآن (موقع "بي بي سي" ١٢ يناير).

.....

وكانت مجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع، التي يرأسها حاليا وزير المالية البريطاني، قد أيدت بالفعل تجميد ديون الدول المتضررة. وستعمل مع باقي أعضاء نادي باريس لمناقشة كيفية إنجاز الصفقة، وما إذا كان يتعين معاملة كل دولة مدينة متضررة على نحو منفرد بحسب احتياجاتها.

والفكرة هي أن حكومات الدول المعنية، ومن بينها إندونيسيا وسريلانكا، ستستخدم مصادرها المالية الخاصة للاستجابة للكارثة بدلا من اضطرارها إلى تسديد أقساط الديون. لكن محللين اقتصاديين حذروا من أن أي تخفيف للديون يجب أن يجري التخطيط له بعناية لتجنب خلق عبء أكبر على المدى الطويل. وكانت بعض جماعات الضغط التنموية، من بينها وكالَتي أوكسفام وأكشن إيد، قد طالبتا الدول الأعضاء في نادي باريس بشطب ديون الدول المتضررة كلية (موقع "بي بي سي" ١٢ يناير). ومن جانبه أعلن وزير تنسيق الشئون الاقتصادية في إندونيسيا، أن بلاده ليست في حاجة إلى تجميد طويل الأمد لديونها الخارجية، وأوضح أن جاكرتا حصلت على تأجيل لسداد أقساط ديونها لمدة ثلاثة أشهر ("الأهرام: العالم" ١٤ يناير).

التبرعات

بعد بضعة أيام من الكارثة، تعهد نادي مانشستر يونايتد وفريقه الأول بالتبرع بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه استرليني لصندوق كارثة تسونامي. هذا إضافة إلى مبلغ ٥٠ ألف جنيه استرليني أخرى يتبرع بها النادي كجزء من منحة مقدمة من جميع نوادي الدرجة الأولى العشرين. لكن مدير النادي ولاعبيه قرروا بذل المزيد. وكانت كارثة الزلزال المدمر قد قتلت نحو ١٢٥ ألف شخص حتى ذلك الوقت في منطقة المحيط الهندي وهو ما أثار استجابة كبيرة من قبل العامة بالإضافة إلى عالم الرياضة.

فقد قدم عالم الكريكيت، بفضل روابطه القوية بالمنطقة، جهود الإغاثة الخاصة به، كما حاول مجلس الكريكيت الدولي تنظيم مباراة لجمع التبرعات. كما تشارك الرياضات الأخرى أيضا في جهود الإغاثة. وقد أعلن مسؤولو التنس الاستراليين أنهم يعتزمون استخدام بطولة استراليا المفتوحة والمباريات التحضيرية للمساعدة في جمع الأموال. وستبدأ أيام جمع التبرعات بالتعاون مع منظمة اليونيسيف مع بداية كأس هوبمان مطلع الأسبوع في بيرث.

وقال رئيس اتحاد التنس في استراليا: "لقد تأثر لاعبو التنس الذين بدأوا في التوافد للمشاركة في بطولة استراليا المفتوحة بالحادث بشكل كبير". ويعتزم الزوجي السويدي جوناس بجوركمان والهندي ماهيش بوباثي التبرع بما يحصلون عليه من بطولة الهند المفتوحة المقررة الأسبوع القادم في مدراس، عاصمة ولاية تاميل نادو التي تعد من أكثر الولايات تأثرا بالكارثة، كما أنهم يحثون آخرين فعل نفس الشئ. وقال رئيس الاتحاد قبل موسم افتتاح الحدث الذي تصل قيمة جوائزه ٤٠٠ ألف دولار: "هذا أقل ما يمكن أن نفعله. أحاول أن أصل إلى اللاعبين الآخرين في مدراس لاقتفاء مثلنا الأعلى بطريقة يشعرون أنها مناسبة". وأضاف: "بمجرد أن يأتي الجميع إلى مدراس فإننا سنقرر كيفية التقدم في جمع التبرعات".

وخطط منظمو الحدث جمع الأموال بعرض مواد عليها توقيع لاعبين مثل ماريا شارابوفا وفينوس وليامز ويورن بورج، بينما ستتبرع رابطة التنس الدولية للاعبين المحترفين ATP بمبلغ ٢٥ ألف دولار. وتعد السويد موطن اللاعب يورن من بين الدول الأوربية التي تعاني من أكبر عدد وفيات في كارثة تسونامي مع احتمال أن يكون الرقم قد وصل إلى ألف شخص.

ومن تفاصيل بعض الجهود الرياضية خلال بضعة أيام بعد الكارثة:

. شاركت نوادي الدرجة الأولى في التبرعات التي بلغت مليون جنيه استرليني لصندوق الزلازل الآسيوي بتعهد كل ناد من النوادي العشرين بالتبرع بمبلغ ٥٠ ألف جنيه استرليني. وقال الرئيس التنفيذي لنوادي الدرجة الأولى في بريطانيا: "أعتقد أن الجميع فوجئوا بالفداحة الكبيرة للأحداث بعد زلزال المحيط الهندي".

- بدأ ناديا كرة القدم الانجليزية وولفز وديربي أيضا في جمع تبرعات. وقال رئيس نادي وولفز: "قد تؤثر الكوارث الطبيعية مثل هذه في أي منا في أي وقت وفي أي مكان في العالم".
- سلمت نجمة التنس ماريا شارابوفا ١٠ آلاف دولار إلى رئيس وزراء تايلاند بينما كانت في بانكوك لمباراة استعراضية. وقالت اللاعبة الروسية البالغة من العمر ١٧ عاما: "الحياة متقلبة، وعلينا أن نعيش كل ثانية فيها، لا نعرف ما سيحدث".
- تبرع لاعبو الكريكيت الإنجليز بمبلغ ١٥ ألف جنيه استرليني، بينما يأمل المعجبون جمع ٢٠ ألف جنيه أخرى، وتعهد اتحاد الكريكيت للمحترفين بالتبرع بـ ٥ آلاف جنيه استرليني.
- في استراليا، والتي تأكد فيها وفاة ١٠ أشخاص، تبرع نادي تست Test للكريكيت بمكافأته بعد فوزه على باكستان.
- في الصين، شيدت اللجنة، المنتظر تنظيمها لدورة الألعاب الأولمبية لعام ٢٠٠٨، مواقع تبرع في مختلف أنحاء بكين، وقامت تلك المواقع بجمع ٢٩٠٠ دولار في ٣٠ دقيقة، حسبما أوردت الصحف المحلية (موقع "بي ي سي" ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤).

.....

في نفس الوقت، لبى البريطانيون في لندن نداء جمع التبرعات لمنكوبي جنوب آسيا، بجمع ٥٠ مليون جنيه استرليني في زمن قياسي، حتى إنه كان يتم جمع مليون جنيه استرليني خلال الساعة الواحدة ("الأهرام: العالم" ٢ يناير ٢٠٠٥).

.....

وقد تبرعت النجمة الأمريكية الشهيرة ساندرا بولوك بمبلغ مليون دولار للاسهام في أعمال الإغاثة التي يقدمها الصليب الأحمر الأمريكي لضحايا كارثة المد البحري بجنوب شرق آسيا. ساندرا كانت قد تبرعت أيضا بمليون دولار للمنظمات والمؤسسات الخيرية بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ("الأهرام: ثقافة وفنون" ٥ يناير).

.....

كما تبرع بطل العالم لسباق الفورميلا واحد لسبع مرات، مايكل شوماخر، بمبلغ عشرة ملايين دولار لصالح ضحايا كارثة تسونامي، التي اجتاحت ١١ دولة مطلة على

المحيط الهندي وأودت بحياه مئات الآلاف من الضحايا ("الأهرام: ثقافة وفنون" ٦ يناير).

.....

وخلال رحلة عمل في مصر، نوّه بيل جيتس، أن شركة ميكروسوفت قدمت نحو ثلاثة ونصف مليون دولار لمساعدة عمليات إنقاذ ضحايا تسونامي، كما توجه عدد كبير من موظفي الشركة إلى البلدان المنكوبة لإقامة مواقع اليكترونية لجذب ومساعدة المفقودين واستخدام موارد الإغاثة ومساعدة متطوعي الإنقاذ للتوجه للأماكن المطلوبة وتنظيم إمكاناتهم. وتم تقديم تلك المساعدات إلى إندونيسيا وسيريلانكا والهند وتايلاند ("الأهرام: الصفحة الأولى" ١ فبراير).

.....

وقد عزم الاتحاد الدولي لكرة القدم ببرشلونة إجراء مباراة خيرية لجمع تبرعات لضحايا أمواج المد البحري، في منتصف شهر فبراير، وطرفا هذه المباراة، التى أطلق عليها الفيفا "كرة القدم من أجل الأمل"، فريقان، يقود الأول الأوكراني شفشينكو أفضل لاعب في أوروبا، ويقود الثاني البرازيلي رونالدينيهو أفضل لاعب في العالم العام الماضي. وقد اختار الاتحاد الدولي لكرة القدم لإدارة هذه المباراة الحكَم الإيطالي المعروف بيرولويجى كولينا بالإضافة إلى المساعدين محمد سعيد من جزر المالديف وجاسون جوزيف من سيشل بسبب تضرر بلديهما في الكارثة (موقع "كوورا.كوم" ١ فبراير).

.....

وفي الهند، نجوم السينما الهندية يشاركون في جمع التبرعات لضحايا تسونامي، حيث شاركت ملكة جمال العالم السابقة والنجمة الهندية اشوريا راي في حفل فني كبير أقيم بمدينة بومباي يخصص دخله لضحايا تسونامي. وقد نظم الحفل نقابة المنتجين التليفزيونيين والسينمائيين بالتعاون مع نجوم وصناع السينما الهندية لجمع التبرعات لضحايا الكارثة ("الأهرام" ٨ فبراير).

.....

وقد أعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم أن أكثر من ٥٠ لاعبا من نجوم العالم، سيشاركون في مباراة تضامنية مع ضحايا تسونامي، وتقام بعد أيام بين رونالدينيو وشفشنكو على ملعب نوكامب في مدينة برشلونة بأسبانيا (موقع "سبورت x سبورت" ١٤ فبراير).

التعاطف الإنساني

في هوليوود، جمع بعض المشاهير التبرعات لضحايا كارثة تسونامي. حيث أقيم في منتصف يناير بمدينة نيويورك حفل موسيقي خيري لصالح ضحايا المد البحري بآسيا، وقد تم إحياء الحفل وبثه على الهواء مباشرة من قناة "إن.بي.سي" وكان يحمل اسم "معاونة تسونامي". وحضر الحفل مجموعة من نجوم الغناء منهم نورا جونز وجلوريا استيفان، وشارك فيه أيضا النجمة درو بيريمور والنجم براد بيت، على أن تؤول إيرادات الحفل إلى الصليب الأحمر الأمريكي لإرسالها للضحايا ("الأهرام" ثقافة وفنون" ١٧ يناير).

.....

وفي بريطانيا، احتشد كبار نجوم الموسيقى في استاد ويلز للمساعدة في جمع تبرعات لضحايا تسونامي، في أكبر حفل موسيقي بريطاني خيري منذ الحفل الذي أقيم قبل ٢٠ عاما لجمع مساعدات لأفريقيا. وقد حضر الحفل أكثر من ٦٠ ألف متفرج في استاد الألفية في كارديف. وقال توم تشابلن المغني الرئيسي في فرقة موسيقى الروك البريطانية "كين" "إن الموسيقى هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن نستخدمه لنساعد المنكوبين" ("الأهرام" ٢٤ فبراير).

إعادة الإعمار

بعد بضعة أيام من الكارثة، أكد الأمين العام للأمم المتحدة أن عملية الإغاثة في كارثة تسونامي بجنوب آسيا، هي أكبر عملية واجهتها الأمم المتحدة. وقال إن هذه العملية ستتطلب مليارات الدولارات، موضحا أن الأضرار هائلة وتتطلب عملا كبيرا بعد انتهاء مرحلة الطوارئ ("الأهرام: العالم" ٣ يناير). كما اتفق وزراء الخارجية والصحة والتنمية

بالدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، خلال اجتماع طارئ في بروكسل في أوائل يناير ٢٠٠٥م، على ضرورة العمل من أجل توفير آلية دولية لتقديم جهود سريعة ومنظمة لإعادة الإعمار خاصة في الدول المتضررة من موجات المد البحري في اسيا. وقد أعلن مسؤول بوزارة الخزانة في إندونيسيا أن المبلغ المطلوب لإعادة إعمار المناطق المنكوبة في إقليم آتشيه خلال فترة خمس سنوات سيتجاوز ٢,١ مليار دولار ("الأهرام: العالم" ٨ يناير).

.....

وقد توقعت الأمم المتحدة في اجتماع بشأن إعادة إعمار المناطق المتضررة من كارثة تسونامي أن تستمر عملية الإعمار حوالي عشر سنوات قادمة. وقدرت منسقة الأمم المتحدة بشأن الكارثة تكلفة إعادة إعمار أربعة بلدان تضررت من الكارثة وهي إندونيسيا وسريلانكا والهند وجزر المالديف بما بين ١٢ مليار دولار و١٥ مليار دولار. ومن جانبه قال الممثل الخاص للاتحاد الدولي للصليب الأحمر إن الأولوية الكبرى تتمثل في مساعدة السكان الذين خسروا كل شيء ولا يزالون يعيشون في مراكز مؤقتة ومساعدتهم على استئناف حياتهم. وأضاف أن إندونيسيا وسريلانكا اللتين قتل فيهما أكثر من ٢٣٧ ألفا و٣١ ألفا على التوالي ستحظيان بالأولوية لدى الاتحاد الدولي، مؤكدا أن شركات محاسبة عالمية ستشرف على مراقبة الإنفاق.

وأفادت مصادر بالمنتدى أنه تم حتى الآن استخدام حوالي ١٥٠ مليون دولار من أصل ١,٧ مليار جمعت بعد الكارثة، وسيتم التركيز على بناء المدارس والمنازل والبنية التحتية حيث من المتوقع أن يُبنى في بلد كسريلانكا ما بين ١٥ ألف منزل إلى ١٠٠ ألف. وكانت الكارثة التي ضربت دول جنوب وجنوب شرق آسيا في ٢٦ ديسمبر/كانون الأول الماضي تسببت في مقتل أو فقد ما يزيد عن ٢٩٠ ألف شخص في حين ما زال مئات الآلاف دون مأوى (موقع "الجزيرة" ٣ مارس).

بداية تجاوز الأزمة

عرفت مدينة باندا آتشه لأول مرة طعم الفرح بعد مضي أكثر من شهر على وقوع كارثة تسونامي، التي أودت بحياة ٣٠٠ ألف شخص. فقد قرر عروسان شابان

استئناف حفل زواجهما الذي منعت الأمواج القاتلة إقامته. وحضر الحفل ٥٠٠ ضيف من أقارب وأصدقاء العروسين، ما اعتبر إشارة إلى أن المدينة التي قدمت أكبر عدد من الضحايا بمنطقة جنوب وجنوب شرق آسيا بدأت تتعافى من صدمتها. وكان من المقرر أن يعقد سوكمادي "٣٥ عاما" قرانه على نور حياتي "٢٥ عاما" في جامع باندا آتشه الكبير في نفس يوم وقوع الزلزال المدمر (شكل ٢٩)، غير أن أمواج تسونامي حالت دون اكتمال فرحة الزواج وحولت حلم العروسين الشابين المفعمين بالأمل إلى كابوس تفوح منه رائحة الموت والدمار.

وعن ذلك اليوم المشؤوم قالت نور حياتي إنها كانت متوجهة في سيارة العرس إلى الجامع الكبير لعقد القران، وفجأة سمعت سكان المدينة يصرخون "المياه قادمة، المياه قادمة!". ولم تنتبه نور حياتي التي كان عقد القران يشغل كل تفكيرها، للتحذيرات، لكن السائق غير مساره مستسلما لتحذيرات الهاربين.

العريس سوكمادي كان يتهيأ للذهاب إلى الجامع الكبير عندما تزلزل قاع المحيط الهندي، ولم يذهب للقاء عروسه في الخارج ممتثلا لتحذيرات أقاربه من الأمواج القادمة. وبالرغم من أن العروسين بقيا مع أقاربهما بعد وقوع الكارثة، فإن كلا منهما كان يطمئن على الآخر باستمرار، وقررا عقد قرانهما في ٢٧ يناير في نفس الجامع الذي صمد بوجه الطوفان على أن يتم حفل الزفاف في نفس اليوم.

وبالرغم من أن مظاهر البهجة المعهودة في الأعراس الإندونيسية غابت عن عرس سوكمادي ونور حياتي، فإن معالم الزينة والأطباق التقليدية المصنوعة من اللحم والدجاج بالكاري والحلويات المحلية لم تغب عن العرس. الغائب الوحيد عن الحفلة كان طبق السمك بالكاري، لأن السكان المحليين عزفوا عن تناوله، معتقدين أن الأسماك أكلت جثث قتلى أمواج تسونامي في البحر.

الموسيقى والغناء، غابت هي الأخرى عن عرس الشابين، احتراما لمشاعر أهالي الجزيرة المنكوبة الذين ما زالوا يبحثون عن أعزاء لهم فقدوا في الطوفان. غير أن الجو العام كان احتفاليا، فالأطفال كانوا يلعبون والكبار انشغلوا بالحديث عن هموم الحياة والعلاقات الأسرية وكيف قدر لهذين الشابين أن يقترنا برباط الزواج المقدس.

سوكمادي أعرب عن سعادته لحضور مئات الضيوف حفل زفافه، موضحا أن هذا الحشد يؤكد للجميع أن أهالي آتشه قرروا نبذ أحزانهم والعودة إلى ممارسة حياتهم الطبيعية. وقال إن آتشه خسرت ٢٢٠ ألفا من أبنائها بين قتيل ومفقود في الطوفان، لذلك يجب أن تستمر الحياة ويتزوج الشباب من أجل أن يقدموا للمدينة المنكوبة جيلا جديدا من الأبناء يعمل على النهوض بها من جديد (موقع "الجزيرة" ٣٠ يناير ٢٠٠٥).

.....

وبعد عدة أسابيع من أحداث تسونامي، كشفت تأثيرات المد البحري الهائل عن بقايا امبراطورية قديمة جنوب الهند ظلت تحت الرمال لعدة قرون، وذلك بعد أن جرفت الأمواج كميات هائلة من الرمال ("الأهرام: الصفحة الأولى" ١٤ فبراير). فقد كشفت موجات المد البحري العاتية التى اجتاحت جنوب آسيا عن بقايا مدينة قديمة خارج ساحل تاميل نادو في جنوبي الهند بقيت مطمورة تحت الرمال على مدى عدة قرون قبل أن تتسبب الأمواج في سحب هذه الكميات الهائلة من الرمال إلى البحر.

وقالت تقارير أن فريقا من مدرسة الآثار الهندية توجه إلى ميناء "مهباليبورام" القديم الواقع على مسافة ٧٠ كيلومترا جنوب "مدراس" والمعروف بمنحوتاته الحجرية التي تعود إلى عهد سلالة "بالافا"، وقال رئيس بعثة الآثار في المنطقة أن البحر "كشف عن عظمة سلاسة بالافا. هذه الآثار كانت مطمورة منذ قرون. إنه اكتشاف مثير جدا". وكانت سلالة بالافا الهندوسية حكمت جنوب الهند من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثامن بعد الميلاد، وتعتبر "مهباليبورام" من أهم مواقع التراث الهندي من حيث الفن المعماري والنحت.

ومن بين الآثار التى كشفت عنها الكارثة أسدان رائعان من الجرانيت يبلغ ارتفاعهما متران وتمثال برونزي لبوذا إضافة إلى بقايا منزل حجري وفيل منحوت في الصخر لم يتم انجازه كاملا (شكل ٣١). ويعتقد علماء الآثار الهنود أن الأسدان كانا يحرسان ميناءا صغيرا ربما طُمر تحت الماء قبل قرون. ومنذ إبريل/نيسان ٢٠٠٢، يعمل علماء الآثار الملاحيون بالتعاون مع الغواصين من دلهي وفريق من إنجلترا، للبحث عن أي بقايا لهذا الميناء القديم (موقع "عرب ٤٨" ١٥ فبراير ٢٠٠٥).

الفصل الخامس: تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ والفكر الإنساني

. كبار الكُتّاب

. كتابات أجنبية

. انفعالات العامة

. معايشة صحفية

. رؤى فنية

الفصل الخامس

تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ والفكر الإنساني

كانت رجة الأرض الهائلة التي زلزلت قاع المحيط، وطفحت بالأمواج الطوفانية الكاسحة إلى اليابسة، في ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤، وتداعياتها على البشر والطبيعة، محور اهتمام العديد من المفكرين وكبار الكتاب وأعضاء البعثات الصحفية في مختلف أنحاء العالم عقب حدوثها. ويُلقى الضوء هنا على انفعال عدد من كبار الكتاب العرب والأجانب بعد الكارثة، متضمنة رؤيتهم الفكرية لأبعاد الأحداث، ونظرة بعض البعثات الصحفية العربية خلال الواقع اليومي المعايَش في قلب تلك الأحداث.

كبار الكُتّاب

في موقع "المعرفة" ٣ يناير: التاريخ يعيد نفسه! للدكتور وحيد مفضل. فمثلما أبى عام ٢٠٠٣ أن ينتهي بسلام حين زلزلت، في ٢٦ ديسمبر منه، مدينة بم الإيرانية مخلفة ما يقرب من ٣٠ ألف قتيل و١٠٠ ألف مشرد، أبى كذلك عام ٢٠٠٤ أن يختم أحداثه بأمان، فتزلزل المحيط في ذات التاريخ، لكن بإيقاع أشد وبتداعيات أسرع وأقسى، تزلزل قاع المحيط قبالة جزيرة سومطرة، ليتولد منه طوفان كبير أتى في لحظات على مدن وقرى كاملة، مخلفا بذلك مأساة إنسانية رهيبة وكارثة مروعة يصعب أن تُمحى من الذاكرة ويندر أن يشهد مثلها التاريخ.

كانت الصورة بحق مَهيبة، موجات مد زلزالي أو تسونامي متتابعة طغت فجأة على مناطق شاسعة مأهولة بكل أشكال الحياة لتغمرها في لحظات محيلة إياها إلى بحر هادر، ليس قوامه الماء أو الكائنات البحرية كما هو معتاد، بل أشلاء ضحايا وحطام بيوت وأطلال مدن وقرى بائدة. أما أكثر المشاهد مأساوية فكان مشهد انتزاع موجات المد للرضع والأطفال من صدور الأمهات وأحضان الآباء، ومشهد سلب الأمواج لكل ما هو نفيس ورخيص أمام أعين الأشهاد. وعلى هذا النحو عم الدمار وحل الخراب بجنوب

آسيا، كما تحولت المأساة إلى كارثة عالمية، نتيجة امتداد آثار الطوفان لسواحل أكثر من ١٢ دولة غير إندونيسيا، ونتيجة أيضا لهلاك حوالي ٤٥٠٠ سائح أجنبي قدموا للمنطقة من ١٤ دولة غير آسيوية، ليلقوا حتفهم إثر ذلك الطوفان الرهيب.

وتعجز في الحقيقة كل الكلمات والتشبيهات عن وصف حجم المأساة أو حصر تداعياتها، فقد كانت موجات المد الناتجة من زلزال سومطرة تتسابق على ما يبدو مع نفسها لابتلاع كل ما خف وزنه وما ثقل. كما كانت عقارب الساعة تتصارع أيضا مع بعضها لتحصد كل ثانية فيها آلاف الضحايا، في حين كانت دموع أهالي الضحايا والمتأثرين بالكارثة تتساقط متتابعة لتكون طوفانا آخر، وإن خلا هذه المرة من أي دمار سوى دمار النفوس والذكريات. ربما تستطيع لغة الأرقام أن تبين هول وفداحة الكارثة، فقد اختفت مئات القرى والمدن في كل من إندونيسيا والهند وسريلانكا بما فيها من سكان ودواب. وبعد أقل من خمسة أيام على بداية المأساة بلغ عدد الضحايا أكثر من ١٢٥ ألف قتيل. غير أن عدد المشردين كان بالملايين، وكانت إندونيسيا بخاصة في إقليم آتشيه أكثر الدول تضررا، تلتها سريلانكا ثم الهند ثم تايلاند.

أما الخسائر الاقتصادية فلا تقف عند حد ككلفة إعادة بناء المدن والقرى البائدة أو إصلاح المرافق المتضررة أو تعويضات الناجين، بل يمتد الأمر إلى جوانب أخرى ليس أقلها تباطؤ النمو الاقتصادي في الدول المنكوبة وتقلص بعض الأنشطة الاقتصادية مثل السياحة والصيد بسبب الأضرار الناتجة، هذا فضلا عن فقد آلاف الوظائف التي كانت تكفي لإعالة وتوفير مورد رزق لعشرات الألوف من أبناء المنطقة.

بيد أن الأمر لا ينطوي على خسائر بشرية واقتصادية فقط، ففي الخلفية تداعيات أخرى صحية وبيئية، بل وجغرافية لم تكن أبدا منظورة أو متوقعة. فمن الناحية الصحية تنتظر المناطق المنكوبة طوفانا آخر لكنه هذه المرة من الأوبئة والأمراض نتيجة تعفن الجثث وتلوث مياه الشرب وانخفاض مستوى النظافة ونقص وسائل التدفئة.

ومن واقع حجم الخسائر وبلاغة التداعيات يمكن تصنيف تسونامي سومطرة بأنه واحد من أقسى الكوارث الطبيعية التي ألمّت بالبشرية. أما الأكثر قسوة فهو احتمال تعرض المنطقة لمزيد من تلك الموجات. وعلى هذا النحو يختلط الهلع والفزع وغموض

المستقبل بمشاعر الحزن والأسى والنحيب على كل ما هو مفقود، تماما كأننا في يوم قيامة صغير!

إن آثار كارثة زلزال سومطرة وتداعياته لم تتضح بالكامل بعد، وهو مثال لما يمكن أن يلمّ بأي أرض جراء أي ثورة أو غضبة أخرى مفاجئة. لذا فإنه يجب أن نخرج من تلك الكارثة ببعض العبر والدروس، فيجب مثلا أن تتوحد جهود العالم من أجل بناء البشرية وليس من أجل تفتيتها، يجب أن ننأى عن الحروب والنزاعات لأن بؤساء العالم ليسوا بحاجة الآن لمزيد من الشقاء. إن مبادرة الولايات المتحدة بإنشاء ائتلاف دولي من أجل التخفيف من آثار الكارثة، وإلى إقامة نظام إنذار مبكر يعصم شعوب العالم من شرور موجات المد الزلزالي، إلى جانب تبرعات دول العالم ومساعدتهم فنيا ولوجستيا للمناطق المنكوبة وتكاتفهم في هذه المحنة، هو مثال لما يجب أن يكون عليه العالم دائما وأبدا. ومفهوم "العولمة" يجب ألا يقتصر تطبيقه على الاقتصاد والتجارة العالمية فقط، بل أيضا على مواجهة شطحات قوى الطبيعة، فالكوارث ليس لها حدود ولا تعترف بجنس أو لون. تلك هي قوانين الطبيعة، وهي ليست في الحقيقة إلا صورة مصغرة من قانون الخالق الأعظم، فيها جبروت وسطوة مثل ما فيها عدل وحكمة. وفي هذا عبرة لمن يعتبر.

.....

وفي موقع "الأهرام: أعمدة" ٤ يناير: تفسير ديني! للأستاذ نبيل عمر. يبدو أن البشر في مواجهة كوارث الطبيعة الرهيبة من نوع تسونامي يقفون عاجزين تماما عن فهم الأسباب والعلل والدوافع، فيلجأون إلى التفسير الديني، وإن ماحدث من زلزال رهيب حرك طوفانا من مياه المحيط أشبه بطوفان نوح ليضرب دولا وجزرا ويسوي بعضها بالأرض هو غضب من السماء على أفعال وسلوكيات وتصرفات تناست الخالق العظيم، فعاقب أصحابها بما لايستطيعون دفعه أو صده اوالهروب منه!

وهذا النوع من التفسير قديم قدم الإنسان على الأرض في بحثه الدءوب عن معنى الحياة والموت والصراع الذي لم يتوقف لحظة بين الكائنات بعضها البعض أو بين الكائنات والطبيعة، فالإيمان بالله هو الجسر الذي عبر الإنسان عليه من بحار القلق والفزع والغموض إلى ضفاف الاطمئنان والصبر وراحة البال.

وقد سمعت تفسيرات وتأويلات وشروحا في بلادنا عن زلزال آسيا الرهيب، من أطباء ومهندسين وصحفيين وأساتذة جامعات وباحثين ومدرسين وعمال وسائقي حافلات وفلاحين وعاطلين وربات بيوت، كلها تدور في فلك واحد، بل وردت بعض العبارات بالنص على مختلف الألسنة كما لو أن قائلها أو مصدرها عقل واحد، وهو أن الزلزال ضرب الدول التي لاتؤمن بالله وفيها ديانات بشرية وتكاد تكون أقرب إلى الوثنية، عقابا من الله على غفلتهم وكفرهم، وحين قلت للبعض من المتعلمين إن إندونيسيا هي أكبر دولة مسلمة، ومركز الزلزال كان من سومطرة أكبر جزيرة فيها، وهدم ودمر وأزال ثلاثة أرباعها من الوجود كما لو أن قنبلة ذرية ضربتها، قالوا إن الزلزال أيضا ضرب دولا لها سمعة عالمية في قلة الأدب وفيها منتجعات للجنس وللدعارة!

ووجدت أن التفسير الديني، أو بالأصح التفسير الجنسي للزلزال، هو المسيطر على أغلب العقول، وأن عقاب السماء كان ضرورة لهذا الانفلات الإباحي السائد، والرذيلة التي استشرت وراج سوقها إلى حد منافسة سوق الكيف!

هذا التفسير، بالرغم من واجهته، إلا إنه تفسير شرقي بحت، حيث يعتبر الجنس هو أصل الأخلاق جميعها، ولاشئ يعلو على شرف الأعضاء التناسلية للإنسان، مع أن الاخلاق والقيم لاتتجزأ، فإتقان العمل والالتزام بأداء الواجب وحماية المال العام وتجنب المكسب الحرام والتربح من الوظيفة والبعد عن استغلال النفوذ والصدق مع النفس وقول الحق وعدم السكوت عن الباطل، وكراهية النفاق والزلفى، والابتعاد عن سلوك العبيد، والحفاظ على الكرامة، واحترام الآخر وحقوقه، والتسامح، والتواضع والمحبة للناس، والحرص على عدم الايذاء لاتقل بأي حال من الأحوال عن الفضيلة الجنسية. وبهذا المعيار أتصور أن العرب، هم أحق البشر بغضب السماء، لأن ابتعادهم عن هذه الفضائل الأساسية واضح وجلي وقد يكون متعمدا مع سبق الاصرار والترصد.

.....

وفي "الأهرام: الكتاب" ٥ يناير: عالم مابعد التسونامي للكاتب اللبناني الأستاذ محمد السماك. كان للانفجار البركاني الكبير في خليج سومطرة الذي أغرقت الأمواج العاتية التي أطلقها مدن سواحل إندونيسيا وسريلانكا والهند وتايلاند، ووصلت شمالا حتى بنجلاديش، وشرقا حتى الصومال مرورا بجزر المالديف. كان لهذا الانفجار نتائج

سياسية على درجة كبيرة من الاهمية. فقد اجتاحت أمواج التسونامي معسكرات ومواقع حركة التاميل الانفصالية في سريلانكا. كما اجتاحت قرى وبلدات بوذية وهندوسية متصارعة. وبعد أن انحسرت هذه الأمواج بدا وكأنها جرفت معها الحرب الأهلية التي أسفرت في العقد الماضي وحده عن خسائر بشرية أكثر من الخسائر التي منيت بها سريلانكا مؤخرا. ويبدو الآن أن المصالحة الوطنية باتت قاب قوسين أو أدنى.

وفي إندونيسيا فإن إقليم آتشيه في شمال غرب سومطرة كان الأكثر تضررا، إذ أن مركز الزلازل كان الأقرب إليه. وقد أعادت أمواج تسونامي التي اجتاحت هذا الإقليم إلى الأذهان صورة هيروشيما بعد قصفها بالقنبلة النووية الأمريكية.

أدت هذه الفاجعة الإنسانية إلى أمرين أساسيين: الأمر الأول انكفاء الحركة الانفصالية في الأقاليم والتي كانت نشطت بعد انفصال تيمور الشرقية وإعلانها دولة مستقلة عن إندونيسيا، والأمر الثاني هو مبادرة الحكومة المركزية إلى مساعدة المنكوبين متجاوزة التوترات التي تسببت بها سنوات طويلة من التمرد المسلح.

فعلى الرغم من أن سكان الإقليم، خلافا لسكان تيمور الشرقية، جميعهم من المسلمين، فإن حركتهم الانفصالية قامت على أساس الشعور بالحرمان من ثروتهم النفطية، مما يضطرهم إلى العيش على الصيد البحري والزراعة والهجرة إلى جارتهم ماليزيا.

ولعل أهم المساعدات الخارجية التي تلقتها إندونيسيا جاءت من استراليا، الدولة البحرية المجاورة التي سقط لها في بالي الإندونيسية حوالي المائة ضحية في عمل إرهابي قام به إرهابيون ؟. ومنذ ذلك الوقت أصبح الإندونيسي زائرا غير مرغوب به في استراليا. بل إن الحكومة الاسترالية ذهبت إلى حد التهديد على لسان رئيس حكومتها جون هوارد بأنها مضطرة للذهاب حتى إلى داخل الدول المجاورة لها لمنع وصول الإرهابيين إليها، وبرغم أن هذا التهديد أقلق عدة دول آسيوية على سيادتها الوطنية، إلا أنه كان يستهدف إندونيسيا في الدرجة الأولى، الأمر الذي أدى إلى تدهور غير مسبوق في العلاقات بين الدولتين.

ومن الواضح الآن أن الكارثة الأخيرة طوت تلك الصفحات، بما فيها صفحة تورط استراليا في دعم وتشجيع حركة الانفصال في تيمور الشرقية، وفتحت صفحة جديدة لابد أن تنعكس بصورة إيجابية على العلاقات بين كافة دول جنوب شرق آسيا.

على أن السؤال الأهم الذي يفرض نفسه الآن هو: هل يكون للكارثة الإنسانية الرهيبة التي عصفت بالدول الآسيوية دور في تصحيح مسيرة الحرب ضد الإرهاب؟

لقد قضت أمواج تسونامي على عشرات الآلاف من الاشخاص وابتلعت الآلاف من الآسيويين والغربيين، ثم إن المساعدات التي تدفقت على الدول المنكوبة جاءت من مختلف أنحاء العالم، ومن حكومات وموسسات أهلية، حتى إن جنود الأسطول الأمريكي السابع في المحيط الهادئ من اليابان حتى الخليج العربي لم يكونوا موضع ترحيب كما هو في إندونيسيا، حيث يقومون بأعمال إنسانية هي موضع تقدير وامتنان.

إن النكبة التي لم تميز بين دين وآخر، وبين ثقافة وأخرى، والمشاعر الإنسانية الإنقاذية التي لم تقف عند حدود التباينات الحضارية والمسافات الجغرافية أسقطت شعارات تصنيف العالم إلى معسكرين شر وخير. لقد كانت هذه الشعارات تعبيرا عن الزلزال الإرهابي الذي ضرب الولايات المتحدة في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، والذي أطلق موجات من التسونامي العسكرية والسياسية اجتاحت القيم الإنسانية والقوانين الدولية التي توافقت عليها المجتمعات الانسانية بعد كفاح طويل ومرير. إلا أن مايجري اليوم في آسيا من معاناة ومن تعاون إنقاذي لا سابق لأي منهما في التاريخ المعاصر، يعيد رسم صورة للعالم على أساس وحدة العائلة الإنسانية، ووحدة مصير هذه العائلة في قرية كونية واحدة. فالكارثة الرهيبة التي حلت بآسيا هي من الضخامة بحيث أنها لابد أن تعيد صناعة التاريخ. ليس سلبيا فقط. وإنما إيجابيا أيضا. وفي ذلك تعويض للضحايا ومواساة للمنكوبين.

.....

وفي "الأهرام: الكتاب: أوراق ثقافية" ٦ يناير: من الفهم المتبادل إلى التعاطف الإنساني للأستاذ السيد يسين. في إطار تحليلاتنا الممتدة عن حوار الثقافات، أكدنا مرارا أن أحد أهدافه الأساسية هو الفهم المتبادل للثقافات الإنسانية المعاصرة. وهذا الفهم المتبادل يمكن الوصول إليه من خلال آليتين أساسيتين، ممارسة النقد الذاتي التي يقوم بها ممثلو الثقافات المختلفة في حوارهم الثنائي أو الجماعي وتفكيك خطاب الآخر، ليس من خلال الرفض الساذج أو الشجب الغوغائي، ولكن باستخدام نظريات ومناهج علم

اجتماع المعرفة والذي يربط بين المعرفة والأبنية الاجتماعية بكل انساقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد أضافت أساليب تحليل الخطاب التي ازدهرت في العقود القليلة الماضية زادا منهجيا جديدا، لأنه عن طريقها يمكن الكشف عن الطرق المراوغة التي تسلكها الأيديولوجيات المختلفة وخاصة الرجعية منها لكي تصبغ الخطابات بمسحة علمية مزعومة أو بطابع سياسي تقدمي. وهكذا يمكن القول أن الغاية القصوى من أي حوار للثقافات هو تحقيق الفهم المتبادل الذي من شانه أن يلغي الصور النمطية الثابتة عن شعوب العالم ويمحو الأوصاف التقليدية المتوارثة عن ثقافات الغير.

ومما لاشك فيه أن حوار الثقافات اشتدت الحاجة إليه خصوصا في العقود الأخيرة بعد ذيوع نظرية صراع الحضارات التي صاغها عالم السياسة الأمريكي صمويل هنتنجتون. ومما يعطي بصيصا من الأمل سيادة الاتجاهات التقدمية التي تؤمن بوحدة المصير الإنساني، بالنسبة للاتجاهات الرجعية التي تنظر للعنف والصراع، وتقدم بذلك خدمة إيديولوجية صريحة للولايات المتحدة الامريكية، التي تحولت إلى إمبراطورية كونية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. ويكشف عن كل ذلك الانتقادات العنيفة التي وجهت لنظرية صراع الحضارات من داخل الدوائر الأمريكية والغربية الثقافية ومن داخل الدوائر الثقافية في بلاد العالم الثالث.

وقد زاد من بروز الجبهة العالمية للحوار ضد معسكر الصراع، الخطاب التاريخي الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة الرئيس محمد خاتمي، والذي لقي الإجماع الكامل من كل اعضاء الجمعية العامة، والذي دعا فيه إلى ممارسة حوار الثقافات على الصعيد العالمي. واستجابت الأمم المتحدة وقررت أن يكون عام ٢٠٠١ هو عام حوار الثقافات. وتطبيقا لذلك نظمت هيئة اليونسكو مؤتمرا دوليا عن حوار الحضارات عقد في ليتوانيا، وأتيح لي بناء على دعوة رسمية أن أقدم بحثا عن مفاهيم الثقافة والحضارة في القرن الحادي والعشرين.

كان العالم قد نشط بالفعل في مجال حوار الثقافات على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي، ودارت حوارات شتى سعيا للوصول إلى الفهم المتبادل كما أسلفنا، غير أنه وعمليات الحوار الكثيفة تجري في أنهار شتي، إذا بالعالم يروّع بأحداث الزلازل المريعة

التي ضربت بلادا آسيوية عديدة أدت إلى فيضانات غير مسبوقة، حيث اندفعت الأمواج الكاسحة من أعماق المحيطات لتحطم كل شي في طريقها، مما أدى إلى وقوع ضحايا بمئات الالاف وتشرد الملايين ممن فقدوا مساكنهم وممتلكاتهم. وقد أدت هذه الزلازل والفيضانات إلى زلزلة الوعي الكوني المعاصر، وسرعان ما بدأت موجات كثيفة من التعاطف الإنساني الذي لا يفرق بين دين ودين وجنس وجنس.

وهكذا أتاحت هذه الفواجع غير المسبوقة حوارا فعالا بين المجتمعات والشعوب بغير تمهيد مسبق، ليعلن عن بداية تحول حوار الثقافات من مجرد الفهم المتبادل إلى التعاطف الإنساني الشامل، والذي ينم كما أكدنا في دراساتنا السابقة، عن تبلور مذهب إنساني جديد يتخلق ببطء وإن كان بثبات، حيث تتصاعد الدعوة من منابر شتى في الغرب والشرق إلى صياغة عقد أخلاقي كوني جديد لايقنع فقط بضبط حركة الأسواق الرأسمالية السائدة من خلال إدخال البعد الأخلاقي في كل الممارسات الاقتصادية، ولكن لإقامة الجسور بين الأديان المختلفة وصياغة نسق قيمي كوني يأخذ في الاعتبار أساسا الحفاظ على الكرامة الإنسانية وتحقيق أمن الإنسان والتركيز على ذلك، بدلا من التركيز على اعتبارات الأمن القومي بآفاقه الضيقة والذي لايعبر إلا عن المصالح الأنانية للنخب السياسية الحاكمة وما تعبر عنه من مصالح طبقية.

من الأمن إلى مجتمع المخاطر: ولاشك أن كل هذه التحولات في بيئة المجتمع العالمي وفي إدراكات النخب والمثقفين والشعوب قد نجمت من الإحساس العام بأن المجتمع العالمي يتحول من الأمن النسبي إلى مجتمع المخاطر. وقد التفتنا في إطار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية إلى أهمية رصد تحولات المجتمع العالمي، وتَشكل فريق بحث من مجموعة من الخبراء تحت إشرافي لدراسة عدد من التغيرات العالمية الجوهرية.

أول هذه التحولات الانتقال من نموذج المجتمع الصناعي إلى نموذج مجتمع المعلومات العالمي، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار بعيدة المدى، وتحول هذا المجتمع إلى ما يطلق عليه مجتمع المعرفة. والتحول الثاني الانتقال من الشمولية إلى الديمقراطية وبزوغ المجتمع المدني العالمي. والتحول الثالث بروز ظاهرة العولمة وحلولها محل الاقتصاد العالمي التقليدي.

التحول الرابع الانتقال من مجتمع الأمن إلى مجتمع المخاطر، والتحول الأخير في نظرية الأمن القومي العالمي وبزوغ عصر الشبكات والإرهاب الجديد. ولعل أبرز هذه التحولات من حيث تأثيرها في أمن الإنسان هو تحول المجتمع العالمي المعاصر ليصبح مجتمعا زاخرا بالمخاطر. وأصبحت فكرة مجتمع المخاطر نظرية سوسيولوجية سائدة لرصد وتحليل مختلف أنواع المخاطر والتي تجد مصادرها في إمكانات التلوث الإشعاعي الذري، (وقد زاد انفجار مفاعل تشيرنوبل الروسي من هذه الاحتمالات)، وسلبيات الهندسة الوراثية وظهور أمراض جديدة (كالأيدز وجنون البقر) وشيوع أمراض خطيرة كالسرطان نتيجة لتسرطن البذور الزراعية والمنتجات الزراعية بشكل عام.

وترتبط نظرية الخطر باسم عالم الاجتماع الألماني ايرليش بيك الذي أصدر كتابا بنفس الاسم بالألمانية تمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية. وينطلق ايرليش في محاولة توصيف التغيرات الحادثة في مجتمعات نهاية القرن العشرين كما يقرر د. عمرو حمزاوي في بحثه الذي قدم لنا في مشروع تحولات المجتمع العالمي من قناعات أولية أربعة هي: أولا: أن اللحظة الراهنة هي لحظة انقطاع جذري في تاريخ الحداثة. ثانيا: أن مفهوم الخطر قد أضحى المحرك الأساسي للبني الحقيقية المعاصرة. ثالثا: أن مقولة وحدة المصير البشري التنويرية والتي ناقضتها مسيرة الحداثة منذ القرن الثامن عشر وحولتها إلى مساحة للفعل الرمزي تستحيل الآن إلى حقيقة واقعة. رابعا: أن حل هذه التحولات يفرض إعادة النظر في مدى فاعلية منظومات القيم العالمية وصياغة نسق تفسيري بديل لفهم تحديات العصر. والواقع أن القناعة الثالثة لايرليش بيك تكاد تكون أهم قناعاته جميعا لأنه كما أكدنا من قبل هناك ارهاصات متعددة تشي بتراكم إحساس البشر في كل قارات العالم بوحدة المصير الإنساني.

نحن نعيش في عصر العولمة والتي تعني أساسا حرية تدفق السلع والخدمات والأفكار والبشر بغير قيود ولاحدود. وفي ضوء هذا التدفق غير المسبوق تنتقل الأمراض الجديدة مثل الأيدز من بلد إلى آخر، وتتسرب الأمراض المستحدثة نتيجة لسوء تطبيق الهندسة الوراثية مثل جنون البقر من قارة إلى أخرى، بل وتظهر أمراض قديمة كانت قد انقرضت مثل السل والملاريا وتعود لتهدد ملايين البشر.

نحن إذن في قلب عاصفة المخاطر التي أشرنا إليها، بالإضافة إلى التغيرات الكبرى في المناخ العالمي، سواء من صنع البشر كما هو الحال في ازدياد معدلات الغازات الملوثة للجو، أو نتيجة للتغيرات الطبيعية الفجائية مثل الزلازل التي ثارت مؤخرا وما تبعها من فيضانات تسببت فيها موجات تسونامي العملاقة كما يطلق عليها والتي اندفعت لكي تأكل الأخضر واليابس.

غير أن الإنسان المعاصر ينبغي ألا يقف مكتوف اليدين أمام الكوارث الطبيعية، ولكن لابد أن يمارس الإبداع العلمي لكي يصل إلى آلية تسمح له بالتنبؤ بالزلازل قبل وقوعها. وذلك كله لابد أن ينبع من قناعة تامة بأن وحدة المصير الإنساني تحتم تغيير أنساق القيم، والكفاح ضد سياسات الهيمنة التي تمارسها الدول الكبرى، ومناهضة سياسات العولمة التي أدت إلى تهميش دول الجنوب وسيطرة دول الشمال على موارد العالم وتراكم ثروات نخبها باستخدام كل الوسائل مشروعة وغير مشروعة.

لقد حانت لحظة الحقيقة. ومن حسن الطالع أن تظهر تباشير التعاطف الإنساني بعد الكارثة والتي تعد شمعة أضاءت نفق اليأس الطويل. وهذا التعاطف تجلى في ردود أفعال الأفراد العاديين ومؤسسات المجتمع المدني العالمي والشعوب بشكل عام والدول المختلفة والأمم المتحدة. وقد يكون هذا كله إيذانا ببزوغ فجر جديد لنظام عالمي مستحدث يحقق المساواة لكل شعوب العالم ويضمن توافر الحرية السياسية ويحافظ على الكرامة الإنسانية.

.....

وفي "الأهرام: العالم" ٧ يناير: تسونامي .. يتحدى فقراء آسيا. حدة قبضة جبروت الطبيعة في الدول المنكوبة فاقت كل التصورات والتخيلات الجامحة، فالآلاف لقوا حتفهم وابتلعتهم الأمواج العاتية، وشرد خمسة ملايين بينما يحتاج مليون مصاب للعلاج، وفقد ملايين الفقراء البوساء مورد رزقهم من قوارب صيد ومشروعات سياحية، ثم تكتمل فصول المأساة المفجعة بتصريحات خبراء الجيولوجيا المتركزة حول أن الكارثة ستغير الخريطة الجغرافية للمنطقة مع تحرك جزر من مكانها، وأن الحياة البحرية الغنية في المحيط الهندي يلزمها قرون حتى تعود لطبيعتها بعد ما لحق بها من دمار، وأن إعادة بناء ما دمر قد يستغرق عشر سنوات.

العالم وقف مذهولا في وجه فاجعة تسونامي الذي دفن قرى ومدنا تحت مياه المحيط. ومع اتضاح الصورة الحقيقية للمآسي الإنسانية والصحية الناتجة عن المد البحري بمرور الوقت، كان لازما طرح تساؤل يتعلق بقدرة آسيا على النهوض متعافية من كبوة تسونامي والوقوف على قدميها مرة أخرى بعد أخذ العظة والدرس منها.

ابتداء فإن تسونامي حل ضيفا غير مرغوب فيه على جنوب شرق آسيا في وقت كانت دول المنطقة تشق طريقها نحو الشفاء التام من توابع الأزمة المالية في صيف عام ١٩٩٧ وانتشار مرض الالتهاب الرئوي الحاد "سارس" وانفلونزا الطيور، وفي وقت تحولت فيه الاقتصاديات الآسيوية في الشهور الماضية لقاطرة الدفع والتحفيز لنمو الاقتصاد العالمي مع تباطؤ معدلات النمو للاقتصاديات الأمريكية والأوروبية واليابانية.

وتظهر التقديرات المبدئية للخسائر الاقتصادية للكارثة أنها ستكون بمليارات الدولارات. ففي تايلاند مثلا يتوقع أن تصل إلى مليار دولار مع تدمير ٣ آلاف فندق في جزيرة بوكيت أكثر المناطق المتضررة. وسيكون الخاسر الأول قطاع السياحة المعتمد عليه بشدة الاقتصاد التايلاندي. وفي الهند ينتظر أن تبلغ قيمة خسائر قطاع الصيد نحو مليار دولار. وفي سريلانكا خرب تسونامي عدة كليومترات من الطرق وخطوط السكك الحديدية ودمر نحو ١٠٠ ألف منزل و١٥ ألف سيارة. ولاتختلف الصورة في تفاصيلها عن بقية الدول المتضررة وهي إندونيسيا وجزر المالديف وبنجلاديش وميانمار وماليزيا وسنغافورة والصومال.

ومع أن المتوقع أن تكون فاتورة خسائر المد البحري مرتفعة ومرشحة للزيادة المستمرة فانها لن تعوق وتشل الاقتصاديات الآسيوية، فالأمواج ضربت المدن والقرى الساحلية المعتمدة على الصيد والسياحة ولم تمس المنشآت الصناعية والانتاجية والتجارية بسوء لوجودها في مناطق بعيدة، وسيصبح باستطاعتها استئناف نشاطها، أي أن التأثيرات على دعائم وركائز الاقتصاديات الآسيوية ستكون محدودة ومؤقتة ولن تستمر طويلا، بل إن قطاع السياحة في تايلاند وعلى الرغم مما أصابه فإنه سيعود لسابق عهده بعد فترة وجيزة عقب إعلان الحكومة بدء خطة لتعمير مواقع الدمار في البلاد. وما نريد الوصول إليه وتأكيده أن البنية الأساسية للاقتصاديات الآسيوية لم تخدش وتظل بكامل طاقتها وقواها وبمقدورها العمل.

وبما أنه لاخوف على مستقبل التنمية الاقتصادية في جنوب شرق آسيا، فإن الخوف والفزع ينحصر في تداعيات تسونامي على البسطاء من المزارعين والصيادين الذين دُمرت حياتهم ومصادر أرزاقهم وحُرموا من المياه النظيفة الصالحة للشرب والطعام، فهؤلاء كتب عليهم تحمل أثقال آثار الكارثة لأعوام مقبلة ويخافون من أن يضيعوا في زوايا النسيان والإهمال ما أن تهدأ الأمور وتستقر وتنسى الذاكرة ما جرى، عندها سيدفع الفقراء الثمن مضاعفا، وهذا موطن خطر يتعين الانتباه إليه من قبل الحكومات الآسيوية والمنظمات الدولية، فتركهم أو إهمالهم سيخلف مرارة في النفوس تفتح الأبواب لأشياء وفيروسات ستوفر مصدرا خصبا لتغذية الإرهاب ومشاعر الكراهية للأنظمة القائمة والدول المساعدة لها وفي المقدمة تأتي الولايات المتحدة. وكم سيكون عظيما أن يعالج المجتمع الدولي هذا الجانب ويبدي حرصا صادقا على تجفيف منابع الخوف منه، فالفقر خير راع وحاضن للإرهاب.

أيضا كم كان رائعا أن يهب المجتمع الدولي على قلب رجل واحد لنجدة منكوبي المد البحري لإدراكه أن الكارثة غير مسبوقة ويجب أن يكون التعامل معها لا سابق له، حسبما قال كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة. ولا يهم هنا قدر ما تبرعت به هذه الدولة أو تلك من مال ومواد إغاثة، فالأهم التحرك السريع في مواجهة حدث جلل لا يمكن لدولة بمفردها مهما أوتيت من أموال وتكنولوجيا التصدي له، خصوصا وأنه فتح العيون على جوانب تقصير وخلل من غير الجائز والمستساغ حدوثها في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي في زمن العولمة والإنترنت، ونضرب المثال بعدم وجود نظام إنذار مبكر للمد البحري.

واسترشادا بالمثال القائل رب ضارة نافعة، فإن تسونامي أيقظ الشرعية الإنسانية من سباتها العميق وأعادها للأضواء، بعد أن كاد إيمان الكثير من شعوب العالم بالشرعية الدولية ينتهي بسبب ممارسات الولايات المتحدة على الساحة الدولية وانفرادها بزعامة العالم وغزوها العراق بدون سند شرعي وتجاهل الأمم المتحدة مهما كانت الاحتجاجات والاعتراضات.

وبدون مزايدة فإن الموقف الأمريكي من الكارثة الطبيعية كان نموذجا لما يأمله العالم من القوة العظمى الوحيدة في عالمنا اليوم، فواشنطن أخذت المبادرة بالدعوة لتشكيل

تحالف دولي لمساعدة الدول الآسيوية، وهو تحالف لا نملك سوى الترحيب به والتهليل له، فالهدف النبيل الذي شكل لأجله أعظم وأنفع من تأسيس تحالف لغزو بلد عربي، العراق، ويتمنى كثيرون أن تحذو أمريكا نفس السلوك مع الأزمات والمشكلات الدولية وأن تكون تصرفاتها وأفعالها على الأقل متوازنة ولا تميل طول الخط لطرف على حساب آخر.

ولم تقبل أمريكا اتهامها بالبخل وزادت مساعداتها إلى ٣٥٠ مليون دولار كدفعة أولى وأوفدت وزير الخارجية كولين باول لزيارة المناطق المنكوبة تعبيرا عن عنايتها وتقديرها لفداحة الكارثة. بخلاف أن الولايات المتحدة لم تعترض على أن تمسك الأمم المتحدة بدفة قيادة مواجهة المأساة والتعاون معها بدلا من تحييدها بوضعها في المقعد الخلفي، مع العلم أن صدرها لم يكن يتسع لأبسط القرارات ومواقف اتخذتها خلال السنوات الأربع لولاية الرئيس جورج بوش الأولى.

فتسونامي لن يكون آخر الكوارث الطبيعية وأفدحها. وعلى عقلاء العالم أن يستعدوا بإجراءات تحمي الطبيعة وثرواتها وتضمن عدم وقوع خسائر بشرية بهذا الحجم، بدلا من التفكير في التوسع ومحاربة طواحين الهواء تحت لافتات عريضة لاتخدم سوى مصالح القلة.

.....

وفي "الأهرام: الكتاب" ٩ يناير: تسونامي كلمة يابانية، للأستاذ الفريد فرج. عرفت البشرية الطوفان النهري، وقلما جرت الأحاديث عن الطوفان البحري. وقد أحاطنا الإعلام الغربي من كل جانب بأنباء ما سمي بأكبر كارثة وقعت في العالم فيما نعرفه من التاريخ. ورددت أجهزة الإعلام كلمة تسونامي اسما للطوفان البحري الذي اجتاح بموجات مهلكة شواطئ المحيط الهندي، إندونيسيا وتايلاند شرقا وسيلان والهند والصومال غرب المحيط. ففي دقائق قليلة في ضحى يوم السادس والعشرين من ديسمبر ابتلع البحر شواطئه واقتلع الزرع والعمران وأغرق البشر وقضى على الحياة في شواطئ كانت تمرح في ذروة حركة السياحة الأوروبية في أجازات عيد الميلاد، فإذا مرح الإجازة يغرق في دموع الفقد والضياع والصدمة المروعة.

ما هي أسلحة الدمار الشامل التي تمثل حالة الإحساس بالخطر وتوقع الكوارث من هذه الموجة البحرية القاتلة التي يقال أنها عصفت بأرواح مائة وخمسين ألفا من الناس في عشر دقائق! أو ربما يرتفع رقم القتلى إلى ضعف ذلك الرقم الفاجع.

أحاطت بنا كلمة رددها وكررها الإعلام هي كلمة تسونامي أو سونامي التي لم نألفها أو نعرفها من قبل، حتى لجأنا لعدة قواميس، لنعرف أن الكلمة أصلها في اللغة اليابانية، ومعناها موجة الموانئ أو موجة الشواطئ، ونقلتها اللغات الأوروبية عن اليابانية، وقال العلماء إن الذي يحدث هذه الموجة المهلكة زلزال في قاع البحر أو المحيط ينشق من جرائه القاع حتى ليبتلع في جوفه ماء المحيط فينخفض ليعود بدفع الماء في موجة عالية تجري بسرعة الطائرة البوينج، وبارتفاع ستة إلى عشرة أمتار، وبقوة تقدر بملايين الأحصنة، فتكتسح الشواطئ بعنف مخرب وتهدم المباني وتبتلع البشر والحيوان وتقتلع الشجر وتدمر كل عمران وتقتل كل حياة!.

والتسونامي الأخيرة التي صورتها الكاميرات ونقلت أنباءها وسائل الإعلام، أحدثها زلزال في غاية القوة في قاع المحيط الهندي قرب شاطئ سومطرة الإندونيسية، دفع بموجات عاتية شرقا وغربا، وفاجأ آلاف الأوروبيين الهاربين من البرد القارس في بلادهم إلى الدفء أو الحر على شواطئ الشرق الآسيوي. فكل ما كان على ارتفاع عشرة أمتار أو أقل طواه البحر أو ابتلعه أو اقتلعه، حتى قال كل من شاهد آثار الكارثة أنه لم ير في حياته ولا تصور مثل ما يراه من الدمار والخراب الذي شمل آلاف الأميال في البلاد الخمسة المصابة!

وقد تداعى الناس في الغرب للتبرع بالمال ولإظهار الشفقة على الضحايا وذويهم، وأظهروا من الإنسانية كل مظاهر الرحمة والتضامن النبيل، مما دعاني إلى أن ادعو الله أن يتداعوا أيضا بنفس الروح الطيبة للتبرع بالمال ولإظهار الشفقة على ضحايا الحروب الحالية التي تحصد الأرواح في العراق وفلسطين والكونغو وسيراليون ونيجيريا والسودان وغيرها، وأن تولي الأمم المتحدة، مشكورة من الإنسانية جمعاء، ذات الاهتمام والمبادأة لهؤلاء الضحايا وأولئك.

والواقع إننا قد نكون ضعاف الحيلة أمام كوارث الطبيعة إلى الآن، ولكن ربما تكون البشرية أقدر على تلافي الكوارث من صنع الإنسان، وعلى رأسها الحروب وتلويث البيئة والفقر والمرض وارتفاع حرارة الأرض بما يهدد العالم كله.

فلو أجمعت وسائل الإعلام وأجمعت الناس على خوض حملة الرحمة والإنسانية في هذه المجالات، ربما صار هذا الأمر شعارا للقرن الحادي والعشرين أو للألفية الثالثة لميلاد المسيح عليه السلام. ولايخفى علينا أن العصر الجديد يمهد لليقظة الشاملة للضمير الإنساني، وللإدراك والفطنة، بفضل قوة الإعلام واقتران الأنباء بالصور المؤثرة وبفضل تقدم الفكر الإنساني.

فلماذا ونحن في ظل تلك النكبة الطبيعية لا نحلم بمستقبل أفضل، وبدلا من أن نصف القرن الحادي والعشرين بانه القرن الأمريكي أو القرن الصيني أو القرن الأوروبي، نصفه بأنه قرن السلام أو قرن الشفاء من وباء الأيدز أو وباء الفقر أو وباء العجز عن تعميم التعليم؟.

لماذا لايصبح القرن الحادي والعشرون هو قرن إلغاء الديون أو قرن التنمية المتوازية والشاملة للعالم كله؟ لماذا لاتعمم تسمية بلاد الغرب الغنية بأنها دول الرفاهية، فنسمي القرن الأول بعد العشرين قرن تعميم الرفاهية. وبدلا من تسمية قرن حرية التجارة، لماذا لايصبح جديرا بتسميته قرن التجارة العادلة، أي التجارة البريئة من الاستغلال والاحتكار والمنافسة العدوانية والطمع؟

لماذا لاتتعلم مما عانيناه من جزع وحزن وشفقة، لغة جديدة في القرن الحادي والعشرين الجديد، فنتحول من تخصيص المليارات من أجل تطوير تكنولوجيا الإنذار المبكر بتحركات الاعداء، إلى تحويل المليارات وتخصيصها لتطوير تكنولوجيا الإنذار المبكر بالزلازل أو بالبراكين أو بالعواصف أو بالسيول أو الفيضانات وإنقاذ البشرية من ويلاتها؟

ولماذا لاتتعلم مما عانيناه من جزع وحزن وشفقة، أن نتحول عن بناء فرق التدخل السريع العسكرية وتدريبها على سرعة المداهمة والاقتحام، إلى بناء فرق الإنقاذ السريع وتدريبها على سرعة الاستجابة والإغاثة وتلبية النداء؟!

ولابد أن يقودنا مثل هذا الحديث إلى تامل الفارق الجوهري بين الكوارث الطبيعية وكوارث يصنعها الإنسان. كوارث الطبيعة تختلف في جوهرها عن الكوارث التي من صنع الإنسان. فالطبيعة لاتضمر الشر أو تقصد الإيذاء، وإنما تتعامل عناصرها وهي لاتلوي على شيء، أو تضمر العداء، أو تحفزها روح الانتقام، أو شهوة الحرب أو الطمع، أو روح البطش وغطرسة القوة. بينما الكوارث من صنع الإنسان يحفزها الطمع والعداء والرغبة في الانتقام والسيطرة والاستغلال. فمهما كانت الطبيعة أقدر على التدمير من الإنسان، فإن التدمير على يد الإنسان أكثر شرا لأنه دمار سيئ القصد والنية. فليت السونامي كانت ضربة في رأس الإنسان ليفيق ويتأمل ويراجع ويزداد معرفة بالنفس، كما يريد ليزداد معرفة بالطبيعة ليتقي كوارثها.

وربما كان وصف السونامي الأخير بأنه أكبر كارثة طبيعية وقعت في التاريخ المعلوم، يرجع إلى الإحساس العام بأن الحال في الدنيا قد تدهور إلى أدنى حد من السوء من جراء اختلال التوازن العسكري والتناسب الاقتصادي ومن جراء تضارب المصالح. وهنا يتأكد المعنى الديني لما حدث، فهو مثل طوفان نوح عليه السلام.

عقاب الله لشرور الناس، وهو المعنى الذي تداولته كتب التاريخ عن عصف البركان بمدينة بومبي الإيطالية في العصر الروماني، وهو المعنى الذي تداولته الحكايات الشعبية العراقية في ملحمة جلجامش عن طوفان نهري دجلة والفرات.

وقد عرفت مصر قبل السد العالي الفيضانات المدمرة التي تكتسح السدود وتغرق القرى. وعرفت مصر السيول المنحدرة من الجبل الشرقي أو الغربي لإغراق العمران في الوادي. ولكن بعض العلماء يحدثوننا أيضا عن سونامي في البحر المتوسط وموجة عاتية اندفعت إلى مصر في القرون الأولى للميلاد وأغرقت الاسكندرية واقتلعت قصر كليوباترة ومسلاته، وسحبت أحجاره إلى البحر، حيث تبحث عنه بعثة الآثار الغارقة اليوم في مياه الميناء الشرقية.

وقد زعم ذلك العالم الأمريكي صاحب تلك النظرية أن سبب ذلك السونامي السكندري زلزال وقع في البحر المتوسط بجوار جزيرة رودس اليونانية دفع بتلك الموجة العالية إلى الشواطئ المصرية فيما يسميه الأقباط المصريون بعصر شهداء المسيحية واضطهاد الرومان.

ولكن أيا كانت وجهة النظر إلى الكوارث الطبيعية فإن أهم ما فيها أنها أدلة على استمرار الصراع بين الإنسان والطبيعة، الذي كان له أعمق الأثر في ثقافة الإنسان. حيث عرف منه ما سماه ضربات القدر، واستند إليه المسرح اليوناني على محور الصراع بين الإنسان والقدر. وتداعى من ذلك المعنى الأدبي والفلسفي ما احاط بالعراف أو العرافة من رهبة. فقد كان العراف أو العرافة هو الجهاز الأسطوري للإنذار المبكر بكوارث الطبيعة، وكان أمر العراف نافذا حتى على الملوك وعلى جموع البشر. إن قوة الطبيعة أعظم موجه ومكون لثقافة الإنسان، وأكبر مثير لخياله وداعم للإيمان في قلبه وضميره.

.....

وفي "الأهرام: قضايا وأراء" ١٠ يناير: تسونامي.. والروح الرياضية للأستاذ محمد مطر. ربما لم تشهد الكرة الارضية في العصر الحديث كارثة كالتي ألمّت ببعض دول جنوب شرق آسيا، لقد أثار الزلزل المحيطي الذي ضرب سواحل المحيط الهندي أخيرا، أثار الكثير من الحزن والشجن والأسى، فلقد شهد العالم كيف عانى الملايين من سكان سومطرة وسريلانكا والهند وجزر المالديف وحتى الشواطئ الشرقية للقارة الأفريقية، الفيضانات الغامرة التي غزت وغمرت المنازل والشوارع وأغرقت المدن بفعل أمواج تسونامي.

أحداث محزنة، وصور مفزعة، وأخبار مولمة، وتطورات دامية وانعكاسات كارثية، فمن أين تأتي هذه القوة المدمرة التي تحملها الموجات الزلزالية، وكيف تنتفض المرة تلو الأخرى من رقادها لتضرب بقوة وعنف وبشكل مفاجئ وتدمر الأخضر واليابس. حقا إنها كارثة إنسانية مفزعة ربما لم تجتمع دول العالم للالتفاف والإجماع على كارثة مثلها. لقد أدمت كارثة تسونامي النفوس وقطعت نياط قلب المجتمع الدولي مما دعا للإسراع بعقد قمة لمواجهة الأثار السلبية لهذه الكارثة، وما جعل الأمم المتحدة تطلق أكبر عملية إغاثة تديرها المنظمة الدولية في تاريخها، ولربما تستغرق فترة زمنية تفوق عشر سنوات.

السؤال المطروح هو: كيف يمكن ترجمة التضامن مع الدول المنكوبة إلى واقع ملموس وليس فقط مجرد أقوال تطلق الآن بفعل هول الصدمة ثم تختفي مع مرور

الوقت؟!. ودليلي على ذلك هو عدم التزام الدول الغنية بتعهداتها في مساعدة المنكوبين في الزلزال، الذي ضرب مدينة بم الإيرانية قبل سنة تقريبا، حين أعلنت الدول المانحة عن تخصيص مساعدات لإعادة بناء المدينة بلغت أكثر من مليار دولار، لكن لم يتم الوفاء فعلا سوى بمبلغ ١٧ مليون دولار!. وليس سرا أن أبرز ما استوقفني من التبرعات هو ذلك التبرع الذي أعلن عن تقديمه بطل العالم لسباق السيارات الألماني مايكل شوماخر الذي تبرع بمبلغ عشر ملايين دولار.

حقيقة لم يحرك الزلزال فقط محور الأرض بمقدار ٢,٥ سنتيمترا، لكنه حرك قلب هذا البطل الرياضي الذي يبعد آلاف الاميال عن الكارثة، لكنه كان قدوة ونبراسا في كيفية أن يتضامن المشاهير مع المنكوبين في كوارثهم الطبيعية والشخصية. وأخيرا فإن كارثة تسونامي جاءت لتذكر العالم بعظمة وقوة الخالق الجبار، وأن المجتمع الدولي عليه المزيد من البحث العلمي الذي يجب ألا يتوقف لمواجهة أخطار الطبيعة.

.....

وفي موقع "جريدة الرياض" ١٠ يناير: تسونامي.. والشماتة البغيضة! للأستاذ عبد الله بن بجاد العتيبي. أي نفس بشرية لا تحتبس أنفاسها وتكتئب أرواحها وموجات الصور المأساوية والمعلومات الصادمة تتكسر على أسماعنا وعقولنا أخبارا وحقائق أغرب من الخيال، في كل يوم جديد يمر بعد هدير الأمواج العاتي الذي ضرب بقوة وقسوة شواطئ إندونيسيا وعددا من دول جنوب وجنوب شرق آسيا قبل أيام، لقد اختفت مئات المدن والقرى عن الخارطة تماما وضاع معها كل من فيها من البشر، لقد كانت الخسارة البشرية هي الأفظع والأكبر، وهي لم تنته بما يقارب المئة وسبعين ألفا الذين اختطفهم المد العاتي، بل إن الموت يقف بالمرصاد للجموع البشرية التي خلّفها المد وراءه بالملايين تاركا لها مخاطر الأوبئة والأمراض لتفتك بها، كما تتعاظم الخسائر الاقتصادية لتهدد المنطقة والعالم بهزة حقيقية إن لم يتم التعامل مع هذا الحادث بما يستحقه من عقلانية وإنسانية.

إن الحقيقة الأولى هي أن هذه الكارثة الطبيعية قد أنست البشر إلى حد ما كوارثهم البشرية التي يحرقون بها بعضهم آناء الليل وأطراف النهار، كم هو جدير بمثل هذا الحادث المأساوي أن يحيي في النفوس شعورا مشتركا عميقا بأننا على ظهر هذا الكوكب

نقف في صف واحد أمام مصائبه ونكباته، وأن ما يجمع البشر أكثر مما يفرقهم وأنهم إن لم يتحدوا ويقفوا مع بعضهم فإنهم سينتهون ويتلاشون.

لقد حملت أمواج تسونامي الرهيبة معها حقائق واضحة تصرخ بالبشر أجمعين أن يبذلوا قصارى جهدهم لتوحيد جهودهم العلمية والعملية في سبيل حماية النوع البشري ورفاهيته، بدلا من استنزاف الطاقات في المعارك الثنائية على المصالح والنفوذ في هذا المكان أو ذاك من أرجاء كرتنا الأرضية.

لقد كان التعاطف والشعور العميق بالأسى والحسرة والهيبة، هي المشاعر الأولية التي تسيطر على ذهن وروح المتابع لما يرد حتى اليوم من آخر أخبار ذلك المدّ البحري الرهيب الذي لا يرحم، وهو تعاطف وأسى طبيعي وفطري لا يمكن لنفس بشرية سوية إلا أن تحس به بعمق، وهو ما حدث بالفعل في أرجاء العالم، فانهالت المساعدات والتبرعات وتوافد المتطوعون وفرق الإنقاذ المتخصصة على تلك المنطقة المنكوبة من العالم، وكان هذا الموقف طبيعيا ومفهوما، ولكن الذي لم أستطع فهمه حقا أن يقوم أحد الخطباء المتحمسين على المنبر يوم الجمعة الماضي ليتحدى هذا الشعور الإنساني الطاغي بقوله "إن موتى الإعصار لا يجوز تسميتهم أبرياء، وقد عوقبوا"، أية نفس متصلبة وروح متجبرة يحمل بين جنبيه من يقول مثل هذا الكلام! وكأنه لم يسمع بفتاوى العلماء والدعاة التي تحث على التعاطي مع مثل هذا المصاب البشري الكبير بقراءة إنسانية للدين الإسلامي، بل كأنه لم يقرأ يوما في نصوص الوحي ما يمنح روحه شيئا من التوازن في النظر للإنسان وأفراحه وأتراحه.

إن الإنسان هو الإنسان وكفى، محور رسالات السماء وخليفة الله في أرضه وموضع التكليف والتكريم بين مخلوقات الله تعالى، ولئن كانت النصوص واضحة جلية في تحريم ظلمه وقتله والاعتداء عليه سواء كان مسلما أم غير مسلم بل واحترامه وتكريمه ومودته ومحبة الخير له والإحسان إليه فإنها لا تكتفي بذلك، بل تحث على التعاطف مع الضعيف وإغاثة الملهوف وتنفيس كربة المكروب في سلسلة لا تنتهي من النصوص التي تؤكد بجلاء أهمية الإنسان ومركزيته في هذا الكون.

في القرآن يقول تعالى {ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} وهذا التكريم الإلهي عام لكل البشر لا

يخص مسلما دون غيره ولا تقيا دون فاجر ولا غنيا دون فقير، بل هو تكريم للجميع، فالإنسان مهما كان أو فعل هو نفخة من روح الله {ونفخت فيه من روحي} ولذلك فإن القرآن يؤكد هذه القاعدة بقوله تعالى {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}.

ويقول أيضا {من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا}، وفي البخاري ومسلم أن جنازة مرت فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم واقفا فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال صلى الله عليه وسلم (أليست نفسا).

والآيات أكثر من أن تحصى من الحث على التعامل الحسن والود مع الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن دينه وعرقه ونسبه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعود مريض اليهود ويأسى لمصابه ومرضه ويتعاطف معه.

وما طرحه هذا الخطيب المتحمس مع سوئه وانحرافه، إلا أنه لا يشكل مشكلة كبيرة حين يكون خطأ عارضا أو زلة لسان أو حتى انحراف فردي، ولكنه يوقد الخوف حين يكون معبرا - ربما بوقاحة- عن بنية خطاب متكامل وحاضر بقوة في المشهد المعاصر وله- كذلك- امتدادات تاريخية موغلة في القدم على طول صفحات التاريخ الإسلامي.

إننا بكل صدق أمام مشكلة حقيقية ومتفاقمة، وتحتاج لوقفة تأمل، وهي تثير العديد من الأسئلة وتملأ أجواءنا بالتعصب واللاإنسانية، حين يصل الخطاب المؤدلج إلى حد الاستهانة بمصائب البشر الطبيعية ومن يتعرضون للكوارث الكونية، فإننا بازاء مشكلة كبرى بحاجة إلى نظرة فاحصة ومتعمقة لجذورها ومعالجة عاجلة لتجلياتها الفكرية والعملية.

وحتى لا يقال أن هذا حادث منعزل وخطأ فردي، فإنني أذكر ببعض المواقف المشابهة، فعندما توفي الفنان الراحل طلال مداح رحمه الله، خرج البعض شامتا ومتشفيا ومستغلا الحدث بوقاحة بغيضة ليحذر الناس من سوء الخاتمة كما زعم!، ومع أنه بذلك يخالف أبسط أصول الشريعة وأصغر مبادئ الفطرة الإنسانية السوية، ومما أعرفه وأسمعه من القصص أملك الكثير من الأمثلة، وأنا أجزم أن غيري يعرف مثلي وأكثر من

الشواهد على مثل هذا الخلل في التركيبة الأساسية للإنسان التي شوهتها الخطابات المؤدلجة حتى قضت على الجانب الإنساني فيها أو كادت.

حين يقول الله للنبي {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} فإن دارسي القرآن من الأطفال فضلا عن غيرهم يعرفون أن هذا يشمل كل العوالم التي يقف العالم الإنساني على رأسها، وحين يؤكد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "الراحمون يرحمهم الرحمن" وحين تتزاحم النصوص في هذا الاتجاه نعلم أن سدنة الكراهية لا علاقة لهم بأية دين وإنما هم صنيعة أزمات تاريخية وأيديولوجية سيطرت على عقولهم ونفوسهم حتى أخرجتها عن السواء البشري.

ومثل هذا الانحراف كان حاضرا- كذلك- في التاريخ الإسلامي القريب والبعيد بصور متعددة وأشكال مختلفة، فقد سُحق الإنسان في التاريخ الإسلامي سحقا مزريا ويكفي أن يمد أحدنا يده ليقرأ في كتاب عبود الشالجي (موسوعة العذاب) لنقف عن كثب على الجناية الفادحة على قيمة الإنسان في تاريخنا المكتوب والموثّق، فضلا عما طواه الدهر بين جنبيه ولم يجد سبيله للتدوين والتوثيق من أحداث مريعة وسحق منظّم للإنسان.

على مستوى التطبيق كان انتهاك الإنسان وتعريضه لصنوف التعذيب التي تبدع في خلقها النفوس البشرية المريضة بالحقد والكراهية أمرا شائعا، وليته كان يقع والجميع يعرف ويقرّ بأنه انحراف عن سنن السماء وأصول الفطرة، بل المشكلة الحقيقية أن ذلك يقف بقدمين صلبتين على مساحات كبيرة من التنظير العقدي والفكري والفقهي الذي يبرر هذا المستوى المتدني من الاستهانة بالنفس البشرية وكرامة الإنسان، وليس القتل فحسب هو الاستهانة الوحيدة بل إنه يكون في أحيان كثيرة أرحم الطرق التي يتعرض لها البشر، فالسجن والنفي وصنوف التعذيب كلها تقف أمامه في سلسلة سند النار والانحراف والتجبر.

أحسب أننا نعيش تحديا حقيقيا في مواجهة مثل هذه الظاهرة المتفشية كورم سرطاني يشوه وجه حضارتنا ويخدش إنسانيتنا في الصميم، إن الشخوص التي يتمثل فيها مثل هذا الانحراف بحاجة إلى ردع قوي يوقظ إنسانيتها النائمة أو يحييها بعد موتها لدى بعض الحالات المستعصية من هذا الجنس من البشر، ويستمر التحدي في قدرتنا على صناعة خطاب يعيد للدين رونقه الأول وإنسانيته المستلبة من قبل بعض الموتورين

والمتشددين، وأولى الخطوات في هذا الاتجاه أن نتوجه بالنقد المركز على المنتجات البشرية التاريخية التي تؤسس لمثل هذا الفكر المنحرف في كل تجلياتها التنظيرية على المستويين العقدي والفقهي حتى نعيدها للجادة الصحيحة.

ويجب أن نوقف بسرعة وحزم تقديس ذلك الوجه الكالح في الماضي الغابر الأثيم الذي يحاول البعض أن يرفعه فوق الشريعة والفطرة وكل مكتسبات البشر الإنسانية الجميلة، وعسى لحدث سرّع دوران الأرض غير ميلان محورها أن يسرع بمعالجة هذا الانحراف وتعديل ميله.

.....

وفي "الأهرام: الكتاب" ١٣ يناير: معضلات عصرية الزلزال: هل من ضاره نافعة! للأستاذ محمد سيد أحمد. نشر الدكتور رشدي سعيد في مجلة المصور يوم الخميس الماضي مقالا عن زلزال إندونيسيا. والدكتور رشدي، كما هو معروف، له صيت عالمي كحجة في علم الجيولوجيا. ومن هنا، فلا مجال لمقارنة أطروحاته حول الزلزال وما نشرته أنا في نفس اليوم بالأهرام. غير أن بعض ما أورده الدكتور رشدي قد يبدو متعارضا مع ماكتبت، ومن هنا حرصي على استجلاء مدى صواب ما أوردته من عدمه.

وصف الدكتور رشدي الزلزال بقوله: إنه ظاهرة طبيعية ليس لفعل الإنسان فيها شيء. وكتبت أنا: ليس سبب الزلزال صراعات البشر فيما بينهم، ولكن ردود أفعال الطبيعة على تمادي البشر في الإساءة إلى الطبيعة، وتحدي قوانينها، فتمردت عليهم. لقد شاركت الدكتور رشدي الرأي في أن الزلزال ظاهرة طبيعية، ولكن لم انف أنه كان لفعل الإنسان فيها شيء.

وبالفعل، قد كتبت صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤ رأي الدكتور رشدي بقولها: إن الزلزال الإندونيسي هو نتاج عملية دامت ٨٥ مليون سنة. ففي ذاك الوقت السحيق بعد تكون المحيط الهندي، انفصلت عن أفريقيا الطبقة التكتونية الاسترالية/الهندية التي تحمل الهند، وعبرت المحيط في اتجاه الشمال بسرعة ١٠ سنتيمتر كل عام. ومنذ ٥٠ مليون سنة، اصطدمت الهند بطبقة أوراسيا، واستمرت في حركتها بسرعة ٦ سنتيمتر في العام. هذا الاصطدام قد ترتب عليه بروز سلسلة جبال الهيمالايا، أشهق جبال في العالم، وكذلك نقلت الكتلة الهند/صينية بجزائرها الـ ١٧ ألفا

(أغلبها بركاني التكوين) في اتجاه الجنوب الشرقي. والملاحظ أن هذه كلها تحركات تسند وجهة نظر الدكتور رشدي سعيد، لأنها سبقت وجود الجنس البشري على سطح الأرض، وبالتالي قدرته على التأثير في التقلبات الجيولوجية.

سؤال جوهري: ولكن السؤال الذي استكشف له ردا ليس هو: هل كان لوجود الإنسان على سطح الأرض أثر في إحداث زلازل وبراكين وموجات مد بحري تعبر المحيطات ويبلغ ارتفاعها ٥٠ مترا وأكثر؟. فكلنا يعلم أن هذه الظواهر وجدت منذ تكون القشرة الارضية في ماض يعود إلى مليارات السنوات. بل السؤال هو هل من جديد قد حدث منذ ظهور الجنس البشري، ومن شأنه التأثير في خصائص الطبيعة؟. هل بفضل العلم والتكنولوجيا، أصبح من الممكن تعريض الكرة الأرضية للانفجار أو الزوال؟. الأمر الذي لم يكن ممكنا من قبل، بسبب قصور التكنولوجيا عن بلوغ هذه القدرة؟

ظاهرة الدفيئة على سبيل المثال (أي تعرض المناخ للدفء بشكل متعاظم) لا يبدو الآن أن هناك شكا في انها ظاهرة من صنع الحضارة الانسانية. ثم ظاهرة أخرى هي تعرض البيئة للتلوث بسبب الافراط في استخدام مواد كيماوية أو اصطناعية تنال من الحياة، جنبا إلى جنب مع مبتكرات ومكتشفات علمية من شأنها إطالة الحياة. ليس هناك ما يطمئن أن الايجابيات التي يبتدعها البشر أقوى أثرا في تقرير المحصلة النهائية من السلبيات التي تفلت من كل سيطرة. بعبارة أخرى، هل جاز القول بان الحضارة الإنسانية خلقت ظروفا أكثر مواتاة لتعريض البشرية للتهلكة من الظروف التي كان من المنتظر أن تسود في غياب الجنس البشري، وقبل بلوغه تقدمه التكنولوجي المعاصر الشديد الرقي؟. هل الزلازل وغيرها من الاضطرابات البيئية عاجزة في غياب الجنس البشري عن بلوغ حد الإفناء الذاتي، بينما أصبحت قادرة على الارتفاع إلى هذا الحد بعد بلوغ التقدم البشري مستواه الراهن؟

أي أن تدخل البشر في صنع الاضطرابات البيئية لا يعني أن هذه الاضطرابات وقف على وجود البشر، وبفعل صنع الحضارة البشرية وحسب. وإنما يعني أن البشر قد فاقم من شأن هذه الاضطرابات، وعرضها لظاهرة لم تنل من الكرة الارضية من قبل، هي تعرضها للتفتت، أو الانفجار، أو لشكل أو آخر من أشكال التبدد والزوال؟!

مهمة جديدة للبشرية: وإذا صح أن ظهور البشرية قد مكّنها من تعريض كوكبنا لمصير يختلف نوعيا عن مصيره الطبيعي، وأعني بذلك ألا يستمر في الوجود لمليارات من السنوات في المستقبل كما استمر في الوجود لمليارات من السنوات في الماضي، بل يقدم الجنس البشري على نوع من الافناء الذاتي. فقد يطرح ذلك مهمة لا تملك البشرية التنصل منها، هي ألا تكتفي بترميم كوكبنا، وإقامة إصلاحات تزيل ماحدث في ٢٦ ديسمبر الماضي على وجه التحديد. بل أن تسعى بكل جدية للنفاذ إلى جذور المشكلة، وتعمل من أجل وضع حد نهائي لواقع جديد بات يهدد قدرة كوكبنا على الاستمرار في الوجود لأجل غير مسمى. وهكذا يظل يصلح وعاء للحياة، ومرتكزا للمسيرة البشرية كما كان الحال حتى الآن.

ليست المشكلة أن تجند كل الطاقات المتاحة لمعالجة حدث طارئ. ولا هي أن نستعين بشخصيات عامة دولية كالرئيسين كلينتون (الديمقراطي) وبوش الأب (الجمهوري)، بل أن نخرج بتصور لما حدث يخرج العالم من مآزقه الراهنة، ولا يقصره على دروب مظلمة تكون الظاهرة التي تحتل مقدمة المسرح فيها هي الإرهاب.

هناك بالطبع مهام بديهية ينبغي القيام بها بأسرع ما يمكن، تداركا لتوابع زلزال إندونيسيا، سواء كانت في مواقع قريبة أو بعيدة من الزلزال الأصلي، وذلك بإقامة شبكة من محطات الإنذار المبكر تغطي كوكبنا بكامله، وأعني بذلك المحيطات والبحار جميعا، وليست اليابسة فقط. ذلك أنه قد ثبت أنه يتعذر إفساد آثار الزلزال المدمرة، أو الحيلولة دون حدوث موجات جبارة من المد البحري العالي (ماعرف بالتسونامي)، ما لم تتسع عمليات المراقبة والمتابعة والتفتيش لكل أركان الكرة الأرضية دون استثناء.

لقد أظهر البشر أنهم على استعداد للإغداق بسخاء عندما يصابون في كوارث طبيعية بحجم ماحدث في الأسبوع المنصرم. إن كل إنسان تخيل نفسه في موقع المصابين، وأن يكون هو المستغيث، مناشدا الغير بالعون.

إن المطلوب الآن هو أن نتجاوز رؤيتنا إلى ماحدث على أنه حدث عارض. لابد من تخطيط على الأمد الطويل، وإدماج اللجنة الرباعية التي تشكلت من الولايات المتحدة واليابان والهند واستراليا في هيئة دولية تتولى عمليات الإغاثة، وتعمل في إطار الأمم المتحدة.

لقد جُمعت مبالغ طائلة تصل إلى ٨ مليارات من الدولارات بسرعة مذهلة. ربما كان لذلك أكثر من سبب. أولا، لأن ضحية الزلزال وما أعقبه من مد بحري جبار هو ضحية بشكل مطلق، لم يرتكب أي خطأ، لا يتحمل اية مسئولية، وقد اصابته كارثة بشعة، وهذا لابد أن يثير عطف الناس. ثم كان هناك الإعلام وصور الموتى بالجملة التي تناقلتها شاشات التليفزيون. ثم كان هناك شبكة الإنترنت التي يسّرت فرص التبرع. ثم أعياد رأس السنة، وكثرة السياح الباحثين عن الدفء والراحة، وقد نقلوا إلى مختلف أرجاء الكون أنباء الحدث الأليم.

لقد بلغت التبرعات حد أن هيئة أطباء بدون حدود قد قررت بعد تلقيها مبلغ ٤٠ مليون يورو أن توقف تسلم التبرعات التي ترسل إليها، استنادا إلى أنها لا تملك القدرة على استخدام هذه المبالغ الطائلة استخداما رشيدا في خدمة ضحايا الزلزال، ولمنع حدوث عمليات احتيال ونصب. ربما كان ذلك أول مرة في التاريخ تتلقى فيها جهة خيرية معونات، وترفض تسلمها بسبب عجزها عن استيعابها!

ان المَطالب للحاضر تخالف المطالب للأمد الطويل. المطلوب الآن هو انقاذ بشر بالجملة من التهلكة والجوع والمرض والعطش. أما المطلوب للأمد الطويل، فإنه محاولة استخدام هذه الكارثة لخير البشرية، لعمليات تنموية جبارة. وبالتالي نظرة مختلفة إلى الأموال المجمعة.

نظرة تحول ضارة إلى نافعة: إن المساعدات للتنمية تختلف نوعيا عن المساعدات لمواجهة حالة طوارئ. إنها مساعدات تتحملها الدول والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي. لا المواطنون بصفتهم أشخاصا. إن المواطنين يتحملون قيمتها عن طريق الضرائب التي يدفعونها. ولا ينبغي تحميلهم هذه الاستقطاعات مرتين.

ثمة تضارب في الاختصاصات هنا. هل تسلم منح الدول الأوروبية مثلا من خلال سلطة مركزية منبثقة من الاتحاد الأوروبي، أو كدول ذات سيادة عبر سلطات الأمم المتحدة؟. هل ثمة حاجة إلى سلطة تتفق عليها وتملك البت في هذا الصدد؟. لقد اقترح شيراك خلق قوة إنسانية للتدخل السريع. ومعنى ذلك إعادة هيكلة الأمم المتحدة على نحو أكثر تماسكا وشمولا. بل ربما وراء الاقتراح قضية أكثر جوهرية: هل أصبح للتكنولوجيا

دور في تعريض كوكبنا للدمار، أم ما زلنا بصدد أشكال من الدمار ليس لفعل الإنسان فيها شيء؟

.....

وفي "الأهرام: قضايا وأراء" ١٨ يناير: عالم جديد.. الزلزال وتيارات المحيط للدكتور أنور عبد الملك. ما القول عن مأساة الزلزال التي نشرت الدمار في قلب المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا؟ فجأة وفي دقائق، انطلق تسونامي، انتشر التدمير في جزيرة سومطرة الإندونيسية الشمالية وسريلانكا وجنوب شرق الهند في الأساس، وكذا تايلاند ثم غربا حتى الصومال. أرقام الضحايا تعدت ١٦٥ ألفا وصور المأساة ماثلة أمام الجميع.

الزوبعة الكارثية انطلقت من البركان في قلب المحيط الهندي، ولكنها اكتسحت مئات الكيلومترات من السواحل، حيث اقتطع مقاولو ورجال أعمال التنمية السياحية وبناء الفيلات والضواحي والقصور على البحر أركان البيئة الطبيعية الثابتة، وذلك باقتلاع وسحل غابات الأشجار المطلة على السواحل والتي كان من الممكن أن تصد الأمواج العاتية إلى درجة تكفي لتاجيل دمار المدن والقرى، أو على الاقل تخفيف هذا الدمار إلى درجة غير قليلة. ولكن منطق الرأسمالية الجشعة سيطر على الحكومات والإدارات المحلية وفتح الباب إلى مضاعفة أثار الكارثة.

تجارب المفرقعات شديدة الفتك التي تعلو على قوة تدمير القنابل الذرية التي أقامتها ومازالت أداة الحرب الأمريكية في أعماق القارات وخاصة في الدائرة المحيطة بأفغانستان. وقد التفت عدد من الخبراء إلى تاثير زعزعة البنية التحتية خاصة حول خطوط تلاحم دوائر الانشقاق في عمق المحيطات والقارات الأرضية، وثلاثتها تتقاطع من شمال اليابان إلى إندونيسيا ثم شرق أفريقيا عبر المحيط الهندي.

فعلت الأمم المتحدة دورها، بفضل موقف منظمة أمم جنوب شرق آسيا "آسيان" برئاسة رئيس إندونيسيا الجديد الذي دعا إلى عقد مؤتمر جاكرتا منذ أسبوعين. رفضت الهند بشكل قاطع أية معونة خارجية وقررت مواجهة مسئولياتها كاملة في مناطق جنوب الشرق المنكوبة مجموعات الجزر في المحيط الهندي، وكذا تقديم المعونة الرئيسية لسريلانكا. رفضت رئيسة سريلانكا شاندريكا كارانجونجا السماح بنزول بعثة الإغاثة

الإسرائيلية إلى مطار كولومبو مؤكدة بذلك موقف الشهامة والتضامن مع شعب فلسطين الجريح.

ترأس كوفي أنان مؤتمر جاكرتا باسم أمم العالم مجتمعة بدعوة من رئيس إندونيسيا، وحذر الدول المانحة بضرورة دفع المبالغ بدل الاكتفاء من إعلان الأرقام، يذكرها بما لم يتم في الماضي، عندما أصاب الزلزال الهائل مدينة بم في إيران عام ٢٠٠٣، وأعلنت الدول الصناعية أنها سوف تمنح ١,١ بليون دولار للشعب المنكوب بينما لم تحصل إيران إلا على مبلغ ١٧,٥ مليون دولار حتى اليوم. نفس القصة فى موزمبيق التى لم تحصل إلا على نصف مبلغ ٤٠٠ مليون دولار الموعود بعد فيضانات عام ٢٠٠٠. هذا مازالت دولتا هوندوراس ونيكاراجوا في أمريكا الوسطى تنتظران ثلثى مساعدة ١,٨ بليون دولار الموعودة بعد ما أصابها من دمار عام ١٩٩٨ بسبب زوبعة ميتشي.

سريلانكا "سيلان" احتضنت أحمد عرابى فى المنفى بعد التل الكبير "١٨٨١". الهند وإندونيسيا شريكتا مصر منذ مؤتمر باندونج "١٩٥٥" شعوبها جريحه، حافظت على حبها ووفائها لنا وقضايانا...

.....

وفي "الأهرام: الكتاب" ٢٠ يناير: الأبعاد السياسية لكارثة تسونامي للكاتب السعودي الدكتور أنور ماجد عشقي. اهتزت مشاعر العالم لكارثة تسونامي، وستظل هذه الكارثة تلقي بظلالها ومآسيها على مختلف الأصعدة الانسانية والاقتصادية والسياسية. فالأرواح التي حصدتها تجاوزت ١٨٠ ألف إنسان حتى الآن، والجزر التي أغرقتها قاربت الاثنتي عشرة جزيرة مأهولة، والدول التي تضررت بأمواجها بلغت إحدى عشرة دولة.

إننا لانستطيع أن نقف في مواجهة الكوارث الطبيعية، لكنه بالإمكان احتواؤها والتخفيف من أضرارها. فقبل حدوثها يمكن الحد من أضرارها عن طريق أخذ الاحتياطات اللازمة بالإنذار المبكر، أما بعد حدوثها فيتم التخفيف من حدتها عن طريق الإسهام في إنقاذ الضحايا، وتقديم المساعدات العادلة للمتضررين، وإعادة التأهيل للمدن المنكوبة.

إن الإنذار المبكر يتم بعدة طرق من أهمها مراكز استشعار الزلازل، وهو أمر لايتطلب جهدا كبيرا، ولا مالا وفيرا، إذ أن أداة قياس التسونامي التى تعرف باسم (تسوناميتر)

لايتعدى ثمن الآلة الواحدة مائتين وخمسين ألف دولار، وهي آلات ليست حديثة، فقد نشرت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الآلات على سواحلها منذ خمسين عاما لحمايتها من المد المائي.

لقد أسفرت قمة إدارة الأزمة الدولية فى جاكرتا لمساعدة دول وضحايا زلزال سومطرة يوم الخميس ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ الموافق ٦ يناير ٢٠٠٥ عن فضائح عديدة طوتها الدعوة إلى المساعدات من الدول الغنية للدول المنكوبة، والتعهد بوضع وسائل استشعار للزلازل.

ففي معرض التساؤلات عما إذا كان بالإمكان تفادي مثل هذه الكارثة التي قتلت وشردت مئات الالاف، تبين من ذلك تقصير الدول التي تعرضت لهذه الكارثة لأنها لم تتخذ الاحتياطات اللازمة، ولم تنشر وسائل الاستشعار. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تعلم عن موعد وقوع هذا الزلزال لم تبلغ هذه الدول بموعد وقوعه، بل اكتفوا بإبلاغ العاملين في قاعدة "دييغو غارسيا" العسكرية الأمريكية بالزلزال، مع العلم أن الاحتياطات اللازمة قد أخذت عند بناء تلك القاعدة منذ عشرات السنين، فلم تتأثر القاعدة العسكرية بهذا الزلزال، ولم يشعر بها العاملون في القاعدة.

إن قاعدة "دييغو غارسيا" العسكرية في المحيط الهندي التي تأوي ١٧٠٠ مسئول أمريكي و١٥٠٠ من المقاولين المدنيين، تعتبر من أهم المراكز الاستراتيجية المكلفة بتغطية شرقي آسيا ومناطق آسيا الوسطى، ومنها كانت تنطلق الأعمال العسكرية إلى أفغانستان والعراق، فلم يلحق بها الدمار من الأمواج الزلزالية الناجمة عن تسونامي، ولم يشعروا بها في القاعدة، مع أنها تقع على بعد ألف ميل جنوب الهند، وتبعد عن مركز الزلزال بنحو ألفي ميل، مع أن الصومال، وهي على بعد أربعة آلاف ميل قد وصلتها الموجات الزلزالية، وأحدثت دمارا على شواطئها.

وقد درست طبوغوافية سطح البحر كما درست تضاريس قاع البحر عند بناء القاعدة، واختير الموقع بسبب وجود جرف ساحلي حول الجزيرة يشكل مصدات طبيعية ضد ارتفاع الأمواج واندفاعها. وقال أستاذ الفيزياء الجيولوجية بجامعة هاواي "الدكتور جيرارد فراير" أنه بالإضافة لطبيعة التضاريس في سطح البحر حول الجزيرة، فإن

الجزيرة اختيرت لأنها لاتقع في المسار المباشر لتسونامي، وهذه الحقائق موجودة بالملفات بمدرسة "نيفال تلود بوست جرانديت" بمدينة بونترية كاليفورنيا.

إن الأمة العربية عليها أن تضع الخطط اللازمة لمواجهة مثل هذه الكارثة، فالعمل الارتجالي والفردي لن يحقق لنا مكاسب على المستوى البعيد، فهناك شعوب عربية منتجة في حاجة إلى توزيع إنتاجها، فلماذا لايدفع الدعم لشراء هذه المنتجات العربية والإسلامية لتدفع لهؤلاء؟ ولماذا لاتؤجر وسائل النقل العربية والإسلامية؟ ولماذا لايستفاد من الأطباء في الدول العربية والإسلامية للعمل في هذه المناطق ويدفع لهم من المعونات العربية؟

.....

وفي موقع "الجزيرة: ٢٧ يناير. للأستاذ رئيس تحرير الجزيرة نت. هل أستطيع أن أطلق على رحلتنا إلى سريلانكا وإندونيسيا بأنها رحلة البحث عن الدمار؟ ولم لا؟ فقد كانت كذلك. فبعد هبوطنا في مطار العاصمة السريلانكية كولومبو كنا نسأل عن المناطق التي دمرتها موجة المدّ الزلزالي كما يبحث السائح عن أفضل الأماكن للمتعة والاستجمام. يتسابق الناس لاقتراح مناطق مختلفة "اذهب إلى الجنوب سترى دمارا شاملا هناك"، وقد يضيف آخر "لا.. دعهم يذهبون إلى الشرق، فالدمار هناك أشد". حين تنتهي الكارثة يشرع الناس عادة في تقليب عقولهم للبحث عن أفضل وسيلة للاستفادة منها، فقد أصرت مندوبة برنامج الغذاء العالمي على مرافقتنا خلال رحلتنا إلى المناطق المتضررة التي استمرت حوالي خمس ساعات، لمشاهدة منظمتها وهي توزع الطعام على المتضررين، فهي بطبيعة الحال تبحث عن وسيلة إعلامية تظهر حجم الكارثة تتبعها بصورة القرويين وهم يحملون أكياسا بلاستيكية ويمرون قرب لافتة تحمل اسم المنظمة وشعارها حتى يتواصل تدفق الأموال من المتعاطفين من مختلف دول العالم.

كم عدد ضحايا الكارثة في سريلانكا؟ وجهت سؤالي لمندوبة برنامج الغذاء العالمي، وجاء جوابها باهتا بعض الشيء: "حوالي أربعين ألفا". حينها التفت سائق الحافلة إلي، وبنظرة بها بعض الخبث قال: "إنهم ستون ألفا!!". من نصدق؟.. لا يهم، فعشرون ألفا في حساب حكومات العالم الثالث لا تعني شيئا، إنهم فقط أرقام في سجلات يعلوها الغبار مكومة في أحد المكاتب، ولكن دعونا نتحدث عن معاناة الأحياء.

كنت قد كتبت مشاهداتي في سريلانكا مخططا أن أكتب عن مشاهداتي في إندونيسيا في مقال آخر، ولكنني وبعد أن شاهدت الكارثة قررت أن أكتب عن الدمار، فهو على أي حال دمار هنا أو هناك، والدمار لا يمكن تقسيمه جغرافيا إن تشابه.

منذ حوالي خمس سنوات زرت متحفا في مدينة هيروشيما اليابانية، والمتحف كان سجلا حيا وأرشيفا تاريخيا للمدينة التي ألقيت عليها القنبلة الذرية. تأثرت بما شاهدت، ولم أكن أحلم في يوم من الأيام بأني سأمشي في مسرح للأحداث مشابه، فقد كانت أجزاء من مدينة بندا آتشيه الإندونيسية مدمرة بالكامل، فهي صورة طبق الأصل عن أختها في اليابان.

لست أحاول أن أبالغ، ولكن ماذا أفعل إن كان الدمار شاملا؟ إنه لا يوصف، سفن فوق أسطح المنازل، وسيارات غدت كتلا صدئة من الحديد المعجون، ألعاب أطفال مبعثرة، وسادة صغيرة اخترقتها خشبة حادة، أعمدة من الأسمنت المسلح التوت حول بعضها وكأنها صنعت من عجين، ألبومات صور عائلية، أوراق شخصية، شهادات رسمية مقطعة، أدوات زينة نسائية، أحذية.. لم يعد للبيوت أسرار، لقد كشفت الموجة كل شيء، لقد قامت قيامة المدينة وأنهت حياتها وحياة أهلها.

دمرت موجة المد الزلزالي في محيط مدينة بندا آتشيه ٥٧ جسرا وقتلت واحدا من كل ثلاثة أشخاص، ولم يبق في أجزاء كثيرة منها سوى أجساد هزيلة تبحث عن الطعام أو تأوي إلى غطاء بلاستيكي، ومن أصبح ثريا يومه ذاك، أمسى معدما لا يملك من حطام الدنيا شيئا، لقد تغير تاريخ المدينة فلم تعد الأشياء كما كانت.

في صباح اليوم الأول من وجودنا، وعلى الطريق من المطار إلى وسط المدينة لفتت نظري مقبرة كبيرة أنشئت على عجل فمازالت هناك آلية كبيرة تحفر، فطلبت من السائق التوقف، حينها ضربتنا رائحة الموت، إنها رائحة قاسية قوية تشعرك بالألم من منتصف البطن إلى أعلى الرأس.

كانت الآلية تعمل بجد، فالجثث كثيرة ولا بد من دفنها بسرعة، أخذت نفسا عميقا واستجمعت شجاعتي وركضت محاولا التقاط صورة أخيرة لأجساد لُفّت على عجل بأغطية بلاستيكية وكومت بشكل عشوائي، أجساد مختلفة الأحجام، بالإمكان تمييز الأطفال والرضع، ولكنها غدت في هذه الحفرة جسدا واحدا لا يمكن فصله. مازالت فرق

الإنقاذ تنتشل جثث الضحايا رغم مرور ثلاثة أسابيع على وقوع الكارثة، ومازالت تلك الرائحة تلاحقني في كل موقع أزوره، إنها رائحة الموت التي خيمت على مدينة بندا آتشيه، وستبقى هناك ضيفا ثقيلا ولفترة طويلة قادمة.

ارتفعت موجة المد الزلزالي في بعض سواحل إندونيسيا إلى حوالي أربعين مترا، وكانت تسير بسرعة طائرة نفاثة فأخذت في طريقها كل شيء وتوغلت ستة كيلومترات أحيانا. ترك الناس سواحل البحر وهربوا إلى الجبال، وما زالوا لا يستطيعون التحديق في البحر الذي خانهم وبطش بهم، وبدأت تظهر قرى صغيرة في المرتفعات القريبة، ومن كان يملك فضل مال فتح دكانا صغيرا. لقد بدأت بوادر حياة جديدة تتكون على تلك المرتفعات، ومع مرور الوقت ستكبر وستتغير التركيبة السكانية والاجتماعية، فما كان قبل الموجة انتهى وبدأت حياة أخرى أكثر كآبة يلفها البؤس، ولكنها حياة على أية حال.

.....

وفي "ملفات الأهرام" ١٤ فبراير: بعد كارثة تسونامي.. نحو منظور جديد للأمن الإنساني في جنوب شرقي آسيا، للأستاذة خديجة عرفة. يرتبط تساؤل بما كشفت عنه الأحداث من غياب نظام للإنذار المبكر لتخفيض أثار الكارثة، ما دعا الأمين العام للأمم المتحدة للحاجة الملحة لإنشاء نظام إنذار مبكر حول تسونامي في المحيط الهندي، حيث يمكن لهذه الاجهزة أن ترسل المعلومات في دقائق معدودة وإطلاق إنذار، الأمر الذي كان سيتيح الوقت الكافي لآلاف الأشخاص ليفروا من منطقة الكارثة. وإذا ما بدأنا عند هذه النقطة يصبح التساؤل هو لماذا الانتظار حتى وقوع الكارثة البشرية؟ وأين منظور دول جنوب شرقي آسيا للأمن الإنساني والذي تبنته بعد الأزمة المالية؟ وهل هذا المنظور الذي طُرح كان مجرد محاولة من قِبل حكومات المنطقة للخروج من أزمة الشرعية التي أصابتها بعد الأزمة؟

بوجه عام، يقوم مفهوم الأمن الإنساني على جعل الفرد وحدة التحليل الأساسية انطلاقا من أن أي سياسة تنموية يجب أن يكون محورها الأساسي هو تحقيق أمن الأفراد بحيث يصبح التحدي الأساسي هو كيفية بناء منظومة أمنية متكاملة يحظى فيها أمن الأفراد بالاولوية ذاتها مثل أمن الدولة.

وقد بدأت دول جنوب شرقي آسيا في تبني مفهوم الأمن الإنساني بعد الأزمة المالية التي أصابت دول المنطقة في يوليو ١٩٩٧ وما صاحبها من مشاكل اجتماعية واقتصادية خطيرة. والأهم من ذلك ما كشفت عنه الأزمة من قصور المنظور الأمني في المنطقة وخطأ الارتكاز على المحور الاقتصادي كأساس للتنمية الشاملة في المنطقة، إذ أكدت الأزمة أن التنمية الاقتصادية التي تخلو من وجه إنساني من الصعب استمرارها واستدامتها لكونها تنمية غير متكاملة.

وقد ركزت دول الآسيان فيما ركزت على دعم دور المجتمع المدني نظرا لكون منظمات الأخير هي الأقرب من الأفراد وبالتالي الأقدر على تحديد احتياجاتهم، وهو ما تم على مستويين تمثل الأول في دعم قوى المجتمع المدني داخل دول الآسيان ذاتها، أما المستوى الثاني فهو المستوى الإقليمي، والذي عبر عنه تأسيس منتدى الأفراد في آسيا وأوروبا، والذي عقد آخر جولاته خلال الفترة من ٦-٩ سبتمبر سنة ٢٠٠٤ في فيتنام تحت عنوان تحركات الأفراد لتحقيق الأمن الإنساني في آسيا وأوروبا، بمشاركة أكثر من ٥٠٠ ممثل لمنظمات غير حكومية من آسيا وأوروبا.

هناك محور آخر لتفعيل رؤية الآسيان لمفهوم الأمن الإنساني تمثل في التركيز على بناء القدرات الذاتية لدول الآسيان للتعامل مع تحديات الأمن الإنساني القائمة وللاستعداد لمواجهة التحديات المستقبلية. وبذلك يصبح التساؤل الآن إلى أي مدى كشفت الأحداث الاخيرة عن قصور منظور الأمن الإنساني في منطقة جنوب شرقي آسيا، وذلك على الرغم من خبرتها في التعامل مع قضايا الأمن الإنساني وتحدياته، وكيف سيكون الحال في حالة ما إذا وقعت كارثة إنسانية مشابهة في منطقة أخرى من مناطق العالم لاتمتلك الخبرة ذاتها في مواجهة تحديات الأمن الإنساني، وإلى أي مدى يمكن مواجهة تحديات الأمن الإنساني في القرن الحادي والعشرين دون بلورة رؤية واضحة للأمن الإنساني وتحدياته، وهو ما يرتبط بخطورة التعامل التفتيتي مع قضايا الأمن الإنساني كلا على حدة من خلال الانتظار لوقوع الكارثة، ثم تحديد سبل معالجتها، وكيف يمكننا التعامل مع مصادر تهديد الأمن الإنساني من خلال المؤسسات التقليدية المعنية بتحقيق الأمن القومي.

على الرغم مما طرحته الكارثة من ضرورة إنشاء نظام مبكر عابر للقارات، وضرورة إدراج الكوارث البشرية ضمن آليات بناء قدرات المنطقة في التعامل مع تحديات الأمن الإنساني بغية التقليل قدر الإمكان من تداعياتها السلبية، إلا أن التحدي الأكبر الذي طرحته الأزمة هو ذلك المتعلق بطبيعة الجهود الدولية ودور الأمم المتحدة، بحيث أعادت الأزمة إلى الأذهان الفكرة التي سبق وطُرحت حول إنشاء مجلس للأمن الإنساني بالأمم المتحدة على غرار مجلس الأمن بحيث تصبح مهمته اجتماعية إنسانية بالأساس، بعيدا عن أي أهداف أساسية، وبحيث يمكن في إطاره تنسيق الجهود حول مواجهة تحديات الأمن الإنساني في القرن الحادي والعشرين، بعد أن أصبح الأمن الإنساني هو التحدي الأخطر.

كتابات أجنبية

ومن الكتابات الأجنبية المترجمة ما ورد في موقع "زى نت العربية" ٢٥ يناير: أهل آتشيه يصعدون إلى السماء! للسيد أندريه فلتشيك، ترجمة الأستاذ أحمد زكى. في مقعد مريح للقطار فائق السرعة المنطلق نحو شمال اليابان، شاهدت بإعجاب جمال الريف الياباني المغطى بالثلوج. أخذت الدنيا في الإظلام رويدا بينما عجلات القطار تصطك بنعومة مع قضبان السكك الحديدية بشكل رتيب ونغم ثابت قوي. بدا العالم آمن ومنسجم. ثم فجأة وقعت عيني على حروف نشرة الأخبار التي تمرق أسفل الشاشة الرقمية المعلقة بأعلى الباب. زلزال قوي هز شمال سومطرة. هناك العشرات من الخسائر. فقط ذلك– دون مزيد من التفاصيل. راجعت الأنباء، بعدها بساعة، على الإنترنت في فندقي بمدينة سنداي. يبدو أن المئات من البشر فقدوا أرواحهم في إندونيسيا وسريلانكا والهند وتايلاند. زلزال، بعيدا عن سواحل آتشيه، بلغ مقدار ٩ ريختر، تلاه تسونامي– موجة مد وحشية ارتفاعها ١٠ أمتار– سحقت بلا رحمة وبقوة فوق الخيال شواطئ العديد من البلاد التعيسة.

في الأيام القليلة التي تلت ارتفع عدد الضحايا إلى الآلاف، ثم إلى عشرات الآلاف. قرى بأكملها ومدن كاملة اختفت من على الخريطة. مئات الآلاف من اللاجئين

خرجوا إلى ما تخلف من الطرق، ولكن الطرق كانت تؤدي بهم إلى لا شيء، حيث تحطمت الجسور، وقسمت الفيضانات شمال جزيرة سومطرة بأكمله إلى فتات.

انهارت خدمات الكهرباء والمياه (التي هي أصلا ضعيفة ولا يعتمد عليها في كل أنحاء إندونيسيا حتى قبل الكارثة)، انعدم الطعام، والدم للجرحى، والدواء. انعدمت المعلومات الحقيقية أيضا، حيث أن الصحافة الأجنبية قد تم حظر سفرها إلى المقاطعة، "خوفا على أمنهم الشخصي".

الجيش– فيلق هائل منه اتخذ قواعده في المقاطعة من أجل قمع أي تمرد– اقترب من لا شيء. كانت الأوامر الصادرة له أن يخلي الجثث ولكنه لم ينقل إلا بعضها، ولم تبدر منه بعد ذلك أي مبادرة، تاركا الجمهور اليائس دون أي مساعدة تقريبا.

لم تقترب الحكومة من أي شيء. بدلا من إصدار أوامر إلى الوحدات العسكرية الخاصة بالسفر إلى المقاطعة فورا، بدلا من استخدام مئات الطائرات الهليكوبتر العسكرية وطائرات نقل الإمدادات لإرسال الطعام والأدوية، بدلا من إصدار الأوامر لكل القطع البحرية للانتقال إلى منطقة الكارثة، ناشد الرئيس الإندونيسي مواطنيه "أن يقللوا من مظاهر الاحتفال برأس السنة وأن يكثروا من الدعاء".

طائرات النقل الضخمة قبعت في ممرات المطارات في كل أنحاء جاوة، تنتظر أوامر الإقلاع– أوامر لم تصل أبدا. بدلا من استخدام فرق الإنقاذ المدربة للتعامل مع حالات الطوارئ، نائب الرئيس يوسف كالا استخدم الطائرات العسكرية والطيران التجاري للذهاب والعودة بالمجاهدين المسلمين (يسمون أنفسهم "المتطوعة") من مجلس مجاهدي إندونيسيا وجبهة المدافعين المسلمين (جبهة مسلمي بيمبيلا – المعروفة أفضل باسم الإف بي آي– وهي جماعات إسلامية متشددة من جاكارتا تنذر نفسها لتطبيق الشريعة الإسلامية عنوة، هذه القوانين التي تحارب الخمور والقمار والدعارة)، وهي الحقيقة التي نقلتها مؤخرا صحيفة النيويورك تايمز. بعدئذ، منظمة لاسكار جهاد، وهي واحدة من أكثر الجماعات الإسلامية تطرفا في جنوب شرق آسيا شقت طريقها إلى المقاطعة. مئات المسيحيين، أساسا من أصول صينية، أجبروا على الفرار من آتشيه.

وجود "المتطوعة"– الذي ترعاه الحكومة مباشرة– كان له غرض رئيسي واحد: ضمان النظام الإندونيسي والنظام الديني (الذي هو فعلا من أكثر النظم صرامة من كل

إندونيسيا) في المقاطعة التي كانت تحارب من أجل الاستقلال لمدة بلغت ثلاثين عاما تقريبا، متحملة تضحيات هائلة.

وإذا ما تكلمنا عمليا، هؤلاء غير المدربين من أهل المدينة كانوا يأخذون فقط أماكن الرحلات القليلة المتجهة للمنطقة من أجل الإسعاف، برغم أن ماكينة الدعاية أطلقت الروايات عن كيف أن بعضهم قد استطاع وحده استعادة الكهرباء والاتصالات التليفونية في منطقة باندا آتشيه. واستمرت أعداد القتلى في التصاعد، والمرض في الانتشار، وبدأ الجوع يقتل هؤلاء الذين استطاعوا البقاء بعد وحشية الطبيعة ضدهم.

لأول وهلة، بدأ يبدو أن رفض إغاثة آتشيه كما لو كان عملية قتل ثأري بواسطة الحكومة والعسكريين. ثم بدأت آتشيه فجأة تقع في بؤرة الضوء لاهتمام المجتمع الدولي، وبعد قليل من التردد، سمحت الحكومة "بأريحية" للمعونات الأجنبية وبعض وكالات الأنباء الصحفية الأجنبية بدخول المقاطعة. النتائج كانت فورية تقريبا. طارت المنظمات الدولية والعسكريين الأجانب إلى هناك وبدأوا بناء البينية التحتية تقريبا من الصفر.

لم يكن إعادة إعمار– لم يكن هناك بنية تحتية اجتماعية حتى من قبل تسونامي– ولكن لتشييد مستشفيات مؤقتة، ومراكز توزيع طعام، وملاجئ للمشردين. لم يكن ذلك كافيا، ولكنه على الأقل كان شيئا ما، بالتحديد أكثر مما قامت به الدولة طوال الثلاثة عقود الماضية عندما جاءت لتستثمر في البنية التحتية الاجتماعية.

وبينما كان ذلك يحدث، كانت الحكومة الإندونيسية تدّعي بأن الكارثة لن تهدد النمو الاقتصادي المتوقع لعام ٢٠٠٥ (وهو الأقل في المنطقة حتى من قبل تسونامي). وزير المالية أعلنها صراحة أن من المتوقع أن الأجانب سوف يعيدون بناء المنطقة، بينما لن يتم تحويل أي أموال ذات وزن من خزانة الدولة إلى ذلك. أسرع وزير المالية أيضا إلى الإشارة إلى أن الإنتاج الحيوي للبترول (السبب الرئيسي للاحتلال، والدخل الرئيسي للمقاطعة– والذي تسيطر عليه بشكل أساسي الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات بعد الصفقات المشبوهة التي وقعتها حكومة سوهارتو منذ عقود قليلة ماضية) يعاني من نكسات صغيرة، برغم أن بعض التقارير الداخلية ترجح العكس.

الحكومة افترضت أيضا أن آتشيه هي ضاحية لإندونيسيا، لذلك فالنكبة التي ابتلتها سوف لن تترك أثرا كبيرا على الاقتصاد. في الحقيقة هي تتبنى فرضية دون أي شكوك في صحتها، بأن إندونيسيا قد تخرج بفوائد منها، لأنها ربما تجتذب آلاف السياح الذين سوف يتجنبون منتجعات الأجازات السياحية في تايلاند.

ولنضع الحالة داخل منظور، انهار النظام الاجتماعي في إندونيسيا أثناء السنوات التي سيطر فيها سوهارتو بالكامل، مدعوما من الغرب، على الحياة السياسية والاقتصادية في إندونيسيا. كانت تلك هي أيضا الفترة التي عبر عندها الإندونيسيون إلى المذهبية الدينية الصارمة التي من المفترض أنها أدت إلى تدعيم ثقافة الخضوع، والتي بدورها خدمت النظام الحاكم.

كل الخدمات العامة تقريبا تم خصخصتها، هوت جودة التعليم إلى بئر بلا قاع وسكن معدل البقاء على قيد الحياة حول ٦٤ عاما (واحد من أقل المعدلات في المنطقة). لدى إندونيسيا، بالنسبة للفرد، واحد من أكبر أعداد اليتامى في أي مكان في العالم وواحد من أسوأ سجلات الأرقام القياسي لدعارة الأطفال في المنطقة. لا يغطي الفقراء أي شبكات ضمان اجتماعي والقضاء هناك للبيع. إندونيسيا، طبقا لمنظمة "الشفافية العالمية"، هي واحدة من أكثر الأمم فسادا على الأرض.

العسكر في إندونيسيا متورطون في المذابح التي وقعت في حق مؤيدي سوكارنو بعد انقلاب ١٩٦٥ (ما يصل إلى ٣ مليون من الشعب تم ذبحهم في غضون شهور)، وقاد الجيش حرب إبادة في تيمور الشرقية (واحدة من أكثر القصص بربرية في القرن العشرين، صفق لها الغرب بسعادة)، وتسبب الجيش في انتهاكات ضخمة لحقوق الإنسان في بابوا، وامبون، وآتشيه وفي أماكن أخرى. لقد كان الجيش وما زال مدربا أكثر على الاغتصاب والتعذيب ضد المدنيين أكثر من أي تدريبات أخرى على الإغاثة الإنسانية.

هذا المجتمع الخالي من المشاعر، المشلول والفاسد أخلاقيا، يواجه الآن واحد من أكثر الكوارث الطبيعية رعبا في تاريخ الإنسانية. المسئولون الحكوميون وشركاؤهم من أهل البزنس تزكم أنوفهم رائحة سيل رهيب من المعونات الأجنبية، التي يمكن، إذا لم تكن تحت الرقابة، أن تلاقي نفس مصير الأموال التي جاءت مع القروض الأجنبية

السابقة التي كانت مخصصة أصلا للتنمية والبنى التحتية والبرامج الاجتماعية، ولكنها اختفت في أعماق جيوب النخبة ولم تصل أبدا للأغلبية المعدمة من الإندونيسيين.

وبينما كانت الحكومات الأجنبية تحاول التنافس بين بعضها البعض في إطلاق الوعود بملايين الدولارات من أجل إعادة إعمار المناطق المنكوبة بالكارثة، يقوم المسئولون والعسكريون الإندونيسيون على الأرض في آتشيه بتخريب جهود الإغاثة. أكوام الطعام والأدوية تتراكم في ميدان وفي باندا آتشيه، بينما لا تجد المجتمعات اليائسة في المنطقة أي نوع من المعونة يصل إليها. اصطدمت طائرة شارتر من طراز بوينج ٧٣٧ ببقرة على ممر النزول، مما تسبب في إغلاق الممر الوحيد في المطار الوحيد الذي كان صالحا حينئذ في كل آتشيه لمدة ساعات. ومن الواضح أنه لم يكن يستحق أن يعهد العسكريون به إلى حراسة كخط حيوي للحياة. ولكن هل كانت هذه الواقعة حقا مجرد حادثة؟

تقول "يوليا ايفينا بهارا" من منظمة التحالف والتضامن من بيدي وآتشيه جويمبا (SEGERA) "واحد من النتائج المترتبة لافتقاد توزيع مواد المعونات والأدوية الطبية لمعسكرات اللاجئين العديدة كان هو وفاة العديد منهم، خصوصا النساء والأطفال. هذا ما حدث في ماتا لو، وأولي كارينج، وجزء واسع من بيدي وآتشيه جويمبا. من المؤكد أن الحكومة لم تتخذ أي خطوات تعاونية تتعلق بالسماح بسهولة الوصول إلى المناطق التي يجب توزيع مواد الإغاثة فيها. لو استمر ذلك وأصبح هو الوضع، فذلك يعني أن الحكومة فعليا تتغافل عن التضامن الإنساني المطلوب بشدة هذه الأيام".

باختصار بعدما ضرب تسونامي الساحل، أعلنت منظمة جام (حركة آتشيه الحرة) وقفا لإطلاق النار. بعدها بأيام قليلة خرجت التقارير بأن القوات العسكرية الإندونيسية استأنفت عملياتها. نشب تبادل متفرق لإطلاق النار في أماكن عدة في آتشيه. بلا تردد، بدأ الرئيس الإندونيسي في اتهام منظمة جام بكسر الهدنة.

الصحافة الأجنبية السائدة (الصديقة تقليديا للنظام الإندونيسي بعد ١٩٦٥) والتي ركزت تغطيتها الصحفية في البداية بصرامة على الكارثة نفسها ثم فيما بعد على عمليات الإغاثة الأجنبية، بدأت في طرح بعض الأسئلة غير المريحة. ورغم أنها ما تزال تمحو أي ذكر يتعلق بالسجل المخزي والرهيب لانتهاكات الدولة الإندونيسية لحقوق الإنسان، لم تستطع الصحافة الأجنبية السائدة التجاهل الكامل لأصوات أهل آتشيه الذين اتهموا

الحكومة بتخريب عمليات الإغاثة. كما أن الانتقادات الحادة للحكومة والعسكريين الإندونيسيين قد جاءت أيضا من عمال الإغاثة الأجانب.

بدا هذا غير مقبول بالنسبة للمؤسسة. في التاسع من يناير، بدأت الحكومة تشدد من قيودها على حركة الأجانب في المقاطعة. نشرت وكالة رويتر تقارير تقول أنه في الحادي عشر من يناير كل النيات الحسنة تبخرت. حظرت إندونيسيا على عمال الإغاثة الأجانب من دخول مدينتين كبيرتين بسبب "تهديدات الميليشيا".

رئيس الجيش الإندونيسي- الجنرال اندريارتونو سوتارتو- أعلن أن منظمة جام قد تهاجم سريعا عمال الإغاثة الأجانب أو القوات العسكرية في آتشيه. كل وكالات الإغاثة والمنظمات غير الحكومية العاملة في المقاطعة ألحوا عليها أن تقدم قوائم كاملة بأطقم العمل لديها. ردت منظمة الجام بإنكار كل الاتهامات التي تلصقها بها الحكومة، وادعت أنها لن تنوي أبدا إلحاق الأذى بهؤلاء الذين جاءوا لتقديم المساعدة، سواء أكانوا أجانب أم محليين. يؤكد الأجانب العاملين في آتشيه أنهم لم يشعروا بأي تهديد من حركة الاستقلال.

الهجوم المباغت على مصادر المعلومات المستقلة لضربها بواسطة الدولة الإندونيسية صار أمرا لا مفر منه. كما في تيمور الشرقية، وبابوا، وآتشيه (قبل الكارثة)، سوف يتم ذلك تحت غطاء "حماية" أرواح الأجانب. السؤال هو ماذا سوف يحدث لشعب آتشيه بعد ذلك. حتى اليوم، عديد من أعضاء المنظمات غير الحكومية في إندونيسيا يدعون أن تصرفات الحكومة وأفعالها (والأكثر دقة عدم تصرفها) تسبب عن ٥٠ ألف من الضحايا الذي بلغ عددهم ١٠٠ ألف في أعقاب الكارثة.

هل آتشيه في طريقها لتصبح تيمور شرقية أخرى؟ هل الوضع الراهن هو فقط نتيجة عجز وشلل الحكومة، والعسكر، والنظام بأكمله، أم هو نتيجة شيء آخر أكثر قتامة؟ هل هو الانتقام، حملة إبادة مصممة لكسر وتأمين هذه المقاطعة الحيوية اقتصاديا؟

أهل آتشيه هم أناس أصحاب فخر وشدة. عندما كانت النخبة في جاوة تبيع بلادها للأجانب، عندما كانت معظم الجزر التي تشكل إندونيسيا اليوم تقبل بوجود المحتلين الهولنديين، حاربت آتشيه بمرارة من أجل الاستقلال. "تحت حكم الهولنديين، اعتادت

جاوة إرسال قتلة لكسر آتشيه"، هكذا تكلم براموايديا انانتا توير، الكاتب الإندونيسي الأعظم، والأب الفكري للدولة الإندونيسية. "لدينا الكثير لنتعلمه من هؤلاء"!

مؤخرا، شعب آتشيه، الرازح تحت سطوة الشركات متعددة الجنسيات الأجنبية والنخبة الجديدة لجاوة، بدأ يحارب مرة أخرى، ضد كل المظالم. هذه المرة يحاربون ضد الدولة الإندونيسية– ضد واحد من أكبر القوى العسكرية على الأرض. عشرة آلاف رجل وامرأة وطفل ماتوا تقريبا في ثلاثة عقود من الصراع، وربما أكثر كثيرا.

واحد من التفسيرات الدينية "العميقة" للكارثة في إندونيسيا، كان هو أن الله يعاقب شعب آتشيه بسبب قتالهم من أجل الاستقلال. حتى المسئولون عن الإعلام دبروا إيجاد بعض الأشخاص من آتشيه الذين أعلنوا ذلك في شريط تسجيل. "إذا لم نوقف القتال، سوف نذهب كلنا إلى الجحيم".

هؤلاء الذين يشكون دائما في أنه لا يوجد هناك جحيما خالدا، هؤلاء الذين يحترمون الحياة الإنسانية فوق أي شيء آخر، عرفوا دائما أن آتشيه كانت تمضي فعلا من خلال الجحيم لسنوات عديدة ماضية. ولكن "الجحيم هو الآخرين"– هؤلاء الذين يحاربون المدنيين الأبرياء، هؤلاء الذين يعذبونهم، هؤلاء الذين يسدون أبواب الأمل في وجه الشعب الذي يعاني حاليا من عوز هائل وكارثة مروعة.

هؤلاء الذين يستغلون الكارثة والمعاناة الإنسانية من أجل مراميهم السياسية والاقتصادية والعسكرية إذا لم يوقفوا حالا، ربما تذهب إندونيسيا بأكملها إلى الجحيم. ليس جحيما من الذي تصفه بعض الكتب الدينية– ولكنه جحيما حقيقيا، جحيم الحياة في مجتمع فقد كل القيم الإنسانية الأساسية، الذي يسمح لأقلية صغيرة من الناس بأنماط حياة بذخ مسف على حساب عشرات الملايين يتضورون جوعا ويأسا.

آتشيه تنزف وربما يكون الأسوأ ما هو قادم بعد. هؤلاء الذين يصلون إلى آتشيه يجب أن يعرفوا أنهم لا يدخلون فقط أرضا دمرتها كارثة طبيعية مروعة، أنهم يدخلون منطقة استبدت بها الوحشية والاستغلال لعقود وما زالت تحت وطأة هذا التوحش. إنها لا تحتاج إلى المعونات فقط– إنها تحتاج التضامن والحماية والمساعدة الحازمة طويلة الأمد، وإنها تحتاج ذلك الآن! إنها تحتاج إلى استفتاء ولو قررت التصويت عليها– الحرية. أي

شيء سوف يكون أفضل من الوضع الحالي- من هنا آتشيه تستطيع أن تصعد فقط إلى السماء!

انفعالات العامة

في 'بريد الأهرام' ٢٦ يناير: المشهد الجليل، للسيد اسماعيل عبد اللطيف المحامي. كان يوما عبوسا قمطريرا حين زلزلت الأرض زلزالها بالمحيط الهندي وكان الطوفان الجارف المفزع المهول فيما عرف بمأساة تسونامي. وبدا الناس وقد هالتهم الصدمة في ذهول وعجب أن أتى الزلزال والطوفان على كل أسباب ومظاهر الحياة فاجتاحها ودمرها ولم يبق ولم يذر، إلا أنه استلفت النظر أنه أبقى على المساجد شاهدة على نجاتها من هذا الهول الجامح الشامل، في مشهد عجيب نادر جدير بالتساؤل.

وغاب عن هؤلاء المذهولين المتعجبين أن الله مجري الزلزال والطوفان سبحانه، ما كان ليقوض مسجده أو يهدم بيته الذي أذن أن يرفع ويذكر فيه اسمه في غمرة هذا الحدث المذهل الجارف. ويعيد ذلك المشهد الجليل الفريد النادر للأذهان صورة مهيبة شبيهة جرت عام الفيل، عام مولد الرسول على الأرجح، حين همت أفيال ابرهه بغزو الكعبة وهدمها في هجوم كاسح ما له من دافع، فأطلق عبدالمطلب جد النبي قولته الشهيرة التي عبّرت عن عجز أهل مكة عن دفع هذا العدوان وثقتهم في الله حين قال: (للبيت رب يحميه) وصدقت مقولته الحكيمة: فقد صان الله بيته وحفظه وجعل كيد أصحاب الفيل في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وهكذا يضرب الله الامثال للناس لعلهم يعقلون.

.....

أيضا في 'بريد الأهرام' ١٣ فبراير: هنا وهناك! للسيد عزمي عزيز. الإنسان جُبل على ألا يتعظ ويظن أنه بامتلاكه بعض مفاتيح العلم والقوة قد امتلك ما ليس له به ملك، فراح يعبث بالذرة وأسلحة الدمار الشامل واستباحة ما لا حق له في استباحته من قتل وتدمير وإسالة الدماء في كل مكان يشاء من أرض الله. وكارثة تسونامي لا تختص فقط بالدول والشعوب التي أصابتها ولكنها تمتد كما امتدت جحافل المياه الغاضبة إلى كل بقاع

الأرض والكل خاسر، وشاعر بعجزه أمام مثل هذه الكوارث ويحاول أن يرأب الصدع بمقدراته وماله.

هل لنا أن نلوم الطبيعة؟ كيف والبشر هم ضحايا أنفسهم. القوي يستضعف الضعيف والغني يبتز الفقير والمبصر لا يبصر الكفيف. والسلاح يتكلم في كل مكان. العالم يحترق ولا مجيب لصوت العقل ولا لما بقي فيه من مشاعر الإنسان، فالحروب والتفجيرات والمخدرات والسيئات تجتاح الأخضر واليابس هنا وهناك. لن نلوم الطبيعة حين تغضب فنحن الذين أغضبنا أنفسنا مسبقا.. ولكننا نصلي إلى الله.. ونطلب منه الرحمة واللطف واحتمال ما نحن فيه.

معايشة صحفية

في تقارير المراسلين لأهرام ١٥ يناير. شهد المجتمع الدولي مع الأيام الأولى من العام الجديد خطوات كان لابد من اتخاذها، منها تسابق المجتمع الدولي للإعلان عن حملات الغوث وتقديم المساعدات اللازمة لرفع المعاناة عن ضحايا تسونامي، والتأكيد على ضرورة العمل يدا واحدة للقضاء على تداعيات هذه الكارثة قبل أن تتفشى الأمراض وحتى لا تقع المناطق المنكوبة فريسة للمجاعة وضياع الثروات، مع الاخذ في الاعتبار الأعداد المهولة من الأطفال المشردين الذين وضعتهم الأقدار في مواجهة مع المجهول.

المأساة أخذت اهتمام العالم وعلى وجه التحديد الجزء المتقدم منه الذي لم يختلف على ضرورة العمل وتشكيل قوة فاعلة للنهوض بالمناطق المنكوبة في جنوب شرق آسيا، بل وجّه اللوم دون تردد لمن تباطأ ومن لم يجزل العطاء. وهو أمر طبيعي، فحجم الكارثة مترامي الأطراف من الصعب أن تتحمله المناطق المنكوبة وحدها بأي حال من الأحوال، ولايمكن رفض المطالبة بتوحيد الجهود لمساعدتها، ولكن هل لابد وأن تكون الكارثة خارجة عن إرادة البشر حتى يهبوا يدا واحدة لاحتوائها ويدعوا بقوة لتساوي القول بالفعل. المساعدات المعلنة حتى الآن ضخمة ويبقى التنفيذ وما أصعبه! والسؤال ملحّ لسبب بسيط وهو أن هناك قارة، حجم المعاناة لغالبية دولها يعد كارثة- يومية- ولا تلقي إلا مزيدا من الاختلاف على حل مشكلاتها، وقد ضعفت من شدة الصراع فيما بينها وصراع الاقوياء على ثرواتها! وقد ضرب المرض في عمقها والمستقبل مظلم أمام

أطفالها والجهود تتارجح بشأنها، ثم يطول الحديث فرادى عن أهمية إنقاذها! والأموال تهدر في حروب لا طائل منها بينما الحديث لا يكف عن الحرية والديمقراطية والسلام!

لو أن دعوة المجتمع الدولي المطروحة اليوم بصدد تسونامي في آسيا تمتد إلى أفريقيا دون تردد أو تفرقة وتناقض في المواقف! لو أن الجهود الدولية اتحدت على أهمية مساندة المساعي التي تبذل للنهوض بأفريقيا وتحقيق طموحاتها والتغلب على التحديات التي انهكتها وتعرقل تقدمها. فلن يستعصى على المؤتمرات تنفيذ ما يتخذ بها من قرارات ولن يضيع ما تنتهي به من توصيات وستتحقق آلية التنفيذ المنشودة. وبذلك يصبح في العالم قوة حقيقية تعمل على جميع الأصعدة دون تمييز وغلبة لمصلحتها واعتبار المطالبة بالحق مناهضة لها!

.....

وفي الصفحة الأولى لأهرام ٢٠ يناير: رائحة الموت تستقبل بعثة الأهرام في آتشيه قبل النوم في العراء. على الرغم من الصور المفزعة التي نقلتها وكالات الأنباء وقنوات التليفزيون عن الوضع في إقليم آتشيه الإندونيسي المنكوب بعد كارثة تسونامي، فإن الواقع المأساوي هناك يتخطى أسوأ ما يمكن للمرء أن يتصوره، ولدرجة تصبح معها هذه اللقطات مجرد ظلال داكنة لواقع شديد القتامة، وبالغ الخطورة.

وصلت بعثة الأهرام، كأول صحيفة عربية إلى مدينة باندا آتشيه عاصمة الإقليم المنكوب بعد ثلاثة أيام قضتها في جاكرتا العاصمة الإندونيسية، وأصر أفراد البعثة على إتمام مهمتهم، على الرغم من جهود السفير المصري المخلصة لإثنائهم عن التوجه إلى المنطقة خوفا على حياتهم.

أحسسنا بهول الكارثة في أثناء تحليق الطائرة التي نقلتنا في أجواء الإقليم. لم نشاهد مبنى واحدا قائما، باستثناء بضعة مساجد، وعندما حطت الطائرة في مطار باندا آتشيه، بدأنا نتعرف عن قرب على أبعاد الكارثة، وأول ما لفت أنظارنا هناك مئات النعوش الموضوعة في المطار.

مدينة باندا آتشيه المتالقة تحولت إلى أطلال تحيطها برك المياه، ويملا جوها هواء ثقيل مشبع برائحة الجثث المتعفنة. ويقدر المسئولون عدد الضحايا بـ ٢٧٥ ألف قتيل.

ووسط حالة من الفوضى الكاملة، اضطر أفراد البعثة إلى النوم في العراء، وتحولت المنطقة إلى وكر للأوبئة الخطيرة.

.....

وفي الصفحة الأولى لأهرام ٢٠ يناير أيضا: أكثر من عشرة الاف ميل وما يقرب من عشرين ساعة، منها ١٤ ساعة في الجو قطعتها بعثة الأهرام وسط حالة من القلق والترقب والمخاوف والمحاذير التي تحيط بمنطقة جنوب آسيا، تلك البقعة التي شهدت طوفان تسونامي الأخير، عندما تحول البحر إلى طوفان هادر يكتسح البشر والأخضر واليابس، ارتفعت أمواجه عشرة أمتار وانقضت على السواحل بسرعة ٨٠٠ كيلومتر في الساعة، واكتسحت ما عليها من بشر وبيوت وأشجار وسيارات وقوارب، طوفان لم يرحم ما يقرب من ١٢ دولة على رأسها إندونيسيا، صاحبة أكبر عدد من الضحايا وهو ١١٩ ألف قتيل في كارثة المد البحري.

لم يفارقنا حلم الوصول إلى المناطق المنكوبة في إندونيسيا لحظة واحدة طوال رحلتنا الطويلة إلى أقصى الجنوب القديم، ولم نتخل عن أمل الدخول إلى إقليم آتشيه الذي تعرض من جراء الزلزال والمد البحري إلى ما يشبه الإبادة الكاملة، وبرغم ما وصل إلى مسامعنا من أن السلطات الإندونيسية قد بدأت في طرد الصحفيين من المناطق المتضررة، نظرا لسوء الأوضاع وتفشي الأوبئة والأمراض، فإننا قررنا أن نخوض التجربة ونتحدى المستحيل.

وقد عرفنا أنه علينا الانتظار يومين كاملين في جاكرتا، لأن الطائرة الوحيدة التي تقلع يوميا إلى باندا آتشيه كاملة العدد، فأسقط في أيدينا، وأجرينا اتصالا مع سفارة مصر في جاكرتا، كنا على أثره داخل مكتب سفير مصر بإندونيسيا، الذي كان عائدا لتوه من إقليم آتشيه ورسم لنا صورة ملخصة للوضع هناك، وحاول أن يثنينا عن فكرة السفر إلى هناك لخطورة الموقف وصعوبة الظروف وعدم وجود أي مكان للإقامة، فكل المباني والفنادق والبيوت أصبحت تحت الثرى، والمياه غير صالحة للشرب، ولا حتى للاستعمال الآدمي، والأكل منعدم ولا توجد حمامات.

وبسبب ذلك تحول المكان إلى بؤرة للأوبئة الخطيرة، الملاريا والكوليرا والالتهاب الكبدي، وحذرنا السفير من أن التلوث يحيط بكل مكان. والحقيقة أن تحذيرات السفير لم

تفاجئنا لأننا كنا على علم بها، وأجريت التطعيمات اللازمة للوقاية من كل هذه الأمراض، ولكن مازال الخطر يدق أجراسه ولابد من الحرص الشديد في كل خطوة سنخطوها في آتشيه. ولم تمنعنا محاذير ونصائح السفير من الإصرار على قرارنا بالسفر إلى المناطق الموبوءة والمنكوبة في آن واحد، واشترينا كل ما نحتاجه من مياه ومعلبات وحقائب ومراتب خفيفة نستلقي عليها أرضا، والأهم كانت في صحبتنا أمتعة طبية وقفازات لحمايتنا من التلوث الموجود في كل شيء نتيجة انتشار الأوبئة بسبب تعفن الكثير من الجثث، وحملنا متعلقاتنا الثقيلة وتنفسنا الصعداء، عندما ارتمى كل منا على مقعده المخصص في الطائرة المتجهة إلى آتشيه.

مسكين هذا الإقليم، وكأن الكون كله قد تآمر عليه، ليكون بؤرة للقلق والعنف والكوارث، ونقطة التوتر دائمة الغليان في إندونيسيا. فقبل أن يكون أول الأقاليم المتضررة بنسبة عالية من جراء تسونامي، يعد موطنا للحركات الانفصالية حيث كان الانفصاليون الإسلاميون يطالبون دوما بالاستقلال عن إندونيسيا، مثلما حدث بالضبط مع إقليم تيمور الشرقية، الذي استطاع أن ينفصل عنها. حركة آتشيه الحرة اتخذت طابعا دينيا من خلال تبنيها الدعوة إلى إعادة السلطنة الإسلامية القديمة، ولم يهدأ الإقليم يوما من تبادل إطلاق النار بين رجال حركة آتشيه ورجال السلطات الإندونيسية، لدرجة أن الحكومة الإندونيسية منعت دخول أي أجنبي إلى إقليم آتشيه، وأما الآن أصبح هذا ممكنا بعد أن تحول الإقليم إلى كارثة إنسانية.

في اليوم المحدد للسفر إلى باندا آتشيه عاصمة إقليم آتشيه، توجهنا إلى المطار فجرا للحاق بالطائرة المقرر أن تغادر في السادسة. وبعد انتهاء الاجراءات العادية دخلنا إلى الطائرة، ولكن الموعد المحدد للتحرك مرّ بينما الطائرة مازالت في مكانها، لنفاجئ بمساعد الطيار يعلن أن الرحلة ستتأخر لبعض الوقت، بسبب سوء الأحوال الجوية في جاكرتا وازدحام مطار آتشيه، حيث تأتي الطائرات إليه من كل مكان في الدنيا بدون سابق إنذار، خاصة الطائرات المروحية والطائرات الخاصة التي تحمل عمال الإغاثة والأطباء خاصة الأوروبيين والاستراليين.

وبعد تأخير حوالي ساعة ونصف تحركت الطائرة لتحط أولا في مطار مدينة ميدان عاصمة إقليم سومطرة الشرقية، وتقف هناك لمايزيد على الساعة، لتنطلق بعدها إلى

آتشيه التي لاتبعد عنها أكثر من نصف ساعة. وفي الموعد يبلغنا الطيار بأننا نقترب من آتشيه ويبطئ من سرعته ويدور حول المدينة المنكوبة حتى يتيح لنا رؤية المنظر من الجو. وهنا نفاجأ بأن كل مارأيناه عبر شاشات التليفزيون أو سمعناه عن حجم الدمار لايمت للحقيقة بصلة، فالأمواج العاتية التي اجتاحت المدينة عقب الزلزال لم تكتف بإغراق المدينة وحصد أرواح البشر، ولكنها محت المباني كلها تقريبا من فوق الخريطة في مساحة شاسعة من المدينة التي توصف بأنها كانت حتى أقل من شهر مضى من أجمل المدن، ليس في آتشيه فقط ولكن في إندونيسيا كلها تقريبا.

وكلما خفض الطيار من ارتفاعه أحسسنا بهول الكارثة، حيث كانت المناطق المنكوبة تبدو وكأنها لم تكن مقطونة من قبل، فلا يوجد مبنى مايزال قائما تقريبا سوى بعض المساجد، أما بقية المباني فقد اقتلعتها الأمواج من جذورها ونثرت أنقاضها على مساحة كبيرة فلا تظهر من الجو، كأنها أنقاض مبنى كان هنا أو هناك منذ أسابيع قليلة، ومازالت المياه تغرق أجزاء كبيرة من المدينة.

ومع قيام الطائرة بالتحليق فوق مطار باندا آتشيه، تطالعنا من الجو صورة مئات التوابيت الموجودة في أحد أركان المطار استعدادا لشحنها بما فيها من ضحايا إلى مدنهم وقراهم خارج الإقليم المنكوب، كما فوجئنا بالكم الكبير من الطائرات الموجودة في هذا المطار الصغير الذي كان فيما مضى يستقبل طائرة واحدة كل عدة أيام.

وفي المطار قابلتنا فوضى هائلة، فالعثور على الحقائب كان أصعب من ركوب الطائرة نفسه، خاصة وقد تسبب الضغط على المطار في تعطيل كل شيء فيه. وكان علينا الوقوف في العراء تحت درجة حرارة لاتقل عن ٤٠ مئوية للبحث عن حقائبنا التي كانت تحتوي الطعام والمياه والدواء وقليل من الملابس، لأن كل شيء في آتشيه أصبح ملوثا والجميع في جاكرتا نصحونا بعدم استخدام أي شيء من هنا. ودفعنا الفضول الصحفي إلى القيام بجولة قصيرة في المدينة المنكوبة قبل الذهاب إلى المركز الصحفي.

وبعد هذه الجولة ذهبنا إلى المركز الصحفي لنكتشف أن الفوضى فيه لاتقل عن تلك الموجودة في المطار بل تزيد عنها بمراحل، وأننا لم نكن أول من فكر في الإقامة في فنائه، فالمئات سبقونا إلى هناك وافترشوا الأرض بخيامهم أو حتى بدون خيام، أما المسئولون الإندونيسيون فقد اختفوا تماما ويقال أنهم ذهبوا إلى جاكرتا لقضاء العيد قبل

أن يعودوا لاستئناف عملهم الذي يعرفون أنه سيستمر لشهور إن لم يكن لسنوات مقبلة، خاصة إذا عرفنا أن الجثث التي جرى استخراجها حتى الآن أقل من نصف الرقم الرسمي المعلن وهو ١١٥ ألف قتيل والباقي مازال أسفل الركام وأنقاض المنازل، وهناك أحياء كاملة لم تصل إليها أيدي عمال الإنقاذ حتى هذه اللحظة. ويؤكد السكان المحليون، تساندهم وسائل الاعلام، أن هناك ١٥٠ ألف مفقود آخرين يرجح الجميع أنهم لقوا مصرعهم، وهو ماسيرفع العدد النهائي للقتلى في إندونيسيا وحدها إلى مايقرب من ٢٧٥ ألف شخص.

.....

وفي أهرام ٢١ يناير بالصفحة الأولى: أمواج تسونامي تجرف سفينة شحن عملاقة كلعبة أطفال!. شيء لا يصدقه عقل ولا منطق، ويفوق خيال مخرجي أفلام السينما الأمريكية الشهيرة، ما شهدناه في إحدى قرى باندا آتشيه، حيث فوجئنا في أثناء جولتنا في قرية بلانشت بسفينة شحن عملاقة من تلك السفن التي تصارع أمواج أعالي المحيطات، غير أنها انكسرت أمام أمواج تسونامي العملاقة، فجرفتها كلعبة من ألعاب الأطفال بمن فيها إلى داخل تلك القرية المنكوبة، غير أنه لم يبق فيها من المواد المشحونة شيء، ولا نعرف ماذا كانت هذه المواد بالضبط. حاولنا البحث والتنقيب، لنعرف المزيد من المعلومات، غير أن الحالة المأساوية، التي تخيم على الأوضاع في الإقليم كله تجعل من الصعب البحث والتنقيب، أما فرق الإنقاذ الدولية التي تدفقت بياناتها وأرقامها مثل أمواج تسونامي، فهي نادرة!

.....

وفي الصفحة الأولى بأهرام ٢١ يناير. في مواصلة لبعثة الأهرام: يتضاءل الخيال السينمائي الواسع أمام واقع كارثة تسونامي، فالأشجار الضخمة العملاقة تحولت في لحظة إلى أعواد خضراء، المباني الأسمنتية أصبحت علبا من ورق، والأغرب من كل ذلك حينما تشاهد السفن العملاقة، وقد تحولت إلى لعب أطفال تفعل بها تسونامي ماتشاء، وهي التي تصارع أمواج أعالي المحيطات وتنتصر عليها في معظم الجولات. داخل قرى آتشيه الواقع يفوق الخيال ورائحة الموت والخراب تخيم على أرجاء المكان،

ولابد أن تكون الخطوات حذرة وبطيئة خشية أن ندهس بأقدامنا جثة طفل رضيع أو أجزاء من جثث رجال أو سيدات تلك المناطق المنكوبة.

القرى تحولت إلى بحيرة من المياة الراكدة التي تحولت إلى أوكار للأوبئة والأمراض، غير أن أثار الحياة التي كانت لاتزال شاهدة على عنف المأساة وضراوتها، فهاهي شجرة ضخمة من تلك الأنواع التي تضرب بجذورها في أعماق الأرض لسنوات طويلة وممتدة قد استلقت على الأرض مستسلمة لقدرها المشئوم ولم تفلح جذورها العميقة في حمايتها.

غير أن مايلفت الانتباه هو صمود المساجد أمام تلك الأمواج العاتية التي أتت على الأخضر واليابس والبشر والحجر، فقد انكسرت تلك الأمواج أمام معظم مساجد إقليم باندا آتشيه، وخاصة جامع قرية بلاندي الذي مازال يقف شامخا شاهدا على قسوة الطبيعة. الأمر لايختلف عن قرية يلوني بلانشت القرية الثالثة على التوالي والتي استقبلت بلانشت بعدد لا مثيل له من الجثث المتعفنة التي وضعتها فرق الإنقاذ في أكياس بلاستيكية تفاوتت ألوانها مابين الأصفر والأسود. ولم تلفح الكمامات التي وضعتها لحمايتنا من تلوث الجو في أن تمنع أو حتى تخفف من رائحة العفن المنبعثة من الجثث، والتي يبدو أنها ظلت تحت الأنقاض منذ اليوم الأول لحدوث الكارثة. واقشعرت أبداننا واستطاعت مشاعر الحزن والمرارة والانكسار أن تنال من قلوبنا، فيالها من كارثة لم تشهدها البشرية من قبل.

"تورنياني" سيدة وقفت وسط أنقاض منزل لم يتبق منه بالكاد سوى أقل من نصفه، ومن السهل أن نتعرف على الحزن الذي يكسو ملامح وجهها. نظرتها الزائغة المتأملة لتلك الأنقاض دفعتنا للاقتراب منها، وسؤالها بواسطة مرافقنا آني الإندونيسي الذي يتكلم اللغة الانجليزية، عن حكايتها مع أمواج تسونامي. وبصوت خافت مكسور بدأت حكايتها. كنا نستعد للغداء أنا وزوجي وابني وابنتي. سمعنا صوتا لم نسمعه في حياتنا من قبل. أسرعنا جميعا إلى الخارج وأصبت بحالة من الذهول عندما وجدت أمواج البحر تهجم علينا، شعرت بأنني أطير في الهواء عاليا وأرتمي بعيدا بالقرب من سطح المنزل المجاور. كل ما اتذكره أنني رأيت ابني البالغ من العمر٢١ عاما معلقا من بطنه في سقف منزلي الذي ترونه أمامكم ويتحول إلى أنقاض. لم يحدث لي شيء ولكني فقدت

ابني، وعرفت بعد ذلك أنهم قد أخرجوا جثة ابنتي وقد راحت أشلاء. ثم انخرطت السيدة في حالة من البكاء وبشدة، أحسسنا بالحزن والاختناق وتركناها بعد أن قدمنا لها العزاء.

وكان أغرب وأقسى وأعنف مشهد لن ننساه، طال العمر أو قصر، مارأيناه في قرية بلوتي بلانشت، شيء لايصدقه ولا يستوعبه عقل. سفينة شحن بضائع من تلك التي تنقل عبر المحيط من دولة إلى أخرى، جرفتها أمواج تسونامي العاتية من وسط المحيط لتستقر في قلب قرية بلوتي بلانشت. مشهد قد لا تراه في عمرك أبدا سوى في أفلام الأكشن الأمريكية، وقد سيطرت علينا حالة من الذهول أمام ضخامة تلك السفينة، وحاولنا جاهدين أن نتخيل شكل وقوة تلك الأمواج التي جرفت هذه السفينة العملاقة من قلب المحيط إلى قلب القرية، والحق فشلنا. وكما قلنا في البداية إنه شيء لا يصدقه عقل.

طوال رحلة عودتنا إلى المركز الصحفي حيث مكان إقامتنا ونحن نسأل أنفسنا إذا كانت فرق الإنقاذ تنحصر مابين قوات الجيش الإندونيسي وشباب الجامعات والمدارس المتطوعين، فأين حشود القوات الأجنبية الموجودة على أرض إقليم باندا آتشيه، والتي من المفترض أن تقوم بهذا الدور، وهل حقا مانسمعه عن تلك الأرقام الخيالية التي تقدمها تلك الدول إلى المتضررين، وأن هناك أسرارا وخفايا وراء الكواليس؟ أسئلة ربما تعرف إجابتها إذا تابعت معنا الرسالة المقبلة.

.....

وفي تقارير المراسلين بأهرام ٢٢ يناير. المصادفة وحدها كانت وراء لقائنا بمجموعة من الأطباء المصريين الذين سبقونا إلى زيارة باندا آتشيه لتقديم يد العون والمساعدة إلى سكانها المنكوبين. فلسنا وحدنا الذين عشنا في قلب الموت على أرض مدينة الأشباح. أقدامنا ليست وحدها التي تجولت بين أرجاء الخراب والدمار وسارت على أنقاض الآلاف من بقايا البشر، وأعيننا ليست وحدها التي رأت الجثث الملقاة على جانبي الطريق، في انتظار من يضع ما تبقى منها في كيس بلاستيك. لسنا وحدنا الذين عشنا في العراء ونمنا لحظات معدودة على أرض الإقليم المنكوب. إنه الفريق الطبي المصري المدرب والمتخصص في التعامل مع الكوارث، الذي التقينا به عندما كنا في آخر يوم لنا في العاصمة جاكرتا نجهز ونعد العدة لتلك المهمة الثقيلة التي بانتظارنا، والتي لم نتوقع أن تكون الصورة فيها كما رأينا بهذه البشاعة.

عندما التقى بنا السكرتير الثالث بالسفارة المصرية بإندونيسيا، فاجأنا بالقول أن مجموعة الأطباء المصريين قد عادت منذ يومين من إقليم باندا آتشيه إلى العاصمة جاكرتا بعد رحلة معاناة شديدة، اضطر معها السيد السفير والسيد السكرتير أن يلحقا في اليوم التالي فقط بالفريق الطبي فور وصوله إلى الإقليم المنكوب. على الفور طلبنا مقابلة من الفريق، وفي لحظات قليلة كنا داخل منزل السيد السكرتير حيث كان في استقبالنا اثنان من هذا الفريق الذي ضم ٦ اطباء والأربعة الباقون كانوا مشغولون بتأدية مهمتهم في مستشفيات جاكرتا. اثنان من الأطباء أحدهما استشاري بجراحة المخ والأعصاب والآخر طبيب تخدير، كانا في حالة ارهاق شديد وكأنهما لم يريا النوم منذ أسابيع، وسيطرت على الجلسة حالة من الحزن والصمت.

قال أحدهما: كانت بداية الانطلاق في المهمة مع طائرة المعونات والمساعدات التي أرسلتها مصر إلى الإقليم المنكوب، وتلبية لرغبة وزارة الصحة الإندونيسية في إرسال فريق طبي مصري يسهم في عمليات الطوارئ بإقليم آتشيه من جراء كارثة تسونامي. وقد سافرنا يوم ٧ يناير على الطائرة المصرية " ف ١٣" والتي كانت محملة بـ ١٣٠ طنا من المعونات إلى المنكوبين والمتضررين. وصلنا إلى العاصمة جاكرتا واطمئننا على تسلم السلطات الإندونيسية حمولة الطائرة ولم نسترح بعد رحلة السفر الطويلة التي استغرقت حوالي ٢٣ ساعة من القاهرة إلى جاكرتا. بعدها سافرنا على الفور إلى الإقليم المنكوب وما أن وصلنا إلى مطار آتشيه إلا وبدأت رحلة المعاناة.

ويستكمل الطبيب الآخر قائلا: ببساطة وجدنا أنفسنا في الشارع حيث لم نجد أحدا من المسئولين الإندونيسيين في انتظارنا والمدينة تسودها حالة من الفوضى، الخيام منتشرة هنا وهناك تعسكر فيها فرق الإنقاذ من الدول الأجنبية، لا أحد يتحدث الانجليزية، فمعظم الشعب الإندونيسي يتكلم الإندونيسية. لم نعرف أين ننام حيث لم يعد هناك مكانا للإقامة ولا توجد استراحات، لذلك توجهنا على الفور إلى مكتب المحافظ الذي يقيم به معظم الإعلاميين الموجودين بالمدينة. ووجدنا أنفسنا تائهين، فاستغثنا تليفونيا بسفير مصر في العاصمة جاكرتا الذي لم يتأخر علينا، وفوجئنا به في اليوم التالي أمامنا في آتشيه ومعه السكرتير الثالث للسفارة.

ومثلنا مثل السفير، افترشنا الأرض للنوم عليها وعشنا على الفاكهة والمعلبات. والحق فإن كل هذا لايهم فلقد قطعنا كل هذه المسافة من أجل الرسالة الإنسانية. كان همنا الأول أن نؤدي تلك المهمة على أفضل وجه. وهنا تكمن قمة المعاناة التي رأيناها خمسة أيام هي المدة التي قضيناها في آتشيه، كنا نقوم فيها يوميا بزيارة كل المستشفيات بحثا عن المصابين لعلاجهم، والمفاجأة إننا لم نجد سوى ٦ أو ٧ مرضى فقط مصابين بأمراض عادية مثل الإسهال أو القيء. وهذا بالطبع يخالف الصورة التي رسمناها قبل أن نتحرك من مصر. فقد اتضح أن كارثة تسونامي لم تخلف وراءها مصابين بل قتلت أعدادا لا تحصى، وأما الناجون فهم الذين يسكنون الجزء الآخر من المدينة الذي نجا من الأمواج العاتية، وأما عن المستشفيات ذاتها فهي بالطبع قد دمرت، خاصة أكبر وأهم مستشفى في آتشيه وهو مستشفى زين العابدين الذي يوجد فيه الأمريكيون ويحاولون ترميمه.

لذلك وجدنا أنفسنا بكل تخصصاتنا الطبية لا مجال لنا للعمل، خاصة أن كل القوات الأجنبية من الأمريكيين والاستراليين والكوريين يعسكرون في المنطقة بفرقهم الطبية التي لاداعي لها، لأنه كما قلت لايوجد مصابون بل موتى! ولقد تعجبنا عندما عرفنا أن الأمريكيين نزلوا إلى الإقليم بحاملات طائرات وخيام مجهزة ومعهم طعامهم وشرابهم، في حين أن كل الفرق المتطوعة والجيش الإندونيسي كانت تعمل وفق إمكاناتها في ظل كارثة مروعة.

لقد أخرج فريق الإغاثة اليمني وحده ٤١٧ جثة من تحت الأنقاض من بين ١١٩ ألفا، وهناك مايقرب من ٥٠ ألف جثة مازالت تحت الأنقاض، لأن الكارثة لايستوعبها عقل، لهذا عدنا إلى جاكرتا بعد قضاء أسوأ خمسة أيام مرت بنا في حياتنا، بعدها اتصلنا بوزيرة الصحة الإندونيسية وأوضحنا لها الموقف، فطلبت منا العمل في مستشفيات جاكرتا التي توجد بها حالات تحتاج إلى تخصصاتنا. ومنذ عودتنا إلى العاصمة نجري العديد من العمليات الناجحة ولكننا سنعود إلى مصر في القريب العاجل.

وحديثنا مع فريق الأطباء المصريين كشف لنا عدة حقائق أهمها لايوجد بالفعل مصابون بل ناجون، أو بالأحرى لاجئون فقدوا كل شيء في لحظة بعد أن رأوا طوفان الموت بأعينهم.

.....

وفي ملفات الأهرام ٢٣ يناير تُواصل بعثة الأهرام: من أول لحظة وطأت أقدامنا أرض المدينة المنكوبة باندا آتشيه، ونحن في بحث مضني عن المصابين والجرحى الذين حالفهم الحظ ونجوا من مخالب أمواج تسونامي المتوحشة، وكاننا نبحث عن إبرة في كومة من القش، تلك كانت المفاجأة التي نزلت على رؤوسنا كالصاعقة تماما، إذ أن الطوفان افترس معه الأخضر واليابس والبشر، وأباد كل من حاول الوقوف أمام قوته وجبروته، فقط نهر كمروم آتشيه الذي يقسم المدينة إلى جزءين، الذي يدين له ساكنو الجزء الثاني من الإقليم بالفضل الكبير في بقائهم على قيد الحياة، هو الوحيد الذي استطاع بمياهه الهادئة أن يقف أمام جبروت الطوفان فيمنعه من إبادتهم جميعا.

إذن ليس أمامنا سوى الناجين، أو كما يطلق عليهم اللاجئون الذين شهدوا لحظات الطوفان القاسية وسمعوا صوت الأمواج الهادر، ورأوا بأعينهم الموت يحلق فوق رؤوسهم ويقتحمهم دون رحمة. ترى.. كيف حالهم في ظل تلك المأساة التي وجدوا أنفسهم في لحظة واحدة ودون أي مقدمات محاصرين بها. أسئلة وعلامات استفهام كثيرة لحقتنا طوال الطريق إلى منطقة ساطاي الملاصقة لبيت الرحمن، أحد أهم وأشهر مساجد أتشيه التي وقفت صامدة شامخة أمام مياه الطوفان الهادرة.

ما أن بدأت السيارة تدخل بنا إلى ساطاي معقل اللاجئين المتضررين من كارثة تسونامي إلا والتف حول العربة كتل من البشر يحاولون الوصول إلينا، وما أن تحدث معهم مرافقنا باللغة الإندونيسية، حتى انفضت دائرتهم من حولنا، وفهمنا بعد ذلك إنهم كانوا يعتقدون أننا نحمل إليهم مساعدات من النقود والطعام والشراب.

من أول وهلة تقع عيناك على وجوه وملامح البشر، وعلى كمّ الخيام المنصوبة والمتلاصقة في منطقة ساطاي. سرعان ما يتسرب إليك إحساس بأنك أمام مأساة ومعاناة حقيقية، وسرعان ما تضبط نفسك متلبسا بالقول: إن الموت كان أرحم بكثير. وكان أول مشهد لطفلة صغيرة وحيدة تجلس على دكة خشبية متهالكة، لا يتجاوز عمرها ست سنوات، عيناها مليئتان بنظرات الحزن والانكسار، حاولنا أن نداعبها ونتحدث معها بلطف من خلال مرافقنا، لكنها لا تجيب، فقط تنظر إلينا بانكسار وحزن لا يوصفان،

نظراتها الصامتة إلينا تنهش صدورنا بالفضول والإصرار على معرفة مأساتها، بحث مرافقنا عن أسرتها، فعاد إلينا ومعه والدتها أو هكذا ظننا في البداية.

وما أن بدأت السيدة تتحدث إلا وشعرنا بالقشعريرة تدب في أجسادنا، قالت إن هذه ليست ابنتي ولا أعرف حتى اسمها، فهي لا تنطق بكلمة واحدة منذ أن هربنا من الأمواج وجئنا للمعيشة في تلك الخيام. فقط كل ما أعرفه أننا وجدناها تصرخ وتبكي وسط مياه البحر التي كادت تغرقها، فانتشلها زوجي وحملناها مع أولادنا هربا من الأمواج التي هاجمتنا في اليوم الأسود، وظلت فاقدة الوعي لمدة يومين كاملين، فظننت أنها سوف تموت، ولكن الله وحده قد شفاها، وحاولت البحث عن أسرتها، ولكن يبدو أنهم جميعا قد راحوا تحت الأنقاض أو غرقا وسط الأمواج، فقررت أن أحتضنها وأقوم بتربيتها مثل أولادي.

كانت الطفلة الصغيرة تنصت باهتمام لكل ما تقوله السيدة، لم تكن في حاجة إلى أن تتكلم فعيناها تجسد ليس مأساتها وحدها بل مأساة باندا آتشيه وكل أهلها. قبل أن نتركها سألنا السيدة التي أصبحت والدتها بين يوم وليلة ترى ما هو اسمها؟ أجابتنا لقد أسميناها تسونامي!

مخيمات فقيرة وبائسة ومريرة تلك مخيمات ساطاي التي يسكن بها مئات المشردين من جراء كارثة تسونامي، الخيام متلاصقة بجانب بعضها بشكل لا يوصف. والخيمة الواحدة تنام فيها أسرتان بأولادهما. أما الخيمة الكبيرة فقد ينام فيها ١٣ أسرة معا مع حاجاتهم من ملابس وأثاث وأدوات أو ما تبقى لها وتركته الامواج.

"اسين دار" افترشت الأرض مع مجموعة من النساء لتحضّر لوجبة الغداء. جلسنا معهن لنسمع تفاصيل مأساتهن، بدأت اسين دار حديثها قائلة: بيتي كان في لام تامان الشرقية، رأيت البحر عندما هجم علينا، لم أفكر لحظة واحدة، احتضنت ابنتاي وسبحت بهما وسط المياه ولم يفارقني دعاء لا اله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين، كنت أعرف أنني سأنجو بطفلتي، كنت أسبح وأرى كل شيء ينهار حولي، البيوت والأشجار والأحجار، لقد ظننت أنه يوم القيامة، كانت الجثث من حولي هي الشيء الوحيد الذي دفعني وأجبرني أن أفيق فلا أقع في حالة إغماء، عندما انحسرت المياه كنت أجد الموتى

عرايا بلا ملابس، وجثثا فقدت رؤوسها وأقدامها، لقد نجوت والفضل للدعاء الذي سبق ورددة سيدنا يونس في بطن الحوت.

"سام ماديا" امرأة التهم الحزن ملامح وجهها، الصفار هو اللون الطاغي على بشرتها، راحت تتحدث بعيون مكسورة قائلة: سبحت أنا وزوجي إلى أن وصلنا إلى المسجد، مثلنا مثل الكثيرين لنحتمي به، كنت أحاول الذهاب إلى مدرسة بناتي لكي انقذهن ولكنهم منعوني، ولطمني زوجي لطمه أفقدتني الوعي، وحين أفقت كان كل شيء قد انتهى، وخرجت من المسجد أجري بين الأنقاض، وكانت قدماي تدوس على مئات الجثث الملقاة على الأرض في كل مكان، وعندما وصلت إلى المدرسة، لم أجدها، مجرد جدران مهدمة، حاولت أن أزيل بيديّ كتل الأسمنت، ولكني فشلت، وعدت مع زوجي لنقيم في خيمة إيواء، بعد أن كنا نعيش في بيت وسط أسرة، ولا أعرف حتى الآن أين طفلتاي، وكنت أتمنى أن أدفنهما بنفسي ولكن "إنا لله وإنا إليه راجعون".

خيمة كبيرة تضم ١٣ أسرة يعيشون جميعا فيها، دخلنا وافترشنا الأرض بجانبهم. "سبيل" بدأ حديثه قائلا: فقدت زوجتي وبناتي الثلاث، رأيتهم يغرقون أمام عيني ولم أستطع أن أفعل لهم شيئا، وألقت بي أمواج البحر فوق سطح المسجد فكتب لي عمر جديد لا يسعدني، لأنني رأيت أسرتي كلها تغرق أمام عيني وأنا عاجز خائف، ورحت من هول الموقف في حالة إغماء، وعندما أفقت انتقلت للعيش في تلك الخيمة. سألناه كيف تعيش وهل المعونات التي تقدمها الدول الأجنبية والعربية تصل. أجابنا: لم نر أحدا من الأجانب، كل الذين أتوا إلينا كانوا من السعودية والإمارات ووزعوا علينا نقودا، أما عن معونات الأجانب فهي تصل إلينا ولكنها قليلة ومعظمها يباع في المحلات، وأكبر مشكلاتنا على الاطلاق هي مياه الشرب، لأن المياه المتوافرة لا تصلح أبدا للشرب، ولكن بعض المنظمات العالمية مثل اكسفام توزع علينا المياه بسياراتها، وإن كانت لا تكفينا، وصحيح أن المياه المعدنية بالمحلات، ولكن من أين لنا بالنقود لكي نشتريها.

"أراني" شاب في مقتبل العمر، فقد زوجته وأخته وأمه وجده، بدأ حديثه بصوت خافت قائلا: رأيت الأمواج آتية علينا من بعيد مثل ثعبان الكوبرا، المياه كانت سوداء مرتفعة ارتفاعا هائلا يفوق عشرة أمتار، كانت تأخذ كل شيء أمامها، جريت كثيرا، وكنت أحمل ابني، وفجأة وجدتني أسبح، وأختي تموت بجانبي ولم أستطع أن أفعل لها شيئا، ماتت

أسرتي كلها. والآن أعيش وحيدا مع ابني في تلك الخيمة، نعيش على المعونات والمساعدات القليلة التي تصلنا.

غادرنا مخيم ساطاي وقد تمكن منا الحزن واعتصرت قلوبنا الآلام، انطلقنا وعيون الطفلة تسونامي لا تفارقنا، فهي خير رفيقة لإكمال جولتنا في باندا يونج الأكثر يأسا والأكثر خرابا ودمارا.

.....

وفي "العالم" ٢٤ يناير لبعثة الأهرام: كانت زيارة شاطئ البحر الذي اندفع من ناحيته الطوفان هدفنا الأخير، قبل أن نحزم أمتعتنا عائدين إلى جاكرتا، التي سننطلق منها إلى سريلانكا ثاني كبرى الدول التي أصابتها كارثة تسونامي، وبالفعل طلبنا من مرافقنا الإندونيسي "أدا" إبلاغ السائق بوجهتنا، وما أن عرف ماذا نريد حتى شرد قليلا، فظننا أنه سيرفض الذهاب. وبعد لحظات طلب من أدا إبلاغنا أن كافة الطرق إلى البحر مقطوعة تقريبا، وأنه سيحاول الوصول إلى أقرب نقطة يمكنه الوصول إليها، مما أثلج صدورنا لعلمنا أنه سينفذ وعده. وفي الموعد المحدد للذهاب جاء السائق وأبلغنا عن طريق أدا أنه سيحاول الالتفاف حول المدينة عبر أحد المدقات للوصول إلى البحر مباشرة، وبدأنا رحلتنا إلى البحر قبل الغروب بنحو ثلاث ساعات وبعد أن خفت حدة الحر القائظ.

لم تكد تمر سوى قرابة نصف الساعة على بدء الرحلة إلى البحر، حتى وجدنا أنفسنا مضطرين للوقوف، بعدما شاهدنا شيئا عجيبا لم نره من قبل، وهو العشرات من مراكب الصيد، وقد اصطفت بما يشبه النظام داخل منازل وعلى أسطح منازل أخرى وداخل محلات، وعرفنا من مرافقنا أننا في قرية الصيادين، واسمها باندا يونج. هذه القرية التي يشطرها نهر كان مكتظا بالمراكب، وما أن جاء الطوفان، حتى جرف المراكب من النهر ليضعها في البيوت ويزرعها في المحال التجارية، ففي أحد معارض بيع السيارات اختفت السيارات ليحل قاربان في صالة العرض مكانها.

وبالنسبة لمحلات بيع الأسماك، فلم نر من معالمها شيئا سوى بعض طاولات العرض المتناثرة هنا وهناك، خاصة بعدما دُفنت المحلات بمن فيها من بشر أسفل جبال من الركام والطين اللذين جرفتهما الأمواج العاتية. وغطى الطين والركام ضفتي النهر بشكل

يصعب معه التكهن بالاتجاه الذي جاء منه الطوفان. وامتد هذا المدفن الجماعي الطبيعي ليشمل عشرات المنازل القريبة من الضفتين. وحتى لحظة دخولنا قرية باندا يونج لم تكن يد الإنقاذ قد وصلت إلى الجانب الأكبر منها، ولكننا لاحظنا وجود جرافات ضخمة في الحي التجاري وحراسة أمنية مشددة، وفهمنا أن العمل بدأ في هذا الحي بشكل خاص، لوجود كميات هائلة من البضائع أسفل الركام، خاصة في المجمع التجاري الضخم "المُول" الذي انهارت طبقاته الواحدة فوق الأخرى، في انتظار من يرفع الأنقاض وينقذ ما يمكن إنقاذه، خاصة وقد انحسرت المياه من شوارع القرية تماما.

ويبقى منظر قارب صيد كبير خرج من النهر ليحتضن أحد الكباري المطلة عليه، ويبرز بمقدمته فوق الكوبري وكأنه نصب تذكاري صناعي شاهدا على مأساة باندا يونج، التي كانت فيما مضى قرية للصيادين قبل أن يصطادها الطوفان.

واصلنا طريقنا بعد ذلك إلى البحر، محاولين التركيز فيما هو آت، ونسيان ما رأيناه في باندا يونج. لم يقابلنا بعد ذلك مخلوق واحد في طريقنا، وكأن باندا يونج كانت نهاية العالم المسكون. على مرمى البصر كانت الأرض مستوية، لا مباني ولا حتى أنقاض مباني، ولكن كنا نرى بين الحين والآخر جثة ملفوفة في كيس ومتروكة في عرض الطريق أو على جانبه، وكأن فرق الإغاثة قد نسيتها، وكنا نرى أيضا بعض الآثار البشرية مثل كرسي فوتيه يقف وحيدا في مواجهة البحر وكأنه في انتظار صاحبه ليجلس عليه.

كان خلو الأرض شبه التام في طريق البحر، سببا كافيا لكي نعتقد أن هذه المنطقة كانت حرما للبحر، ولم يكن عليها مبان، لأنه ببساطة لا توجد أثار لأي مبان. وفوجئنا عندما أُبلغنا أن المنطقة كانت مكتظة بالمباني، ولكن قربها الشديد من البحر جعله يقتلعها من جذورها عندما أصابته نوبة الهيجان الجنوني المسماة تسونامي، واستخدم أنقاضها سلاحا له في غزوه للداخل، فكانت أنقاض مباني الشاطئ هي ثعبان الكوبرا، الذي يحكي بعض الناجين أنهم شاهدوه يهاجم المدينة لحظة الطوفان. وعندما هدأ الموج بعد غزواته الثلاث المتتالية لباندا آتشيه وضواحيها وانحسرت المياه، كان من الطبيعي أن تبدو المنطقة المجاورة للبحر عارية تماما كما كانت في العصور التي سبقت استيطان البشر أرض آتشيه.

قبل الغروب بوقت قصير، وصلنا إلى الشاطئ. وعندما نزلنا من السيارة وارتجلنا في طريق البحر لم نتخيل أبدا أن هذا الهادئ الوديع الذي تخلب مياهه الفيروزية الرائعة الألباب، هو نفسه ذلك الوحش الكاسر الذي أباد مدينة كاملة بمن فيها من أجيال وآمال، وخلف حزنا لا يمكن أن تمحوه الذاكرة، خاصة بالنسبة للاطفال الذين وجدوا انفسهم وحيدين في العالم مهما حاول الآخرون تسليتهم، كالطفلة تسونامي الموجودة في مخيم اللاجئين، التي جعلتها الصدمة عاجزة عن الكلام وتكتفي فقط بتفحص كل شئ بدون أن تفتح فمها، ومهما حاولت مداعبتها تأبى الابتسام.

ومع غروب الشمس تكتمل مأساة عدم التخيل، فالمنظر في المنطقة قل أن يوجد في مكان آخر في العالم. فالجبال المكسوة باللون الأخضر تطل على البحر من الزاوية المقابلة، والاثنان يشكلان معا لوحة بديعة يصعب تخيلها لحظة الغروب. والشئ الأكثر إثارة للاندهاش، هو كيف يتسبب الجمال في الموت، فلولا أن جمال المكان اجتذب البشر لما سكنوه ولما داهمتهم أفعى تسونامي الغادر من البحر الذي عشقوه.

وعندما لاحظنا أن الوقت بدأ في التسرب من بين أيدينا، ونحن نتعجب مما حدث، قفزنا بسرعة إلى السيارة طالبين من السائق العودة إلى حيث أتى، قبل أن يحل الظلام ونتوه في طريق العودة، الذي لا توجد فيه سوى الجثث المغلفة ورائحة الموت التي تزكم الأنوف وتذكر البشر بقدراتهم المحدودة وبأنهم بلا حول ولا قوة أمام إرادة الله العلي القدير.

.....

وفي الصفحة الأولى لأهرام ٢٤ يناير. أنهت بعثة الأهرام جولتها في المناطق المنكوبة بإندونيسيا، وتستعد للتوجه إلى سريلانكا، ثانية الدول الكبيرة التي أضيرت من تسونامي، وفي رسالتها الخامسة تصف البعثة مشاهد الموت والدمار التي خلفها الطوفان في إقليم باندا يونج، الذي اختفت فيه قرى ساحلية بالكامل، ودفع الطوفان بمبانيها إلى الداخل ليضرب بها مدنا أخرى!

.....

وفي تقارير المراسلين بأهرام ٢٩ يناير: منذ اللحظة الأولى التي غادرت فيها بعثة الأهرام إندونيسيا إلى سريلانكا، كان الهاجس الوحيد الذي سيطر على عقولنا، هو أن

القارئ سرعان ما يقارن بين أرقام الضحايا في إقليم آتشيه الإندونيسي، والتي وصلت إلى مايقرب من ٢٠٠ ألف قتيل حتى الآن، والخسائر البشرية في سريلانكا، والتي تقول البيانات الرسمية أنها لم تتجاوز حتى الآن ٣٢ ألفا. وهي مقارنة قد تُفقد الاهتمام بما حدث في سريلانكا، بعدما سمع ورأى وقرأ عن هول ماحدث في آتشيه. ولكننا سرعان ما اكتشفنا أن حجم الكارثة في سريلانكا لايقل، إن لم يزد، عن نظيره في إندونيسيا. والفرق الوحيد هو أن كارثة إندونيسيا تركزت في إقليم آتشيه، أما في سريلانكا فقد كانت كارثة قومية عامة أثرت بقوة في معظم المدن وضربت الاقتصاد السريلانكي في مقتل.

وبتفصيل بسيط، فإن آتشيه مجرد إقليم واحد من أقاليم إندونيسيا، وهي مساحة محدودة من مساحة البلاد الشاسعة، وأن الخسائر فيه تركزت في البشر ومنازلهم فقط، وليس في مصادر الدخل القومي بالبلاد، أما في سريلانكا فالصورة مختلفة، فالبلاد عبارة عن جزيرة واحدة لاتزيد مساحتها عن ٢٥٢٠٠ كيلومتر مربع، وتتركز مدنها الكبرى في المناطق الساحلية، هي المناطق التي يأتي منها معظم دخل البلاد، وهو الدخل القائم على السياحة والصيد. ولأن سريلانكا جزيرة فإن الطوفان الذي أعقب الزلزال في ٢٦ من ديسمبر الماضي، ضرب جميع مدنها الساحلية بلا استثناء وبالتالي ضرب مصادر دخلها القومي.

تبلورت الفكرة أكثر في أذهاننا عندما التقينا بسفير مصر في سريلانكا، في اليوم الأول من وصولنا إلى "كومبو"، حيث شرح لنا كيف أن المقارنة بين أعداد الضحايا في كل من إندونيسيا وسريلانكا ليست عادلة، لأن الاقتصاد القومي الإندونيسي لم يتضرر تقريبا، وأن القضية هناك لاتعدو أن تكون إعادة اعمار، أما في سريلانكا فالوضع خطير، لأن أهم مصدر للدخل تأثر بشدة والمناطق السياحية تحتاج إلى عدة اعوام على أقل تقدير لاستقبال السائحين مرة اخرى، كما أن صناعة الصيد تضررت حيث دمرت مراكز الصيد. واليوم يرفض المواطنين شراء أسماك خوفا من أن تكون قد التهمت جثث الضحايا، وهناك توقعات باستمرار رفض الإقبال على الأسماك لعدة شهور أخرى.

إضافة لذلك، هناك هواجس من بدء تحرك نمور التاميل "المعارضة"، التي تسيطر على أجزاء من شمال وشرق شمال سريلانكا، ويبلغ عدهم مابين ١٢ و١٥%، وهم من

أصول هندية ويدينون بالهندوسية، والصراع مستمر منذ سنوات، وأدى إلى مقتل ٥٥ ألفا وتشريد نحو ٣٠٠ ألف، وقسم البلد إلى قسمين رغم مساحتها المحدودة. وعندما اجتاح طوفان تسونامي الأخير كانت مناطق التاميل من أكثر المناطق تضررا في البلاد، وخافت الحكومة السريلانكية أن تنتهز التاميل الفرصة للحصول على دعم دولي بمطالب الانفصال، لذا أصرت على أن تقوم الحكومات الأخرى بتسليمها المساعدات، وتقوم هي بدورها بتوزيعها على جميع المناطق بلا استثناء، كما حظرت سفر المسئولين الدوليين الزائرين وأعضاء المنظمات الدولية والصحفيين إلى مناطق التاميل، إلا بعد الحصول على تصريحات رسمية. ولذا عندما جاء الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان إلى كولومبو لمعالجة أثار الطوفان، طلبت منه الرئيسة الحالية شامبريكا كومارا تونجا عدم زيارة مناطق التاميل واستجاب لمطلبها بالفعل.

وعندما وصلنا إلى كولومبو، سمعنا عن سيل الاتهامات من قبل التاميل للحكومة، باستغلال المعونات الدولية كسلاح سياسي، واتهامها بمحاولة تجويع مناطق التاميل حتى تضطر لإبرام اتفاق سلام نهائي مع كولومبو، بل وصل الأمر أن التاميل اتهم الجيش بالاستعداد لغزو المناطق التاميلية مستغلة الدمار الذي لحق بها، ومايشاع عن مقتل عدد كبير للقادة الميدانيين لحركة تحرير نمور التاميل ومعهم ٥٠٠ من عناصر الكوماندوز البحري للتاميل الذين يتصفون بالقوة والشراسة وغالبا مايقومون بهجمات انتحارية سريعة ضد السفن البحرية السريلانكية. ومن ناحيتها تتهم الحكومة المتمردين التاميل بمحاولة استغلال الكارثة للحصول على اعتراف دولي بهم، وأيضا بتجنيد الأطفال الذين فقدوا ذويهم كمقاتلين جدد في الحركة لاستعواض المقاتلين الذين لقوا مصرعهم في طوفان تسونامي.

مايقرب من ساعة ونحن منطلقون عبر السيارة، لم نر أي أثار لخراب أو دمار لحق بالمنازل أو المعابد، كل شيء يوحي إليك بالسكينة والهدوء وكأن شيئا لم يكن، لدرجة إننا اعتقدنا أننا أخطانا المكان، أو أن ما كان يتردد عبر وسائل الإعلام أن سريلانكا من أكثر الدول المتضررة بعد إقليم آتشيه وإندونيسيا، هو نوع من أنواع الكذب والادعاء. ولم تكن حيرتنا كثيرة ولم تكن شكوكنا طويلة، وسرعان ما أنارت مدينة "بنادورا" وسرعان ما بدأت أعيننا ترى أثار كارثة تسونامي. هاهي أكواخ فقيرة متناثرة أشلاؤها

على شاطئ البحر، وها هي قضبان السكك الحديدية وقد اقتلعت تماما متكومة على حافة الطريق. ولكن كيف وصلت أمواج البحر إلى طرق السكك الحديدية التي غالبا ماتكون وسط المدن. والحقيقة أن طريق المواصلات مواز تماما لشاطئ البحر، بل أن المسافة بينها لاتكاد تصل إلى ٥٠٠ متر. وكلما زادت سرعة سيارتنا اتضحت رؤيتنا إلى كم الدمار الذي خلفه طوفان تسونامي.

استقبلنا شاطئ مدينة "تعين والا" بمركب ضخم راح أكثر من نصفه، نجحت الأمواج في أن تقذف به فوق شجرة ضخمة ضمته وانهارت عليه، ولم يبق من الاثنين سوى أطلال على حافة الشاطئ. وعلى مرمى البصر ووسط كمّ من الفنادق والمنازل المنهارة تستطيع أن تلمح مئذنة مسجد "شبكيبي مالاي" التي وقفت في صمود وتحد أمام أمواج تسونامي العاتية مثلها مثل بقية مساجد سريلانكا وإندونيسيا أيضا.

كان مؤشر الحرارة يرتفع إلى ٤٥ درجة عندما دخلت سيارتنا مدينة "انوشيانا". تلك المدينة المحظوظة كما قال لنا مرافقنا "الموظف السريلانكي في السفارة المصرية" والذي يتحدث اللغة الانجليزية بطلاقة بأن موقع المدينة أنقذها من بطش الأمواج فيها، فلم تحدث هناك أي خسائر مادية أو بشرية. أما "اكورنجا" فهي مدينة صغيرة وصلنا إليها ونقترب من مدينة "جول" التي أصبحت عبارة عن خيام ولاجئين.

"يان برني" فتاة لم يتجاوز عمرها ٢٥ عاما، استقبلتنا بوجهها الأسمر الذي بدا عليه الشحوب، وفاجأتنا عندما تحدثت باللغة العربية وقالت أنتم عرب، وقبل أن نجيبها بدأت تروي قصتها. وقالت: لم أكن موجودة وقت حدوث تسونامي، كنت في الكويت أعمل لدى أحد البيوت، وما أن عرفت أن المنطقة قد دمرت تماما تركت كل شيء وجئت كي أطمئن على زوجي وابنتي وعندما وصلت لم أجد شيئا. وعلّقت الأمواج زوجي بين شجرتين وجلس في المستشفى خمسة وعشرون يوما. أما طفلتي "رونا" فقد ماتت ولا أعلم أين جثتها إلى الآن، كان عمرها خمس سنوات وكنت قد اشتريت لها ملابس العيد لكنها لم ولن تراها.

"روبين" رجل عمره يقترب من الستين، صمم أن ندخل معه إلى خيمته. ما أن دخلنا حتى أدركنا أن الحيوانات في حظائرها تعيش أفضل بكثير من هؤلاء البشر. قطعة من

الخشب يفترشون بها أرض الخيمة، ومنضدة صغيرة تكاد تسمع صوت استغاثتها من الأشياء الثقيلة التي تحملها ورائحتها نفاذة لاتطاق.

لم نتحمل سوى دقائق، وما أن خرجنا حتى فوجئنا بالرجل يقول: هكذا أصبحنا نعيش بعد أن قضى البحر علينا، وكان في يوم ما مصدرا لرزقنا الذي كنا نعيش منه، أما اليوم فقد أصبح مصدرا للحزن ونشعر بالخوف منه، وأصبحنا لانحبه فقد دمر حياتنا، والحكومة هي الأخرى لاتساعدنا، فقط نسمع عن المعونات والمساعدات من الدول الأخرى ولانرى شيئا، وهذه الخيام أعطاها لنا أثرياء القرية كنوع من العطف، خاصة بعد أن أصبحنا لانملك حتى قوت يومنا.

ولم ينقذنا من حالة الاختناق التي كادت تصل إلى حالة الاكتئاب، سوى هذا المشهد الأكثر من رائع، أطفال في عمر الزهور يرتدون زيّ المدرسة يلتفون حول أنقاض حطام مبنى تتناثر بقاياه في المكان، أيديهم الصغيرة تحمل تلك الأنقاض وتحاول أن تزيل أثار عدوان تسونامي العاتية. وعندما سألنا مرافقنا أجاب بهدوء تلك هي مدرستهم، لقد تطوعوا للعمل من أجلها وإعادة إصلاحها، مثلهم مثل حالة الآلاف من شباب الجامعات والمدارس الذين تركوا كل مصالحهم وتفرغوا لإزالة الأنقاض وإعادة البناء.

وأمام مشهد يفرض عليك الوقوف والتأمل أمامه كثيرا، إنها منطقة "سيمواكا" التي شهدت أشد وأعنف وأقسى كارثة تعرضت لها سريلانكا من جراء تسونامي، إنه القطار الذي كان يحمل مايقرب من ٢٥٠٠ مسافر في أمان وهدوء، وكان يسير على قضبانه محملا بآمال وآلام وأحلام وهموم كثير من البشر الذين ابتلعتهم أمواج تسونامي. نصف القطار طار بالبشر ليستقر فوق سطح منزل بمن فيه، والنصف الآخر انقلب مرات عديدة وأطاح بما يحمله من أشلاء مبعثرة. وتنتابك حالة من الحزن والتأثر الشديد.

لم يجعلنا نَفِق من تلك الحالة سوى ضوضاء "تيوليد" الفتاة الاسترالية التي وقفت تحت الشمس وسط مجموعة كبيرة من الأطفال يرددون وراءها بعض العبارات باللغة الانجليزية التي تحاول جاهدة أن تعلمهم إياها. إذن هي مدرسة في الهواء الطلق. ويقول أحد المتطوعين: هناك مجموعة ذهبت لمساعدة الفقراء والأطفال اليتامى المتضررين من كارثة تسونامي، وقد شكلنا مجموعات من أمريكا واستراليا وكندا وألمانيا واليونان منذ

أسبوعين لنحاول أن نصنع شيئا لهؤلاء البائسين، ولسنا مدرسين فقط بل هناك أيضا أطباء يقومون بتقديم خدماتهم لأهالي هذه المنطقة.

طبيبة كندية عمرها يناهز الثلاثين عاما قاطعته قائلة: نحن نتبع للصليب الأحمر الأمريكي، ولكننا أتينا هنا بشكل مستقل، وعندما وصلنا وجدنا هؤلاء الناس ليس لديهم أي شكل من ضروريات الحياة، المتمثلة في الطعام والشراب والعلاج، ولم نكن نملك نقودا كافية، لذلك كنا نجمع النقود من السياح الأجانب في العاصمة، وعندما خاطبنا الحكومة وقلنا إننا نريد معونات لمساعدة هؤلاء البشر، ردوا علينا ردا روتينيا وكأنه يجب علينا أن نقدم طلبا، وحتى تتم الموافقة عليه، سيكون أمر هؤلاء المساكين قد انتهى. أتذكر جيدا أن وزير الزراعة السريلانكي حضر إلى هذه المنطقة والتقطت له العديد من الصور ووعد بإعطاء المعونات، ولكن لم يصل الينا أي شيء، ونحن في حاجة للأطباء والمؤن والإعانات الطبية، ولسنا في حاجة إلى مسئولين أو دول تريد الدعاية فقط، وهذا ماحدث عندما أتى وفد طبي من الإسرائيليين وطلبوا أن يرفعوا أعلامهم في المنطقة، ولكننا رفضنا لأننا لسنا في وقت الإعلانات والدعايات، ولذلك لم يمكثوا يوما واحدا ورحلوا بمساعداتهم. وأحسسنا وكأننا قد أخذنا من وقت الأطباء الكثير والمرضى كثيرون وهم أحق بهذا الوقت.

.....

وفي تقارير المراسلين بأهرام ٣١ يناير: وكأننا عدنا للوراء قرونا، امتطينا آلة الزمن فأعادتنا إلى ذلك التاريخ القديم، الذي يحمل معه تلك الحضارات الخالدة بابل وفارس واليونان، تلك هي الحالة التي سيطرت علينا حين وقعت أعيننا على قلعة "جول بورت" عند وصولنا إلى مدينة جول، صرح شامخ عمره يقترب من الخمسمائة عام. عندما تتأمل جدران تلك القلعة جيدا سرعان ما تدرك لماذا وقفت صامدة حامية للمدينة من جيوش الاستعمار البريطاني؟ ولماذا أيضا استطاعت باقتدار وحكمة أن تتصدى لطوفان الجبروت تسونامي وتقف أمامه وجها لوجه لتنقذ أكثر من نصف بشر مدينة جول.

ما إن دخلت سيارتنا إلى مدينة جول وبدأت تنطلق عبر شوارعها وحواريها الضيقة، إلا وحالة من حالات الذهول تملكتنا، ليس من هول الدمار والخراب الذي لحق بأرجاء المدينة، ولكنه انبهار بكمّ الجمال الذي يتمتع به النصف الأول من المنطقة، والذي انقذته

قلعة جول العتيقة. هاهي أشجار جوز الهند ترمي بظلالها على أسطح المنازل تتعانق مع أعمدة القلعة القديمة، وهاهو البحر مرتديا عباءته الزرقاء يلوح لك من بعيد تستطيع أن تسمع أمواجه الهادئة ذات الزبد الأبيض كالحليب تماما، وهاهي نسمة هواء رقيقة تدخل صدرك دون أي استئذان.

حالة تجعلك هادئا حالما ساكنا، وربما تفصل ذاكرتك معها، وتنسى مثلنا مافعلته ايري تسونامي الغادرة في الكثير من المدن، منها مدينة جول التي تحولت بقدرة قادر إلى مدينة للأشباح لامكان فيها سوى للخراب والدمار ورائحة البؤس والفقر تغزو الصدور. يبدو أن مرافقنا محمد ايلان شعر بالحالة التي انتابتنا، وقبل أن نسأله أجابنا: تلك هي آثار كارثة تسونامي على مدينة جول، وعندما تعرفون الأرقام والاحصائيات سوف تذهلون، تصوروا في هذا النصف من المدينة فقط وقع ٤٣٠٠ قتيل و٣١٣ مصابا و٧٠٠ جثة مفقودة إلى الآن، أما المنازل فلقد دمر منها مايقرب من ٥٥٢٥ منزلا، و٥٩٦٦ منزلا تضررت جزئيا، وحوالي ٢٥ ألف أسرة تشردت وأصبح أفرادها لاجئين يعيشون في خيام، كارثة بكل المقاييس.

على اليمين فاجعنا المشهد، حطام مايقرب من ٢٠ أوتوبيسا ضخما، يبدو أنها قد كانت محطة للاوتوبيسات. لم يفاجئنا مرافقنا عندما قال: إنها المحطة العامة للاتوبيسات بالمدينة، هجمت عليها الأمواج العاتية فقضت على كل البشر الواقفين في انتظار دورهم للركوب. طوال جولتنا وأعيننا لم تر سوى خراب ودمار، حطام وأنقاض سيارات لم يتبق منها سوى هياكلها، ومنازل سوت بالأرض تماما، ومتعلقات الأطفال الصغار ملقاة هنا وهناك، وحطام أثاث لم يتبق منه سوى قطع من القماش راحت هي الأخرى أشلاء.

وسط كل هذا الدمار، كانت تقف وحيدة حائرة لاتملك سوى نظرات حزينة تتبادلها مع ماتبقى من حطام منزلها. "سوارنالاتا" امرأة في الخمسين من عمرها، اقتحمنا وحدتها وتحدثنا معها لتحكي عن قصتها: فقدت زوجي وثلاثا من بناتي وأربعا من أحفادي، في لحظة لم أجد شيئا من حولي سوى الموت، ظننت أنه يوم القيامة عندما خرجت من منزلي القريب من البحر تماما، وعندما عدت لم أجد سوى مياه البحر التي أغرقت أغلى ماعندي في الحياة. لم أثق إلا عندما وجدت جثة زوجي وابنه من بناتي قد طفت على سطح المياه. وقفت شاردة ذاهلة وسط الأصوات المتعالية من نحيب وبكاء الجيران.

التفت حولنا دائرة من البشر، انتهزنا الفرصة وسألناهم عن وصول المعونات والمساعدات إليهم بعد حلول الكارثة. تمتم الجميع بصوت واحد، فلم نسمع شيئا سوى "مناماير" شاب عمره ٢٥ عاما ويبدو أنه قد أخذ قسطا وفيرا من التعليم. بدأ حديثه قائلا ما إن وقعت كارثة تسونامي إلا وتحركت الدول الاجنبية بأساطيلها وقواتها ودخلت سريلانكا من أجل تقديم يد العون والمساعدة لنا. والحق إننا لم نر هذه المساعدات، الأثرياء في المنطقة هم الذين يوفرون لنا الخيام ويرسلون الطعام والشراب إلينا، ويبدو أن لهم أغراضا اخرى ليست في سريلانكا فقط بل في كل الدول المتضررة والتي تقع سواحلها في موقع فريد على المحيط الهندي.

غادرنا المنطقة ونحن محملون بالآلام وهموم هؤلاء البشر، وبداخلنا العديد من علامات الاستفهام والأسئلة التي تكاد أن تلتهم الرءوس، خاصة إننا لم نر في إقليم آتشيه في إندونيسيا أو في مدينة جول بسريلانكا، شعورا صفراء وعيونا خضراء تقوم بعمليات الانقاذ وتقديم المساعدات، لم نر سوى طائرات الهليكوبتر تحلق في السماء وقوات من المارينز تقيم في أفخم الفنادق.

دائرة من البشر من ذوي الوجوه السمراء التفت في كردون عريض حول مجموعة من الأجانب، يقومون بعمليات الحفر بالقرب من شاطئ البحر. على الفور توقفنا بالسيارة واقتربنا من المكان الذي انبعثت منه رائحة نفاذة تشق الصدور، مجموعة من الأجانب وسط حفرة يقلبون يمينا وشمالا في عدد لا بأس به من الجثث الملقاة وسط التراب. تابعنا المشهد وانتظرنا حتى قاموا بتغطية الجثث بقطعة بلاستيكية من المشمع. "ارنولد" رجل انجليزي ضخم الجثة وعريض الملامح، سألناه ما الذي تفعلونه وماهي حكاية هذه الجثث. أجابنا بأنه لن يستطيع الكلام إلا بعد الإذن له من رجال الشرطة السريلانكية الواقفين بجانبه، بسهولة حصلنا على الموافقة، وبسرعة بدأ ارنولد الحديث قائلا: نحن فرقة إغاثة انجليزية وأنا دكتور تشريح، أتينا إلى هنا ما أن حدثت الكارثة وعلمنا بأن عددا لا بأس به من السياح الانجليز ضحايا في كارثة تسونامي، فحضرنا لكي نأخذ جثثهم وندفنها في بلادهم. قلنا له ولكن لقد مضى أكثر من شهر على حدوث تسونامي فكيف ستتعرفون على الجثث؟. أجاب: من الأسنان نستطيع أن نعرف

الشخصيات وهذا أمر ليس صعبا، ولكن الأصعب أن تجد الجثث أساسا، فنحن لايرضينا أن تدفن جثة انجليزية واحدة بعيدة عن أرضها.

ومع استمرار رحلتنا إلى سريلانكا وتعدد اللقاءات التي أجريناها مع المواطنين في المناطق المتضررة ومتابعة الحرب الكلامية بين الحكومة السريلانكية والمتمردين "التاميل"، كان لابد أن نلتقي بأحد المسئولين الحكوميين لكي يجيب عن التساؤلات العديدة التي تولدت في رؤوسنا. وسرعان ما التقط السيد السفير الخيط منا فسارع بترتيب لقاء بيننا وبين البروفيسور "ورنا بالا" نائب وزير الخارجية وعضو اللجنة العليا المشرفة على مركز متابعة ورصد أثار طوفان تسونامي. في بداية اللقاء أبلغنا البروفيسور "ورنا بالا" بصراحة كبيرة أن بلاده لم تكن مستعدة لمواجهة كارثة بهذا الحجم وأن تأثيرها على الاقتصاد السريلانكي أكبر من تخيل أي شخص وأن الخسائر لم تقتصر على البشر والمنازل وصناعتي السياحة والصيد فقط، ولكنها امتدت لتشمل تدمير مئات المستشفيات والمدارس والطرق.

وعن الوجود العالمي الملحوظ في سريلانكا أكد البروفيسور "ورنا بالا" أن السبب في ذلك يعود إلى أن عددا كبيرا من السائحين الأجانب كان موجودا على سواحل سريلانكا وفي محمياتها الطبيعية لحظة الطوفان، ولذلك لقي أكثر من ٣٠٠ منهم مصرعهم ومعظمهم من اليابانيين الذين كانوا في محمية "يالا". وعن وجود القوات الأجنبية في سريلانكا وما يقال عن أنها جاءت على أمل البقاء في ميناء "سرانكومالي" الاستراتيجي على السواحل الشرقية للبلاد، أكد "ورنا بالا" عدم صحة ذلك، موضحا أن الجنود الأمريكيين جاءوا لتوزيع المساعدات التي أرسلتها بلادهم ولم يجيئوا للبقاء في البلاد. وقال إن بلاده سمحت أيضا لجنود من الهند وباكستان وبنجلاديش وروسيا وألمانيا والعديد من الدول الأخرى بالنزول إلى أراضيها لنفس السبب وليس الأمريكيين وحدهم. وأشار إلى أن رد الفعل الدولي على ماحدث كان ممتازا وأن جميع دول العالم تقريبا تحركت بسرعة لمساعدة سريلانكا على مواجهة أعباء الكارثة.

وبالنسبة لرد الفعل من العالمين العربي والإسلامي قال البروفيسور "ورنا بالا" أنه كان أكثر من ممتاز، حيث أرسلت مصر والسعودية والكويت ودولة الامارات وقطر وتركيا

وباكستان وإيران وبنجلاديش وماليزيا وغيرها الكثير من المساعدات سواء كانت على شكل أغذية وأدوية أو خيام أو بطاطين أو في صورة مبالغ نقدية.

وعن الاتهامات التي وجهها المتمردون "التاميل" للحكومة السريلانكية بالاستيلاء على المساعدات وتحويلها إلى أداة للضغط عليهم، قال "ورنا بالا" أن المهاجرين التاميل في دول العالم خاصة كندا واستراليا حاولوا الضغط على حكومات الدول التي يقيمون فيها للتعامل مباشرة مع زعماء جبهة تحرير "نمور ايلام تاميل" الانفصالية في مسألة توزيع المساعدات على مناطق التاميل، ليصبح هذا بمثابة اعتراف ضمني لحركة التمرد التاميلية التي يتزعمها "برابا كاران" وهو الأمر الذي رفضته الحكومة السريلانكية منذ اللحظة الأولى واشترطت على جميع البلدان والمنظمات والمسئولين الدوليين أن يتم التعامل مباشرة عن طريقها.

وعن توزيع المساعدات قال البروفيسور "ورنا بالا" أن السيدة رئيس الدولة أمرت منذ اللحظة الأولى بتوزيع المساعدات بشكل عادل على جميع المناطق المتضررة وأن الدولة تسعى لإعادة بناء جميع المباني التي تضررت، ولكنها تحاول حاليا تدبير بقية المبالغ اللازمة لذلك، كما وعدت بعض الدول ببناء قرى أو أحياء جديدة للمنكوبين أو شراء مراكب صيد لإعادة بناء صناعة الصيد السريلانكية التي تضررت بشدة. جدد "ورنا بالا" تأكيد حكومته على رفض التنازل عن أي جزء من أراضيها للمتمردين "التاميل" لبناء دولة مستقلة لهم عليها، نظرا لصغر مساحة سريلانكا، وأشار إلى أن هناك حاليا انقساما في صفوف المتمردين حيث انشق القائد الميداني "كارونا" بمجموعة من القوات عن القائد الأصلي "برابا كاران" واستقر في "جرنكو مالي" في شرق البلاد بعيدا عن برابا كاران الموجود فى "جفنا". وبرر "ورنا بالا" شكوى كثير من المواطنين بعدم وصول المساعدات إليهم بأن البعض قد يدعي بعدم الحصول على مساعدة للحصول على المزيد ولكثرة عدد المتضررين وعدم قيام البعض بتسجيل أنفسهم.

في ختام اللقاء أشاد البرفيسور "ورنا بالا" بالعلاقات التاريخية المتميزة بين البلدين والتي بدأت في الخمسينات عندما كان البلدان ينتميان إلى حركة عدم الانحياز ويشتركان في رسم سياسات العالم، وأن هذه العلاقة الجيدة تجلت بشدة عندما وقفت سريلانكا مع

مصر ضد العدوان الثلاثي، وأيدت بشدة مواقف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في مواجهة العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي المشترك.

رؤى فنية

لم يمر الأمر مرور الكرام على تعليقات الكاريكاتير الهادفة، فقد ذكّرت بعض رسوم الكاريكاتير مثلا بالمساعدات التي وعدت بها بعض الدول في الماضي ولم تف بها، متضمنة أملها في عدم حدوث ذلك في غوث ومساعدة المنكوبين في كارثة تسونامي الأخيرة (شكل ٣٢).

وفي موقع "الجزيرة" ٢٧ يناير: قدم الموسيقار اللبناني مرسيل خليفة بالتعاون مع الأمم المتحدة، فيديو كليب تضامنيا مع ضحايا تسونامي أمس في بيروت، تلك الكارثة التي حصدت أكثر من ٢٨٠ ألف شخص بين قتيل ومفقود. يقول الموسيقار المعروف بأغانيه الملتزمة سياسيا وإنسانيا "لنجمع التبرعات تكفيرا عن ذنوبنا تجاه العمالة الآسيوية: أجور زهيدة، غياب الحماية الاجتماعية، حجز جواز السفر".

ورأى نجيب فريجي مدير مركز الأمم المتحدة الإقليمي للإعلام في عمل خليفة الذي حمل عنوان "ونحن كذلك نحب الحياة" ومدته سبع دقائق "صرخة ضمير لا تقف عند حدود الكارثة إنما ذهبت لمعالجة أحد روافدها وهي أوضاع شريحة اجتماعية أصلها من بعض البلدان المنكوبة، تتواجد في منطقتنا في ظروف ربما لا تتوافق مع ما نصت عليه المواثيق الدولية من حقوق".

من ناحيته رأى الشاعر والصحفي زاهي وهبي من تليفزيون المستقبل في عمل خليفة- الذي ستقوم الأمم المتحدة بتوزيعه ويختتم بعنوان مصارف لجمع التبرعات "لفتة لإنقاذ ماء وجه اللبنانيين، بحسب قوله. ولا يتضمن الفيديو أي كلمة، وحدها الموسيقى التي وضعها خليفة تصور تشابك الموت بالحياة وتعبر عن اللوعة والغضب، وفي النهاية عن الأمل، إذ رغم ظلمة الأشياء سنضيء شمعة صغيرة في وسط ظلام دامس" كما قال خليفة، حيث تتكرر جملة موسيقية واحدة بصيغ توزيعية مختلفة، تتشابك وتتألق وتتناقض لتصور الصراع بين الموت والحياة.

.....

وفي موقع "الجزيرة" ١١ فبراير: رويترز تفوز بجائزة صورة عام ٢٠٠٤. فازت صورة لوكالة رويترز تظهر فيها امرأة هندية وهي تبكي أحد أقاربها الذي راح ضحية لأمواج المد البحري بآسيا بجائزة صورة العام في مسابقة صورة الصحافة الدولية لعام ٢٠٠٤. وتوضح الصورة التي التقطها المصورالهندي أركو داتا في شهر ديسمبر/كانون الأول الماضي امرأة وهي جاثية على رمال الشاطئ وتصرخ موجهة راحتيها صوب السماء (شكل ٣٣). ووصفت "كاثي رايان" عضو لجنة التحكيم الصورة بأنها "معبّرة وتاريخية وذات شحنة عاطفية جياشة". من جانبه قال جيرت لينبانك رئيس تحرير رويترز "إن الفوز اعتراف بموهبة مصورينا وأكد التزام رويترز بأن تكون لها الصدارة في مجال التصوير الصحفي".

وقد تصدرت صور العراق قطاع الصور الإخبارية، بالإضافة إلى صور أمواج المد بآسيا ومذبحة الرهائن بمدرسة بيسلان الروسية التي وقعت في شهر سبتمبر/أيلول من العام الماضي.

وقد حاز المصور داتا أيضا من قبل، بالجائزة الأولى في مجال صور الأحداث. كما فاز المصور بول فريكر من رويترز أيضا، بالمركز الثاني في مجال أشخاص في الأخبار عن صورته لرجل إيراني خاط شفتيه وعينيه احتجاجا على اعتزام هولندا طرد العديد من طالبي اللجوء. أما الجائزة الثالثة فكانت من نصيب الإسباني خوان مدينا، عن صورة توضح إنقاذ مهاجرين غير شرعيين قبالة سواحل جزر الخالدات. وقد اختيرت الصور الفائزة من بين ٤٢٦٦ صورة محترفة ومشاركة من أكثر من ١٢٣ بلدا بإمستردام حيث تجرى فيها أهم مسابقة دولية سنوية للتصوير الصحفي.

.....

وفي ثقافة وفنون بأهرام ١٦ فبراير: من المهرجانات الكبيرة والساحرة مهرجانا روتردام الهولندي الذي انتهى مؤخرا، وبرلين الألماني الذي بدأ منذ أيام، وفيهما لا تشاهد الأفلام فقط، رغم أن عددها في روتردام يتجاوز الألف فيلم، وفي برلين يزيد على ٣٥٠ فيلما. وجعلت أحداث تسونامي الأخيرة مهرجان روتردام يخصص قسما لأفلام جنوب شرق آسيا التي كانت تعاني من صعوبة الإنتاج وسوف تعاني أكثر الآن بسبب ماحدث لدولها.

الفصل السادس: مواجهة ظاهرة تسونامي

. عناصر البيئة

. الإنذار المبكر

. التجربة اليابانية

. النموذج المرتقب

. قوات الرد السريع

الفصل السادس

مواجهة ظاهرة تسونامي

تعد موجات المد الزلزالي ظاهرة طبيعية مدمرة، لا يمكن الوقوف أمامها أو التحكم فيها كما ذُكر، شأنها شأن الظواهر الطبيعية الهائلة الأخرى كالأعاصير والبراكين وغيرها. ورغم التقدم العلمي الهائل وظهور تقنيات حديثة ومبتكرات شتى، فإن العلم لم يصل حتى الآن إلى إمكانية التنبؤ الفاعل بمثل هذه الكوارث. رغم ذلك، فإنه لا جدال بأنه بشيء من الاستعداد، وبعمل خطط طوارئ، وإنشاء شبكة إنذار مبكر، يمكن الحد من حجم الخسائر وتجنب تداعيات قد يكون من الصعب التعامل معها فيمابعد.

عناصر البيئة

خلال التعرف على تأثيرات تسونامي جنوب آسيا الأخير على عناصر الطبيعة والحياة البرية، التي تم استعراضها في الفصل الثالث، يتبين أثر الصدادات الطبيعية وأهمها قطاعات الشعاب المرجانية والأشجار الكثيفة، التي تساعد على كسر حدة الأمواج العاتية بدرجة تتناسب مع كثافة تلك العوائق الطبيعية، والتي تمثل حائط الصد الأول ضد تلك الأمواج، وبالتالي المساهمة في حماية الشواطئ والبشر. ولهذا كان من مهام مؤتمر اليونسكو للتنوع البيولوجي، الذي عقد في أواخر يناير ٢٠٠٥، وشارك فيه نحو ١٢٠٠ عالم ومسؤول سياسي وخبير بيئي، وافتتحه الرئيس الفرنسي والأمين العام للأمم المتحدة، بحث سبل العمل من أجل عدم تكرار كارثة المد البحري بآسيا، وإيجاد حلول لارتفاع معدلات انقراض الأنواع الحية وتدمير النظم البيئية بمعدلات خطيرة رغم تصديق ١٧٠ دولة على اتفاقية التنوع البيولوجي عام ١٩٩٢.

كذلك كما ذكر، كان هناك إيمانا بأن الاستخفاف بالثروة المرجانية قد زاد من تداعيات زلزال آسيا، حيث أكد الاتحاد العالمي للطبيعة أن أمواج تسونامي الحادثة كانت ستتسبب بأضرار أقل كارثية لو تمت المحافظة بشكل أفضل على الثروة المرجانية وأشجار المانجروف، وأن غابات المانجروف التي اقتلعها السكان واستبدلوها- لأسباب

اقتصادية- بمزارع الجمبري والكركند، كانت ستُضعف قوة الأمواج لو كانت موجودة. أي أن غياب الصدادات الشاطئية الطبيعية يزيد من قوة تدمير أمواج تسونامي.

ومما يعكس عمليا أهمية الأشجار الكثيفة التي تعمل على صد الأمواج والحد من الخسائر، ما أعربت عنه ماليزيا، عقب المد الزلزالي الأخير، برغبتها في حماية غاباتها لجعلها حاجزا ساحليا طبيعيا ضد أمواج المد. وقال رئيس الوزراء الماليزي أنه ينبغي ألا تتعرض غابات أشجار التين الهندي لأي إيذاء لأنها تحول دون وصول الأمواج العاتية إلى عمق اليابسة. وأضاف أنه يجب تخطيط المشروعات الساحلية بحيث لا تلحق ضررا بهذه الأشجار الاستوائية الكثيفة. وأصدر تعليمات للإدارة الحكومية بإعادة زراعة الأشجار التي أطاحت بها الأمواج المدمرة التي ضربت آسيا في ذلك المد. وكانت بعض قرى الصيادين على امتداد جزيرة بنانغ على الساحل الغربي قد تعرضت بالفعل لأمواج المد العاتية، لكن هذا النوع من الأشجار خفف من شدتها.

كما ذكر مسؤولو صندوق الحياة البرية هناك أيضا، أن حكومات المنطقة قد تساعد في الحد من الوفيات والدمار الناجم عن مثل هذه الأمواج والأعاصير، بحماية غاباتها الكثيفة وشعابها المرجانية. وأوضحت مديرة برنامج آسيا والمحيط الهادئ التابع للصندوق أنه لا يمكن منع الكوارث الطبيعية، إلا أنه ربما تكون هناك طرق للحد من التهديد الذي تشكله تلك الكوارث على المجتمعات الساحلية، وتسهيل القيام بعملية إعادة تعمير فعالة والتخفيف من الضعف الاجتماعي والبيئي في المناطق المعرضة بشكل كبير لها.

وتعتبر بنجلاديش هي البلد الآسيوي الجنوبي الذي تمت فيه المحافظة بشكل أفضل على أشجار المانجروف، التي تعيش بينها أعداد كبيرة من النمور. وقد أكد بعض الخبراء أن التقارير حول كارثة تسونامي أظهرت أن المناطق التي احتفظت بمنظومات بيئية سليمة، مثل غابات المانجروف، قاومت بشكل أفضل أثار الكارثة عن تلك المناطق التي تعاني غاباتها من أوضاع متدهورة. وأن المد البحري في آسيا أثبت مدى هشاشة السواحل التي لاتتمتع بحماية طبيعية.

من ناحية أخرى، يرجع بعض العلماء الهزات القوية في زلزال جنوب آسيا وما صاحبه من أمواج طوفانية، إلى زيادة مستوى المسطحات المائية فوق المحيطات

والبحار، والذي حدث نتيجة ظاهرة الاحتباس الحراري، التي سجلت زيادة درجة مئوية في متوسط الحرارة على مستوى العالم خلال القرن الماضي وحده، وذلك لزيادة كميات ثاني اكسيد الكربون المنبعثة من حرق الوقود الأحفوري في الصناعة والمواصلات، لذا فإن يتحتم تركيز الجهود الدولية للحد من هذه الانبعاثات المؤثرة.

ونظرا لأن أسوأ الكوارث الطبيعية التي شهدتها الكرة الأرضية كان سببها في الغالب هزات أرضية، فقد جعل هذا العلوم الهندسية تركز اهتمامها على دراسة وتحليل الزلازل وصولا إلى إيجاد معايير وأكواد بناء لتصميم منشآت مقاومة لأفعال الزلازل. ونظرا لاعتماد مدى تأثير الزلازل على عوامل منها جيولوجية المنطقة وطبيعية تربة الموقع ونوعية المباني والمنشآت، فإن للموقع أهمية كبيرة في تخفيف مخاطر الزلازل وتصميم مباني مقاومة للهزات الأرضية.

لذلك اهتمت هندسة الزلازل بسياسة استخدام الأراضي وخرائط الشدة الزلزالية لكل منطقة، ذلك لأن حجم الضرر الذي يلحق بالأبنية نتيجة تعرضها لضربات الزلازل يعتمد في معظمه على سعة اهتزاز القشرة الأرضية وتسارعها وعلى الصدوع والتشققات الأرضية وحركتها، وكذلك على احتمال تميؤ تربة الأساسات في حالة التربة الرملية أو الانزلاقات الأرضية في حالة الأراضي شديدة الانحدار. وعليه فإنه يوصى دوما ألا تقام المنشآت على صدوع جيولوجية، بغض النظر عن مدى نشاطها الزلزالي، إذ يؤدي أدنى تحرك في قشرة الأرض على جانبي الصدوع إلى أضرار ملموسة في المنشآت، وتنفصل أجزاء المنشآت التي تقام على صدوع جيولوجية في بعض الحالات بفواصل تسمح لكل جزء من أجزائها المفصولة بالحركة كيفما شاء.

لذا فإنه من جوانب الاستعداد، الالتزام بضوابط ومعايير هندسة الزلازل، وأهمها ضبط سياسة استخدام الأراضي، ودراسة تأثير ظاهرة الأمواج المائية على المنشآت المزمع إقامتها على الشواطئ، ثم إنشاء مراكز لمراقبة ورصد الحركات المائية البحرية على غرار المركز الذي أنشئ بالقرب من هونولولو على المحيط الهادئ والذي يهدف إلى تحذير سكان الشواطئ من اقتراب الموجات المائية الضخمة كما سيأتي ذكره، بجانب عدم الاستهانة بأنظمة المصدات أو كاسرات الأمواج أمام الشواطئ، وخصوصا في المناطق المأهولة ومناطق المنشآت الهامة.

وهناك حاجة ماسة إلى سن قوانين وتشريعات ملزمة بدولنا العربية تتعلق بضرورة الاهتمام بحماية الشواطئ، وتصميم المنشآت لمقاومة قوى الزلازل، ووضع الأسس والقواعد اللازمة لتنفيذ ما ذُكر، بالإضافة إلى ضرورة إيجاد آلية مناسبة لربط التخطيط والتصميم والتنفيذ والمتابعة، وإجراء التقييم الدوري المناسب. ويتطلب ذلك ضرورة الفعل خلال عمل مؤسسات متكامل يجمع بين مختلف التخصصات ذات العلاقة وفق منهجية شاملة. لذلك فإنه رغم كون الزلازل وتسونامي ظاهرتين كونيتين بالغتا التعقيد لا يمكن منعهما، فإنه يمكن التخفيف من مخاطرهما خلال اتخاذ الإجراءات المناسبة على جميع المستويات ابتداء من المواطن العادي مرورا بالخبراء والمختصين حتى صانعي القرار.

الإنذار المبكر

يعد الإنذار المبكر وسيلة رئيسية فاعلة في الحد من خسائر المد البحري الزلزالي. ورغم تكاليفه اليسيرة فإنه له مردودا حيويا وهاما في التنبيه بحدوث ذلك المد، للحد من الخسائر بدرجة عالية. وبمحاولة الدول المجاورة للباسفيك تنسيق عمليات المراقبة من أجل الوقاية من الأخطار التي تشكلها الأمواج المحيطية، تم إنشاء مركز للإنذار من المد البحري الزلزالي يختص بجمع المعلومات في هاواي بالولايات المتحدة الأمريكية.

وعقب كارثة جنوب آسيا، عقد عدد من المؤتمرات واللقاءات القمية الدولية والإقليمية لهذا الغرض، كما أعلنت ماليزيا اعتزامها إقامة مركزا لرصد موجات المد البحري لتجنب كارثة جديدة، وطالب مسئولون صينيون الحكومة بتطوير نظام الإنذار المبكر من الكوارث الطبيعية الموجود بالبلاد لتفادي الكوارث المماثلة.

المؤتمرات الدولية

في قمة طارئة عقدت بالعاصمة الإندونيسية، بحضور عدد من رؤساء دول ورؤساء حكومات دول العالم عقب كارثة جنوب آسيا الأخيرة، وشارك فيها الأمين العام للأمم المتحدة ووزير الخارجية الأمريكية، تم بحث إقامة منظومة للإنذار المبكر لتحاشي تكرار تلك المأساة، وتطوير المنظومة بهدف تزويد الدول المعنية بالمعلومات اللازمة في حالة

وقوع هزات أرضية أو موجات مد بحري. وقد قررت إندونيسيا اعتزامها إقامة المنظومة كإجراء وقائي من الكوارث الطبيعية بالتعاون مع جيرانها من الدول المنكوبة في الكارثة الأخيرة. وسوف تكون تلك المنظومة مماثلة لتلك الموجودة في المحيط الهادئ. وذلك بعد الاقتناع بأن وجودها كان كفيلا بالحيلولة دون سقوط ذلك العدد الضخم من الضحايا والخسائر المادية الجسيمة التي لحقت بمنطقة جنوب شرق آسيا.

وقد ذكرت صحيفة "نيهون كيزاي شيمبون" اليابانية في ١٠ يناير أن طوكيو تعتزم إقامة منظومة متطورة للإنذار المبكر من الزلازل وأمواج المد البحري، وأوضح التقرير أن المنظومة الجديدة ستكون مستقلة عن الشبكة الآسيوية المقترحة، وسوف تغطي المنطقة الممتدة من شرقي آسيا إلى المحيط الهندي. ومن المتوقع أن تتقدم اليابان بمشروعها خلال مؤتمر يعقد في ١٨ يناير الجاري بمدينة كوبي حول طرق الوقاية من الكوارث.

ومن المصادفات، وقوع كارثة المحيط الهندي في الوقت الذي كان اليابانيون يعدون فيه العدة لإحياء الذكري العاشرة لوقوع زلزال هانشين الكبير، ذلك الزلزال الذي بلغت قوته ٧,٣ درجة بمقياس ريختر، وقتل نحو ٦٥٠٠ شخص، ودمر أكثر من ٢٤٠ ألف مبني في مدينة كوبي وحولها في غرب اليابان، في فجر يوم ١٧ يناير عام ١٩٩٥. وبينما كانت الاستعدادات جارية لعقد مؤتمر لبحث مدى استفادة اليابانيين من درس زلزال هانشين، سارعت الأمم المتحدة لرعاية مؤتمر أكثر توسعا ومشاركة من جميع دول العالم في مدينة كوبي نفسها، خلال الفترة من ١٨ إلى ٢٢ يناير ٢٠٠٥ لبحث إمكان تقليل الكوارث الطبيعية، وتبني فكرة إنشاء نظام للتحذير المبكر، لرصد الزلازل ومايصاحبها من موجات تسونامي في منطقة المحيط الهندي، نظرا لأن خسائر الكارثة الأخيرة التي لحقت بالدول المطلة على المحيط الهندي، فاقت كل الحدود، وزاد من قسوتها افتقار سكان وحكومات هذه المنطقة إلى الحد الأدنى من المعلومات والوعي والاستعدادات، لمواجهة هذه الظاهرة الطبيعية المدمرة.

وقد عُقد المؤتمر بمدينة كوبي اليابانية، وشارك فيه مجموعة من الخبراء اليابانيين ومن الدول المطلة على المحيط الهندي وغرب اليابان، وقد ناقش المؤتمر اقتراحا بإقامة منظمة دولية متخصصة للرصد المبكر للزلازل وما قد يتبعها من أمواج عاتية.

وقد عُقد المؤتمر وسط اهتمام غير مسبوق، وشارك فيه نحو ٣ آلاف خبير من دول العالم بغرض التوصل لوسائل لتقليل أعداد المتأثرين بالكوارث الطبيعية، ووضع خطط عمل دولية للحيلولة دون أن تصبح الكوارث المشابهة لتسونامي من عوامل التدمير الشامل. وقد تضمنت أجندة المؤتمر العديد من القضايا أهمها كيفية تقدير مخاطر الكوارث الطبيعية، والتوعية العامة من خلال الحملات، والتعاون الدولي للتكافل في مواجهة الكوارث. وقد تزامن المؤتمر الذي استمر خمسة أيام مع الذكرى العاشرة للزلزال المدمر الذي ضرب مدينة كوبي الساحلية عام ١٩٩٥.

وخلال ذلك المؤتمر الدولي، شاهد مئات المشاركين من مختلف دول العالم، وعلي الطبيعة، التجربة اليابانية الحية في مواجهة الكوارث، بدءا من استعدادات الوعي والمواجهة على مستوى الفرد، مرورا بالاستعدادات على مستوى السلطات المحلية، ووصولا إلى استعدادات الدولة والحكومة المركزية. صحيح أن هذه الاستعدادات لم تصل إلى مستوى الكمال الذي يرجوه اليابانيون، غير أنها بحدها الأدنى تفوق مثيلاتها المتبعة في أرقى الدول.

وقد قرر المشاركون في ذلك المؤتمر، تنفيذ تلك إنشاء منظومة الإنذار المبكر في غضون الأعوام الثلاثة المقبلة على أكثر تقدير. وقد كانت كيفية عمل نظام التحذير المبكر، والمناطق التي تقوم بتشغيل أنظمة تحذير في الوقت الحالي، وإلى أي مدى يمكن أن تسهم مثل هذه الأنظمة في الوقاية من الكوارث، وكيف سيكون عليه الحال بالنسبة لنظام التحذير المرتقب في المحيط الهندي، كانت محاور مناقشات مستفيضة في مؤتمر كوبي.

وقد تعهدت اليابان بتوفير التدريب الفني اللازم للتعامل مع أنظمة الإنذار المبكر في الدول المتضررة من زلزال آسيا وما تبعه من موجات مد بحري. وقال رئيس الوزراء الياباني "إنه من الممكن إنقاذ العديد من الأرواح في حال حدوث كارثة طبيعية مماثلة لتسونامي إذا ما تم تطوير نظام للإنذار المبكر على الفور". وأوضح أنه سيتم توفير الدورات التدريبية حول آليات الإنذار المبكر للدول المنكوبة في جنوب آسيا من خلال وكالة التعاون الدولي اليابانية. وأضاف أن حكومته ستعمل على تخصيص جزء من

مساعداتها لمصلحة آليات التقليل من خسائر الكوارث الطبيعية في الدول النامية. وأشار إلى خطورة الفصل بين سبل احتواء هذه الخسائر وخطط التنمية وإعادة الإعمار.

ومن المعروف أن الولايات المتحدة واليابان تشتركان بالفعل في نظام للإنذار المبكر في المحيط الهادئ. وقد عرضت ألمانيا من جانبها إقامة نظامها الخاص للإنذار المبكر في سريلانكا وإندونيسيا لتنضم بذلك إلى سباق توفير تكنولوجيا الإنذار المبكر مع الولايات المتحدة واليابان. وقال وزير البحث الألماني أن بلاده مستعدة لتثبيت المعدات اللازمة للنظام في عمق المحيط الهندي بحلول شهر سبتمبر، وأشار إلى أن مركز البحث الألماني يعد الأسرع في تحليل بيانات تسونامي.

وقد بيّن مدير منظمة التعاون العلمي والثقافي للأمم المتحدة "يونسكو" في ذلك المؤتمر، أن نظام الإنذار المبكر الذي ستبلغ تكلفته ٣٠ مليون دولار قد يبدأ العمل في شهر يونيو/حزيران من عام ٢٠٠٦. هذا وسوف تكرس معظم تكاليف نظام الإنذار المبكر لأجهزة قياس تحت الماء ترصد حركة الأمواج وتنقلها إلى سفن على السطح ومن ثم إلى أقمار صناعية، وذلك من خلال إنشاء مراكز اتصال ونشر وسائل إنذار عائمة. وسيتم تحليل هذه البيانات والمعلومات في مركز جديد لدراسة أمواج تسونامي في المحيط الهندي. وسيتم أيضا توعية الأفراد على كيفية الاستجابة للتحذيرات رغم أنها ستستغرق وقتا أطول من عملية استخدام التقنية. وأضاف أن نظاما مشابها سوف يتم تشغيله ولكن على مستوى عالمي خلال عام ٢٠٠٧.

وقد طالب عشرات الخبراء الذين شاركوا في المؤتمر بضرورة الإسراع في إقامة هذه الأنظمة في محاولة تقليص الخسائر وتخفيف الأثار المترتبة على الكوارث الطبيعية، رغم اعترافهم بأن أنظمة الإنذار وحدها لن تكفي لتحقيق هذه الأهداف. وقد شددوا على أهمية توفير حماية خاصة للمنشآت الحيوية كالمدارس والمستشفيات والمصدات البحرية. وأشاروا إلى أهمية دعم وسائل الاتصال بهدف الإنذار بين الوكالات الحكومية المعنية وسكان المناطق المهددة، نظرا لأن غالبية ضحايا تسونامي يسكنون مناطق شديدة الفقر تفتقر لوسائل الاتصال الأساسية.

كما عُقد في العاصمة التايلاندية اجتماعا لوزراء التكنولوجيا والمعلومات بدول المنطقة في يناير ٢٠٠٥ تركز على نظام الإنذار المبكر المقترح في منطقة المحيط

الهندي عقب كارثة جنوب آسيا. وخلال نفس الشهر قررت الهند الانضمام إلى نظام الإنذار المبكر المزمع إقامته وإنشاء هيئة قومية لإدارة الكوارث للتعامل بشكل سريع وفعال في حالة وقوع كوارث طبيعية مماثلة.

وفي أواخر يناير عُقد في العاصمة الصينية ندوة دولية حول أنظمة الإنذار المبكر ضد موجات المد البحري تسونامي، وحضرها اكثر من ٣٠٠ خبير ومسئول من دول رابطة جنوب شرق آسيا "آسيان" إلى جانب ممثلين عن اليابان والهند والولايات المتحدة وعدد من المنظمات الإقليمية والدولية في مقدمتها الأمم المتحدة.

التجربة اليابانية

بعد وقوع كارثة الزلزال المدمر قبالة جزيرة سومطرة الاندونيسية في أواخر ديسمبر ٢٠٠٤، وما اعقبها من موجات مد بحري هائلة عصفت بالأخضر واليابس في العديد من الدول المطلة على المحيط الهندي، تعلقت الانظار على ما يمكن ان تقدمه اليابان من خبرة وتقنيات ومعرفة في إدارة ومواجهة الكوارث الطبيعية، وذلك بحكم ابتلاء اليابان بها أكثر من غيرها في كل أنحاء المعمورة، فقد شهد عام ٢٠٠٤ وحده كل أنواع الزلازل والفيضانات والعواصف المدمرة في اليابان، وقد اتبعت اليابان منهجا في غاية الدقة والعلمية في مواجهة هذه الكوارث وتعتبر من أوائل الدول التي قامت بتشغيل أنظمة للتحذير المبكر من أمواج تسونامي.

ويردد اليابانيون قولا مأثورا لعالم الفيزياء الياباني الشهير توراهيكو تورادا، الذي عاصر أسوأ الزلازل التي شهدتها اليابان في القرن العشرين، وهو الزلزال الكبير في عام ١٩٢٣ بقوله "إن الكوارث تقع دائما عندما تقل توقعات حدوثها إلى الحد الأدنى". وهناك قول آخر مأثور في اليابان مفاده أن الاستعداد هو خير وقاية.

ولعل اشهر الكوارث، التي تُروى للتذكير الدائم وللعبرة، تلك التي لحقت ببلدة تارو الساحلية اليابانية في عام ١٨٩٦، حيث ابتلعت أمواج تسونامي ١٩٠٠ شخصا من سكان تلك البلدة، وهو ما يوازي نحو ثلاثة أرباع تعدادها في ذلك الوقت. وفي عام ١٩٣٣ ضربت أمواج تسونامي تلك البلدة اليابانية الساحلية المنكوبة ذاتها مرة أخرى وراح ضحية لها نحو ٩٠٠ شخص. وأهم نصيحة يهمس بها الأجداد والآباء اليابانيون

لأحفادهم وأبنائهم في بلدة تارو في حالة وقوع أي زلزال، هي الفرار بأسرع ما يمكن من الساحل المجاور للبحر، إلى الجبال.

وجدير بالذكر هنا، أنه في كارثة المد الزلزالي الأخير بجنوب آسيا، عَمَلت قبيلة من الغجر في تايلاند بنصائح متوارثة عن الأجداد، وقد تسبب هذا في نجاتهم جميعا من الكارثة. فقد آمنت قبيلة "مورجان" التي يبلغ تعدادها أكثر من ١٨٠ فردا بنصيحة توارثتها عبر الأجيال، وهي أنه عندما تنحسر مياه البحر، أي عند حدوث ظاهرة الجزر، فإن المدّ آت لا ريب. ولذلك عندما شعرت القبيلة بانحسار مياه البحر الذي حدث قبيل المد عند الساحل، الذي يعتبر مورد رزقها الوحيد وتعيش بالقرب منه، لجأت إلى منطقة عالية هربا من موجات المد التي تلت ذلك، وفق النصيحة المتوارثة، وبذلك نجت القبيلة من كارثة تسونامي بمدها الهائل. وقال "ساراما" زعيم تلك القبيلة الغجرية "إننا حذرنا كل شخص بقدر استطاعتنا، وطالبنا الجميع بالتوجه إلى قمة التل".

أهم سبل الوقاية

لم يتوقف الأمر عند ذلك الحد الذي ذكر في بلدة تارو اليابانية، بل اتُخذت أيضا العديد من التدابير الوقائية في مواجهة تسونامي، مثل بناء سور يبلغ طوله نحو ٢٤٠٠ متر وارتفاعه نحو ١٠ أمتار، لصد الأمواج المرتفعة. وهذه بعض التدابير الدنيا التي تتخذها بلدة يابانية صغيرة، في مواجهة تسونامي. فماذا تفعل الدولة نفسها؟

باعتبارها أحد أكثر الدول المعرضة للزلازل في العالم، تمتلك اليابان خبرة هائلة في التعامل مع موجات المد البحري الناشئة عن المد الزلزالي تسونامي، ذلك التعبير ياباني المنشأ والأصل كما ذُكر. إضافة إلى أن لوحة فنان القرن الثامن عشر الياباني الشهير "هوكوساي" التي تصور تسونامي وهي تجتاح جبل فوجي، ربما كانت الأشهر على الإطلاق. وتأخذ اليابان مخاطر التعرض لتسونامي مأخذ الجد الكامل، حتى أن إحدى الجامعات اليابانية لديها كلية هندسة تخصصية في مجال دراسة هذه الظواهر وتأثيراتها.

ويوجد في اليابان أيضا هيئة مواجهة تسونامي والتي أنشئت عام ١٩٥٢ وتديرها جمعية الأرصاد اليابانية. ولدى اليابان ستة مراكز إقليمية متصلة بـ ٣٠٠ جهاز

استشعار موزعة في أنحاء الجزر اليابانية، وتشمل ٨٠ معدة استشعار طافية لرصد النشاط الزلزالي على مدار الساعة. وفي حال ظهور مؤشرات على أن زلزالا ما قد يسبب موجات مد بحرية، تسونامي، فإن هيئة الارصاد تصدر إنذارا خلال ثلاث دقائق من تحديد طبيعته. ويتم بث الإنذار على جميع الإذاعات والقنوات التلفزيونية، وفي حالة الضرورة يتم إصدار أوامر بالإجلاء عن المناطق المهددة.

وتهدف هيئة الأرصاد من ذلك إلى إصدار تحذير للمواطنين قبل ١٠ دقائق على الأقل لإخلاء المنطقة المعنية. وتصل التحذيرات للسلطات المحلية والحكومة المركزية ومنظمات الإغاثة والطوارئ أيضا عبر قنوات خاصة، لتمكينها من التحرك السريع لمواجهة الكارثة. وتعتبر شبكة المعدات والتجهيزات لدى هيئة الأرصاد اليابانية متطورة للغاية، حتى أنها يمكنها التنبؤ بارتفاع وسرعة واتجاه وموعد وصول أي تسونامي يحتمل أن تضرب الشواطئ اليابانية.

ويضاف إلى نظام الإنذار المبكر المتطور هذا، قوانين البناء الصارمة الجديدة للحماية ضد أي تسونامي أو زلازل، والتخطيط الجيد لمواجهة الكوارث، والذي ساعد حتى الآن في تقليص عدد الضحايا من اليابانيين في مثل هذه الكوارث الطبيعية إلى أقل الأعداد في مثل هذا البلد المعرض دائما لكوارث الطبيعة.

فعندما اكتسحت أمواج تسونامي جزءا من جزيرة هوكايدو بشمال اليابان عام ١٩٩٣ وبلغ ارتفاعها ٣٠ مترا، لم يتجاوز عدد الضحايا ٢٣٩ شخصا بسبب تلك الأمواج والزلزال المسبب لها. وبينما تمكنت هيئة الأرصاد من بث التحذير بغارة تسونامي خلال خمس دقائق من وقوعها، فقد كانت الهزة الزلزالية قريبة من الشاطئ بشكل كبير، حتى أنه في الوقت الذي صدر فيه الإنذار كانت الموجة الأولى قد ضربت ضربتها. لكن أحد الناجين من زلزال كوبي عام ١٩٩٥، ماكاتو هيكيدا، قال "لدينا ثقة كبيرة في هيئة الأرصاد اليابانية، إنهم يقومون بعمل رائع في إنقاذ حياة الناس، لو أن بعض هذه الدول مثل سريلانكا لديها نظام كنظامنا فربما تمكنت من إنقاذ حياة الكثيرين في المد الأخير بجنوب آسيا".

هذا ويتم يتم تحديث نظام الإنذار المبكر الياباني بشكل دائم. وفي عام ١٩٩٩ أُدخل نموذج جديد للتنبؤ بتسونامي في الخدمة. لكن تطوير هذا النظام واستمراره يتكلف ٢٠

مليون دولار أمريكي سنويا. وهو ليس بالمبلغ الباهظ بالنسبة لليابان الثرية، لكنه قد يمثل عبئا بالنسبة لدول أفقر.

ومن الاستعدادات المتبعة على مستوى الفرد الياباني مثلا في مواجهة الكوارث، تخزين قدر وفير من الغذاء في ثلاجته بشكل دائم، والاحتفاظ بصندوق كامل من المياه أو من المشروبات الأخرى، فضلا عن التأكد من أن الدواليب وأجهزة الأثاث الأخرى مثبتة جيدا في الحائط، حتى لا تسقط على القاطنين عند وقوع الزلزال.

وتوافر المعلومات العامة لدى اليابانيين عن الزلازل، يجعلهم أكثر وعيا عند التعامل مع تبعاتها، فأكثر من ١٠% من مجموع الزلازل التي يتعرض لها العالم تضرب اليابان والمنطقة المحيطة بها. وبعد سنوات طويلة من البحث وجد العلماء أن القشرة الأرضية تتكون من عشرات الصفائح القارية كما ذكر. وتقع الجزر اليابانية فوق الصفيحة الأورو-آسيوية، ويجري دفع صفيحتين أخريتين تحت الجانب الشرقي للصفيحة الأورو-آسيوية، ويمكن للتصادمات عند حدود هذه الصفائح الثلاث أن توقع زلزالا بقوة ٨ درجات بمقياس ريختر، وهو ما وقع بالفعل في زلزالي هانشين ونيجاتا الأخيرين باليابان.

وتَجمع وكالة الأرصاد الجوية اليابانية المعلومات حول الزلازل ومراكزها من خلال ١١٠٠ مرصد منتشر على امتداد البلاد، فضلا عن نشر ٤ آلاف موقع لقياس درجة الاهتزاز ومراقبة التحركات أو الالتواءات في طبقات الصخور تحت الأرض. والوكالة مهياة لتوفير المعلومات خلال دقيقتين من وقوع أي زلزال تبلغ قوته ٣ درجات على الأقل بالمقياس الياباني، والذي يبدأ من الصفر وينتهي عند ٧ درجات. ويجري إبلاغ المعلومات الخاصة بالمد البحري تسونامي المترتب على الزلزال وحدوده وموعده بعد مرور ٣ دقائق من وقوع الزلزال، وتبلغ هذه المعلومات إلى مقر الحكومة المركزية في طوكيو، وإلى السلطات المحلية والشرطة وفرق الإطفاء ووسائل الاعلام، وعلى التو تقوم السلطات المحلية باصدار التحذيرات عبر أنظمتها الخاصة للبث الإذاعي الطارئ، وعبر مكبرات الصوت المحمولة على السيارات، وهناك أيضا أنظمة بث إذاعي طارئ تلتقطها أجهزة استقبال خاصة يجري وضعها في كل منزل لتقديم المعلومات عند الضرورة.

ولدى وكالة الأرصاد الجوية اليابانية اتصال خاص أيضا مع محطات الإذاعة والتليفزيون، بما يمكنها من توفير وتقديم المعلومات أولا بأول إلى السكان. وجرى العرف أن تقوم أجهزة الإعلام اليابانية بقطع برامجها الاعتيادية لتقديم المعلومات والخدمات الخاصة بالزلازل وموجات تسونامي المصاحبة لها.

وخلال القرن العشرين وقعت العديد من الزلازل الكبيرة في اليابان، وفي عام ٢٠٠٣ نشر المجلس المركزي الياباني لمنع الكوارث تقديرات للأضرار التي يمكن أن يسفر عنها زلزال قوي مرتقب تصل قوته إلى ٨ درجات على مقياس ريختر في منطقة توكاي التي تقع في زمامها العاصمة طوكيو، و٢٩ محافظة يابانية مجاورة لها. وجاء في التقديرات أن نحو ١٠ آلاف شخص سوف يلقون مصرعهم، وسوف يدمر ٤٦٠ ألف مبنى، وقد تصل الخسائر الاقتصادية إلى نحو ٢٦ تريليون ين، أي نحو ٢٥٠ مليار دولار أمريكي، يمكن أن ترتفع إلى ٣٧ تريليون ين، أي نحو ٣٦٠ مليار دولار، في حالة حساب الخسائر المترتبة على توقف الإنتاج.

وقد تنبه اليابانيون إلى أن المفتاح الرئيسي لتقليل الخسائر المترتبة على الزلازل إلى الحد الأدنى يكمن في توفير المباني المقاومة للزلازل. وقد تجلت الخبرة والحنكة اليابانية عندما وقع زلزال نيجاتا في شهر أكتوبر ٢٠٠٤، وكانت قوته ٧ درجات على المقياس الياباني، وكان بالقوة نفسها للزلزال الأسبق هانشين. وبينما زاد عدد قتلى زلزال هانشين على ٦ آلاف شخص، بلغ عدد قتلى زلزال نيجاتا ٤٠ شخصا فقط، والسبب الذي حما سكان نيجاتا من الدمار يكمن في أن المباني بهذه المنطقة تتحمل سقوط الثلوج. وعموما يمكن للمباني المقاومة للثلوج إثبات قوة تحملها للزلازل.

أيضا وضعت اليابان معايير مشددة للبناء في عام ١٩٥٠، عقب زلزال ١٩٤٤ الذي أودى بحياة أكثر من ألف شخص، وألزمت المعايير ضرورة أن يجري تدعيم المباني قطريا، وأن تحدد متطلبات طول كل مبنى مثلا وفقا لمساحة الارض. وقد تم تعديل القانون في عام ١٩٨١ لتضاف عناصر تشديد إضافية مثل تخانة وعدد الأعمدة والجدران، لجعل المبنى أكثر مقاومة للزلازل. ولم تطبق التعديلات إلا بعد عام ١٩٨١، وبشكل عام لم تصب أية مبان بسبب الزلازل بعد هذا التاريخ. ويجري في الوقت الحالي حصر المباني غير المطابقة للمواصفات بهدف تدعيمها، وذلك من خلال توفير الفحص

المجاني الدقيق لقوة تحمل كل مبني للزلزال، وتصل تكلفة الفحص إلى ٥٠٠ ألف ين، أي نحو ٤٧٠٠ دولار.

وفي روبونجي، أشهر أحياء العاصمة طوكيو، يرتفع مبني شاهق بطول ٥٤ طابقا، وقد تم افتتاحه في عام ٢٠٠٣، على الرغم من التحذيرات من وقوع زلزال كبير. ويتباهى منفذو هذا المبنى بأنه يمكن تحمل أقصى زلزال يمكن أن يضرب اليابان، حتي ولو كان بقوة ٧ درجات على المقياس الياباني. فقد تم ربط أعمدة المبنى الضخم بعوارض أفقية بإحكام لمقاومة الزلزال، كما تم تجهيز المبني بحيث يهتز بلطف ودون أي مقاومة للهزات، لكي يمتص طاقة الزلازل، أيضا تم تزويد حوائطه بما يسمى "مخمدات الزيت" لامتصاص الصدمات، وعموما يجري التحكم في الاهتزازات من خلال الكمبيوتر، وهو ما يعد أحدث الوسائل لمقاومة الاهتزازات.

وعندما وقع زلزال بم في جنوب شرق إيران في عام ٢٠٠٣، اتضح أن ٤٠ ألف شخص ماتوا بسبب سقوط الابنية البدائية التي كانوا يعيشون فيها، ومعظمها من الطوب اللبِن، وأعلنت اليابان عن استعدادها لمساعدة الدول النامية التي تستخدم هذا الطوب في البناء، وذلك من خلال تغليف الطوب اللبِن بحزمة من الخيوط لمقاومة الاهتزازات. وتستعد اليابان للزلازل من خلال ما يسمى فرق الإنقاذ فائقة التطور، وهي فرق يمكنها القيام بعمليات إنقاذ فورية عند وقوع الكوارث، وعندما وقع زلزال نيجاتا الأخير توجهت ٤٨٠ فرقة إنقاذ متطورة وسريعة إلى المنطقة.

ومثلما يجري الاتفاق بين كل مواطن ياباني وجاره لمساعدة بعضهما البعض عند وقوع الكوارث، تقوم المدن والبلدات اليابانية بتوقيع اتفاقيات مماثلة فيما بينها للغرض نفسه، وهو ما تجلى بأزهى صوره عند وقوع زلزال نيجاتا الأخير، حيث سارعت إحدى البلدات المجاورة للمنطقة المنكوبة بتقديم الماء والطعام والبطانيات والمراحيض المتنقلة وغيرها من إمدادات الإغاثة الضرورية.

والإدارات المحلية اليابانية، عموما، لديها أنظمة متعددة ومتنوعة للوقاية من أمواج المد العالية، وتقف السلطات على أهبة الاستعداد لمراقبة الزلازل، وقد بنيت الطرقات إلى جوار المناطق الساحلية لكي تتلاءم مع الهروب الجماعي إلى المرتفعات، فضلا عن توافر وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية لإبلاغ السكان بالموقف، وتقام تدريبات

سنوية ودورية على عمليات الإخلاء (شكل ٣٤). وبات الحذر من تسونامي جزءا مهما من حياة اليابانيين، حتى أصبح هذا المصطلح، وهو ياباني المنشأ والأصل كما ذكر سلفا، معروفا على الصعيد العالمي.

أيضا فقد دعت الحكومة اليابانية إلى قيام السلطات المحلية برسم خرائط تقديرية للمناطق المعرضة لمخاطر تسونامي، فضلا عن الطرق الممكنة في حالات الإخلاء الطارئة. هذا ولم تكن سرعة الإدارات المحلية لطلب الحكومة على المستوى المطلوب، إلا أنها تسارعت عقب ما شهدته مناطق المحيط الهندي، في تسونامي جنوب آسيا الأخير، وهو ما يؤكد أن أحد أهم السبل للوقاية من تسونامي يكمن في اخذ العبرة والحذر من التجارب القاسية والمريرة التي يمر بها الآخرون.

قاعدة مهمة للبيانات

في المقر الرئيسي لوكالة الأرصاد الجوية اليابانية بطوكيو، توجد غرفة مراقبة تابعة لمركز مخصص لجمع المعلومات الواردة إليه من نحو ألف مرصد زلزالي موزع على طول السواحل اليابانية، وتتركز مهمة المركز في إصدار التحذير من أمواج تسونامي خلال الدقائق الأولى من وقوع الزلزال كما ذُكر. ووفقا لقاعدة بيانات معدة سلفا، لدى الوكالة اليابانية، تضم نحو مائة ألف نموذج للزلازل، ومكان وقوعها وقوتها، يقوم الخبراء اليابانيون بمضاهاة كل زلزال جديد يقع، على النموذج المماثل له، ضمن قاعدة البيانات المعدة سلفا، وبالتالي يمكن التنبؤ بمستوى ارتفاع الأمواج المترتبة على الزلزال، وكذلك الزمن الذي ستستغرقه حتى تصل إلى السواحل، ومن ثم اتخاذ القرار الملائم إذا كانت هناك حاجة لإصدار تحذير من موجات المد المرتفعة أم لا.

وهكذا بما تملكه وكالة الأرصاد الجوية اليابانية من أحدث وأسرع نظام لمراقبة أمواج تسونامي، تقوم كذلك بمراقبة ارتفاع الأمواج وحالة المد البحري على مدار الساعة بواسطة كابلات ممددة في أعماق البحر والمحيطات.، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تقوم الأجهزة اليابانية بقياس ارتفاع منسوب مياه البحر، من خلال نظام تحديد المواقع GPS، وذلك بوضع عوامات لاسلكية طافية على سطح البحر، بعمق ١٠

كيلومترات بطول السواحل اليابانية وعرضها. وتقوم هذه العوامات والكابلات بإرسال قياساتها حول ارتفاعات المد ومياه البحر إلى المحطات الأرضية التابعة للوكالة اليابانية.

النموذج المرتقب

لا تعتبر التجربة اليابانية أنها الفريدة والوحيدة في هذا المجال، بل يوجد نظام آخر متقدم للتحذير المبكر من تسونامي، وهو مركز المحيط الهادئ للإنذار المبكر، في هاواي بالولايات المتحدة. وينظر إلى هذا المركز على أنه قد يصبح النموذج المحتمل، الذي سيقام على غراره نظام الإنذار المبكر في المحيط الهندي. فمركز مراقبة المحيط الهادئ يقدم خدماته لـ ٢٦ دولة تقع على ساحل هذا المحيط. ويقوم المركز بجمع وتحليل البيانات حول الزلازل من خلال المحطات المنتشرة في كل أنحاء المنطقة، وإرسال التحذيرات عبر دوائر خاصة، إلى كل الجهات المعنية في غضون نصف ساعة من وقوع الزلزال.

والي جانب ما توفره الولايات المتحدة من دعم لهذا المركز، وبالتحديد من خلال أحدث أجهزة المراقبة التي تمتلكها الإدارة القومية الامريكية للمحيطات والغلاف الجوي، فقد طورت الولايات المتحدة نظاما خاصا للإنذار المبكر، تتركز أبحاثه في قياس التطورات في ٦ مناطق بقاع المحيط الهادئ، وبالذات قبالة ساحل ألاسكا حيث يكثر وقوع الزلازل، والإبلاغ عن تسونامي بسرعة مذهلة، وذلك بواسطة العوامات الطافية على سطح البحر، ومنها إلى الاقمار الصناعية.

رغم ذلك، فإن الأمر مختلف في بعض الولايات الساحلية مثل كاليفورنيا، حيث يؤكد بعض المسئولين هناك عدم استعداد تلك الولاية لمواجهة كارثة مد بحري محتملة. فعقب زلزال جنوب آسيا الأخير وموجات المد البحري الناجمة عنه، تزايدت مخاوف السلطات في ولاية كاليفورنيا من أن تضرب الولاية المطلة على المحيط الهادئ كارثة مماثلة. وأعلن مكتب الطوارئ بولاية كاليفورنيا أن الولاية مازالت متخلفة عن باقي ولايات الساحل الغربي التي تطل على المحيط الهادئ في استعداداتها لمواجهة موجات تسونامي. وجاء هذا الإعلان بعد إنذار أن كاليفورنيا تنتظر زلزالا كبيرا منذ سنوات بقوة ٩ درجات بمقياس ريختر، والذي يمكن أن تحركه فجأة الهزات الأرضية التي تقع

يوميا في مناطق عدة بأنحاء الولاية شمالا وجنوبا، أو الهزات المتوسطة التي تصل قوتها إلى ٥,٥ درجة بمقياس ريختر.

وفي هاواي، تم طبع خرائط بالطرق التي يمكن أن يسلكها السكان لإخلاء الجزر المنكوبة في حالة وقوع تسونامي، في دفاتر التليفونات، وكذلك وضعت خرائط في ولايتي أوريجون وواشنطن توضح الطرق التي يمكن أن تتعرض للكارثة الخطيرة.، وقال مسئولون في كاليفورنيا أن هذه الخرائط ليست متوفرة سوى لنصف مدن ساحل ولاية كاليفورنيا التي تعرضت لتسونامي منذ ٤٠ عاما. لذا فالأمر يتطلب تحركا فاعلا للمواجهة المحتملة هناك.

قوات الرد السريع

في تفاعل إيجابي كبير، قرر الاتحاد الأوروبي الإسراع في إجراء دراسات بشان تشكيل فريق للرد السريع في حالة وقوع كوارث، على أن يضم أطباء وممرضين ومهندسين وعسكريين وعمال إغاثة، وذلك في نفس الوقت الذي اقترح فيه الرئيس الفرنسي إقامة قوة إنسانية تحت قيادة الأمم المتحدة تستطيع الاستجابة بسرعة للكوارث الطبيعية مثل تسونامي.

وأوضح الرئيس الفرنسي في رسالة وجهها إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أن فكرته تهدف إلى إقامة شبكة دولية تحت قيادة الأمم المتحدة، على أن تقوم المنظمة الدولية بتمويل نشاطها حتي تتمكن كل الدول من وضع إمكاناتها في خدمتها. كما أشار في رسالته إلى الأمين العام للمنظمة، الذي كان يقوم بجولة في المناطق المنكوبة في آسيا، إلى أن تلك القوة سوف تضم وحدات وطنية، يمكن أن تتحرك بسرعة إلى أية منطقة تتعرض لكارثة، على أن يتم تعريف تلك الوحدات في كل دولة وأن تضم خبراء في مختلف مجالات الإنقاذ، مثل الأمن المدني، وأطباء ومهندسون، وآليات لوجيستية مناسبة، وأجهزة دائمة للتنسيق والإنذار. وأوضح الرئيس الفرنسي ضرورة أن تعتمد تلك القوة على المراكز الإقليمية، وبشكل خاص على القطب الأوروبي، وأشار إلى أنه سوف يقدم اقتراحا إلى الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بضرورة القيام معا بتنفيذ تلك المبادرة.

المراجـــع

المراجع العربية

- الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد. ت/١٠٨٩م. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- أحمد، سيد عاشور. ٢٠٠٥. تسونامي والمردود البيئي. ندوة "تسونامي: التأثيرات البيئية والعالمية". مركز جامعة أسيوط للدراسات والبحوث البيئية ومركز تنمية جنوب الوادي. ١٥ فبراير ٢٠٠٥.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة. تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي. مكتبة الدار بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٩٥٩. تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، القاهرة.
- الشرقاوي، محمد. ١٩٩٢. الزلازل وتوابعها. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة. ١١٦ صفحة.
- رياض، سمير، وتعيلب، علي عبد العظيم وآخرين. ٢٠٠٤. الزلازل القديمة من بعض المصادر العربية. المشروع المشترك لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي وهيئة اليونسكو. ١٠٦ صفحة.
- سليمان، مصطفى محمود. ١٩٩٦. الزلازل من فجر التاريخ إلى اليوم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ٣٤٠ صفحة.
- سليمان، مصطفى محمود. ٢٠٠٢. البراكين والزلازل وأثرها على البيئة. دار الكتاب الحديث. ٥٨٧ صفحة.
- هميمي، زكريا. ١٩٦٩. الزلازل. الشركة العربية للنشر والتوزيع. ٢٣٦ صفحة.
- يوسف، حبي. ١٩٧٥. تاريخ إيليا برشينابا (تعريب وتقديم). مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد.

مراجع بالشبكة الدولية للمعلومات

- الشبكة الدولية للمعلومات. ٢٠٠٣، ٢٠٠٤ و٢٠٠٥م. مواقع: الجزيرة، بي بي سي، الأهرام، إسلام أون لاين، نسيج الإخبارية، منتديات عنكاوا، الأحداث المغربية، إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الوطن، ميدل إيست أون لاين، الأنوار أون لاين، المستقبل، جريدة الرياض، وكالة أنباء البحرين، القدس العربي، المعرفة، الهيئة المصرية العامة للاستعلامات، مركز الإعلام والمعلومات، الموسوعة العربية للكمبيوتر والانترنت، زى نت العربية، عرب ثمانية وأربعين، شبكة الصين، البنك الدولي، Kooora.com، JANA، IRIB News، ArabYnet، Wikipedia.

المحتويات

الموضوع

صفحة

مقدمـــة 9

الفصل الأول

الأرض وظاهرة الزلازل

. التركيب الداخلي للأرض 13
. الأرض والزلازل 14
. الهزات التحذيرية واللاحقة 20
. الزلازل البركانية 20
. خريطة الزلازل 21
. أقدم وأخطر زلازل التاريخ 24
. الزلازل في كتب التراث 26
. زلازل القرن العشرين 29
. آسيا وكوارث الطبيعة 32
. إيران والزلازل 34
. زلزال جنوب آسيا ٢٠٠٤ 35
. زلزال الصين ٢٠٠٤ 36
. قياس الزلازل 37
. شدة الزلزال 37
. مقدار الزلزلة ومقياس ريختر 38
. التنبؤ بالزلازل 40

الفصل الثاني

ظاهرة تسونامي

. تسونامي وخطورته 45

. زلازل تسونامي عبر التاريخ 47

. تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ 49

. دور الإنسان والبيئة 50

. تسونامي في كتب التراث 52

. الخطر على البحر الأبيض المتوسط 53

. احتمالات تسونامي بالمنطقة العربية 59

. التنبؤ بتسونامي 61

الفصل الثالث

تداعيات تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤

. الضحايا 65

. مشكلات الهوية 82

. أسباب فداحة الخسائر 84

. التأثيرات على البشر 86

. معاناة الناجين 86

. التأثيرات الصحية 86

. التأثيرات النفسية 90

. هلع التوابع 92

. التأثيرات البيئية 94

. البنية الأساسية 94

. الطبيعة والحياة البرية 96

. قاع المحيط 97

. توابع الزلزال 99

. الجغرافيّة والأرض 104
. مخاطر الألغام 106
. التأثيرات الاجتماعية 107
. التأثيرات السياسية 113

الفصل الرابع

تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ والتجاوب العالمي

. الأمم المتحدة 131
. الإنقاذ والإغاثة 134
. المساعدات 147
. البنك الدولي 163
. الديون الخارجية 165
. التبرعات 168
. التعاطف الإنساني 172
. إعادة الإعمار 172
. بداية تجاوز الأزمة 173

الفصل الخامس

تسونامي جنوب آسيا ٢٠٠٤ والفكر الإنساني

. كبار الكُتّاب 179
كتابات أجنبية 211
. انفعالات العامة 218
. معايشة صحفية 219
. رؤى فنية 244

الفصل السادس

مواجهة ظاهرة تسونامي

. عناصر البيئة 249
. الإنذار المبكر 252
. التجربة اليابانية 256
. النموذج المرتقب 263
. قوات الرد السريع 264

المراجـــع

المراجع العربية 267
مراجع بالشبكة الدولية للمعلومات 267

ملحق الأشكال الملونة

شكل ١. الأرض من سفينة الفضاء أبوللو.

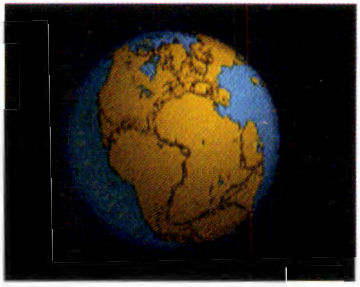

شكل ٣. شكل متخيّل للأرض منذ ٣٠٠ مليون سنة.

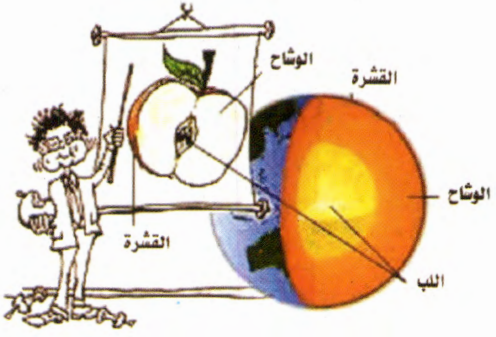

شكل ٢. رسم تبسيطي لتركيب الكرة الأرضية.

شكل ٩. آثار زلزال تايوان المدمر في سبتمبر ١٩٩٩.

شكل ١٠. آثار زلزال بم المدمر بإيران في ديسمبر ٢٠٠٣.

津波

شكل ١١. تعبير تسونامي باليابانية.

شكل ١٢. أمواج تسونامي الهائلة.

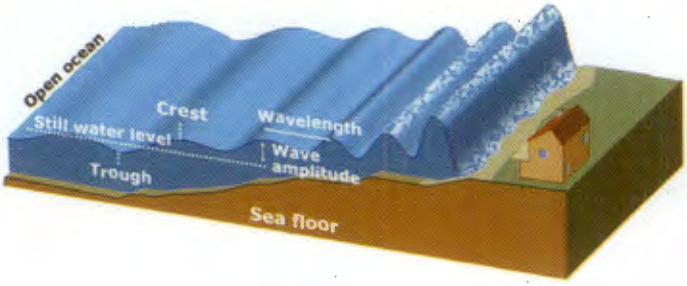

شكل ١٣. التغيرات في شكل موجة تسونامي خلال اقترابها من الشاطىء.

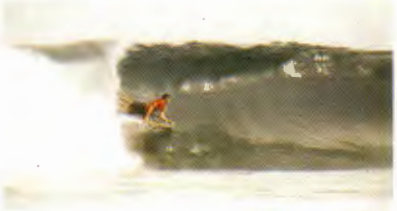

شكل ١٤. إندونيسيا مزار السائحين "قبل المدّ الآسيوي الأخير".

شكل ١٥. مركز الزلزال سبب المدّ الآسيوي الأخير.

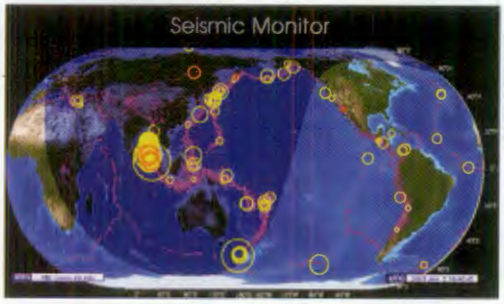

شكل ١٦. مواضع الزلازل في العالم: الدوائر الصفراء: زلازل المدّ الآسيوي الأخير. الدوائر البرتقالية : زلازل بعد أيام من المدّ الآسيوي الأخير.النقاط البنفسجية : زلازل خلال الخمس سنوات الماضية (توقيع الخريطة في ٣ يناير ٢٠٠٥م).

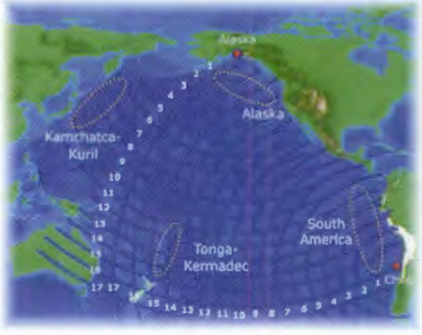

شكل ١٧. مناطق لمصدر تسونامي وزمن سفر الأمواج بالساعات.

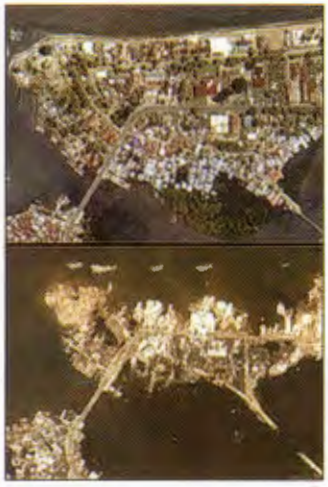

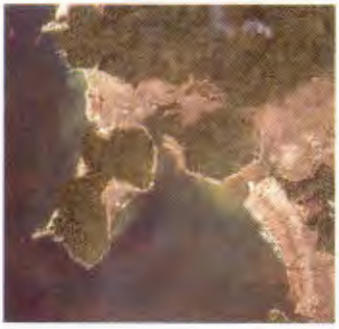

شكل ١٨. صور بالأقمار الصناعية قبل وبعد المدّ الزلزالي. أعلى: أجزاء من باندا آتشيه بجزيرة سومطرة طُمست معالمها. أسفل: أطراف باندا آتشيه قبل المدّ الزلزالي (يمين) وبعد المدّ الزلزالي (يسار).

شكل ١٩ ا. من فصول مأساة تسونامي جنوب آسيا الأخير.

شكل ١٩ ب. من فصول مأساة تسونامي جنوب آسيا الأخير.

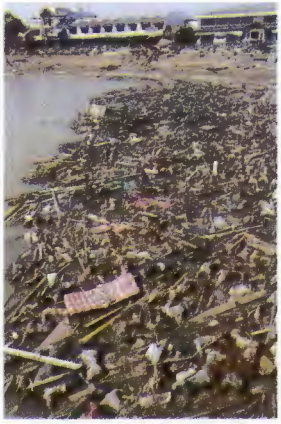

شكل ١٩ ج. من فصول مأساة تسونامي جنوب آسيا الأخير.

شكل ٢٠. الأمومة تقهر الأمواج.

شكل ٢٢. الأم جونيثا تحتضن "الطفل ٨١" بالمستشفى.

شكل ٢١. نقص الماء والغذاء الحاد للناجين عقب الكارثة.

شكل ٢٣. المستنقعات العكرة توفر بيئة مثلى لتكاثر البعوض الناقل للملاريا المهددة لحياة الآلاف بشمال إندونيسيا.

شكل ٢٤. أطفال الضحايا هم أكثر المعرضين لأن يكونوا ضحايا للصوص والمجرمين.

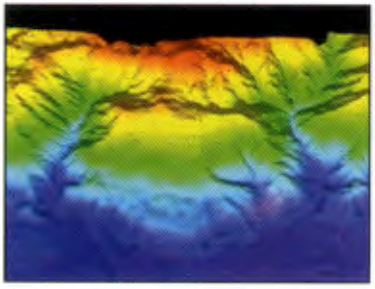

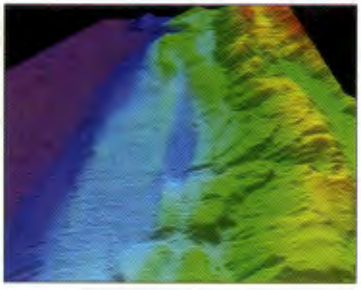

شكل ٢٥. سفينة الأبحاث البريطانية إتش إم سكوت، وصور ثلاثية الأبعاد بموجات السونار لقاع المحيط التقطتها السفينة، بالقرب من مركز زلزال جنوب آسيا الأخير، تُظهر الانزلاقات الأرضية الضخمة. المناطق الصفراء: الصدع البورمي، المناطق الارجوانية: الصدع الهندي، المناطق الزرقاء: التحول الذي حدث للصدع الهندي.

شكل ٢٦. وزير خارجية الولايات المتحدة يلتقي ناجين من الكارثة.

شكل ٢٧. الأمين العام للأمم المتحدة في سريلانكا عقب الكارثة.

شكل ٢٨. بوش وكلينتون في بوكيت، تايلاند.

شكل ٢٩. "سوكمادي" أحد الناجين: أول من عقد قرانه بعد الكارثة، المسجد الكبير يبتدا آتشيه.

شكل ٣٠. الإغاثة الدولية في كارثة تسونامي جنوب آسيا الأخير.

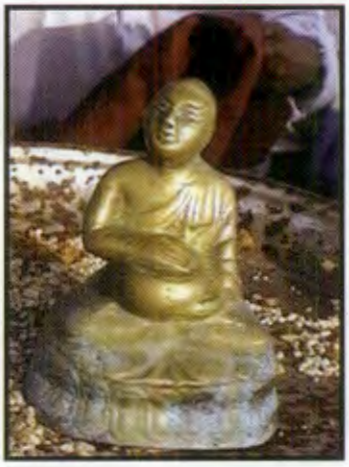

شكل ٣١. بعض الآثار المكتشفة من المدينة القديمة بولاية تاميل نادو، الهند، عقب المد الآسيوي الأخير.

(١)

(٢)

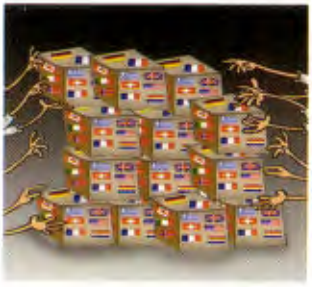

(٣)

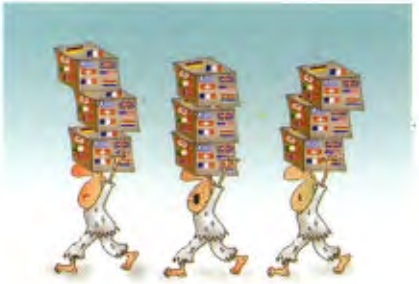

(٤)

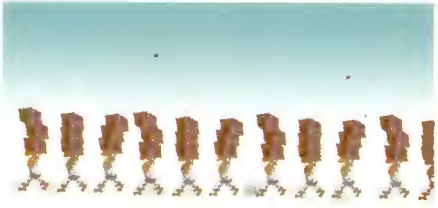

(٥)

(٦)

شكل ٣٢. من وحي وعود بعض الدول بالإعانات للناجين من كارثة تسونامي جنوب آسيا الأخير.

شكل ٣٣. امرأة هندية تبكي أحد أقاربها وتمد يديها إلى السماء في كارثة تسونامي جنوب آسيا الأخير.

شكل ٣٤. اليابان أعدت نفسها جيدا لمواجهات الكوارث.

مطبعة جامعة أسيوط
جمهورية مصر العربية